



مجلة القلزم العلمية



ISSN: 1858 - 9766

علمية دولية مُحكمة ربع سنوية - تصدر بالشراكة مع كلية المنهل للعلوم - السودان

في هذا العدد :

- ☐ التباين الفكري للأحزاب السياسية السودانية وتحديات فشل تحقيق الحوكمة السياسية
أ.د. سمير محمد علي حسن الرديسي
- ☐ الهجرة غير الشرعية من دول حزام الساحل الإفريقي إلى أوروبا: الكل رابح
أ.د. عمر أحمد المصطفى حياقي
- ☐ حاضر ومستقبل العلوم الاجتماعية الحديثة
أ.د. إدريس سالم الحسن
- ☐ الشعر السوداني ومعالجة القضايا المعاصرة في الأمة الإسلامية (الشيخ البرعي السوداني أنموذجاً)
أ.د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي
- ☐ عوامل تكوين الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية (دراسة مسحية)
أ.د. عبدالنبي عبدالله الطيب النوبي
- ☐ جيوب المقام العربي في الغناء الشعبي بالسودان
أ.د. نزار محمد عبده غانم
- ☐ الآثار القانونية لتصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع (دراسة مقارنة)
د. يونس أحمد آدم القدال



عدد خاص بمناسبة صدور العدد (200)

مجلة القلزم - علمية مُحكمة ربع سنوية - العدد الخامس والثلاثون - ربيع الثاني 1445 - أكتوبر 2023م

مجلة القلزم - علمية مُحكمة ربع سنوية - العدد الخامس والثلاثون عدد خاص بمناسبة صدور العدد (200) - ربيع الثاني 1445 - أكتوبر 2023م



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

ردمك ISSN: 1858 - 9766

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Al Qulzum Scientific Journal
الخرطوم : مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر
2023 تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع
السوق العربي-الخرطوم-السودان
ردمك: 1858-9766
الخرطوم- السودان

هيئة التحرير

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ.د. يوسف فضل حسن (السودان)
أ.د. علي عثمان محمد صالح (السودان)
أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي
(المملكة العربية السعودية)
أ.د. أبوبكر حسن محمد باشا (السودان)
أ.د. محبوب محمد آدم (السودان)
أ.د. سيف الإسلام بدوي (السودان)
أ.د. صبري فارس كماش الهيتي (العراق)
أ.د. محمد البشير عبد الهادي (السودان)
د. علي صالح كرار (السودان)
د. سامي شرف محمد غالب (اليمن)
د. محمد عبد الرحمن محمد عريف
(جمهورية مصر العربية)

رئيس هيئة التحرير

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسين شبا

نائب رئيس التحرير

د. سلمى عثمان سيد أحمد

سكرتير التحرير

أ. عثمان يحيى

التدقيق اللغوي

أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر (السودان)

الإشراف الإلكتروني

د. بهية فهد الشريف (المملكة العربية السعودية)

التصميم والإخراج الفني

أ. عادل محمد عبد القادر (السودان)

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية عبر العنوان التالي

هاتف: +249121566207 - +249910785855

بريد إلكتروني : rsbcrrsc@gmail.com

السودان- الخرطوم - السوق العربي عمارة جي تاوان الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقَلَم) للدراسات العلمية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان بالشراكة مع أكاديمية المنهل للعلوم - السودان . تهتم المجلة بالبحوث والدراسات العلمية والمواضيع ذات الصلة بدول حوض البحر الأحمر.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

1. التباين الفكري للأحزاب السياسية السودانية وتحديات فشل تحقيق الحوكمة السياسية
أ.د. سمير محمد على حسن الرديسي.....(42-7)
2. الهجرة غير الشرعية من دول حزام الساحل الإفريقي إلى أوروبا: الكل رابح
أ.د. عمر أحمد المصطفى حياتي.....(60-43)
3. حاضر ومستقبل العلوم الاجتماعية الحديثة
أ.د. إدريس سالم الحسن.....(82-61)
4. الشعر السوداني ومعالجة القضايا المعاصرة في الأمة الإسلامية (الشيخ البرعي السوداني
أهمودجاً)
أ.د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي.....(104-83)
5. عوامل تكوين الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية
(دراسة مسحية)
أ.د. عبدالنبي عبدالله الطيب النوبي.....(126-105)
6. جيوب المقام العربي في الغناء الشعبي بالسودان
أ.د. نزار محمد عبده غانم.....(162-127)
7. الآثار القانونية لتصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع (دراسة مقارنة)
د. يونس أحمد آدم القدال.....(186-163)



الإخوة والأخوات : المختصين، والباحثين، والمهتمين والمشاركين في هذا العدد من مجلة القلزم العلمية الدولية المحكمة التي تصدر بالشراكة مع كلية المنهل للعلوم - السودان، على امتداد وطننا العربي وخارجه نحيبكم من أرض السودان أرض النيلين والتاريخ والحضارة الممتدة تحية تقدير وشكر وعرفان.

الإخوة والأخوات الأفاضل والفضليات، بعد شكر الله تعالى، يسعدنا أن نحتفل مع حضراتكم بصدر العدد رقم (200) من مجلات القلزم العلمية الدولية المحكمة، والتي بشهادة علماء أجلاء قد حازت مقعداً متقدماً خلال مسيرتها العلمية في مجال البحث والنشر العلمي والفكري. يأتي هذا العدد من المجلة تنويعاً لمجهود كبير ومقيم من قبل إدارات المركز وهيئاته العلمية والاستشارية المختلفة، وكذلك من المحكمين والمستشارين والشركاء على إمتداد العالم، وهو تحت إشراف البروفيسور عبد الرحيم محمد خير أستاذ علم الآثار بالجامعات السودانية والعربية.

يتميز هذا العدد بمشاركة عدد مقدرة من الخبراء والعلماء والمختصين الذين أسهموا بمنتوجهم العلمي والفكري لرصد المكتبة السودانية والعربية بخبراتهم وتجاربهم. الأخوة والأخوات الأفاضل والفضليات: يسرنا في هيئة تحرير مجلات القلزم العلمية المحكمة والمتخصصة أن يأتي هذا العدد الخاص إهداءً لعالمين جليين كانت لهما بصماتهم الواضحة في مسيرة هذا المركز عرفاً لفضلهما وجهدهما، وهما: البروفيسور/ يوسف فضل حسن - رئيس الهيئة العلمية للمركز. والبروفيسور/ علي عثمان محمد صالح - رئيس الهيئة الاستشارية للمركز.

وشكرنا وإمتنانا موصول أيضاً لكل الذين أسهموا وشاركوا في هذا النجاح، ونخص بالذكر دار آثريريا للنشر والتوزيع صاحبة الإمتياز في إصدار هذه المجلات، وكذلك كل هيئات المركز المختلفة وكل شركاء المركز على مستوى السودان والإقليم والعالم. وفي الختام نسأل الله تعالى التوفيق والسداد للجميع.

هيئة التحرير

كلمة المشرف على العدد

يحتفل مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر بصدر العدد (200) من مجلة القلزم للدراسات العلمية الدولية المحكمة التي تصدر بالشراكة مع كلية المنهل للعلوم- السودان، ومجلات القلزم هي دورية دولية متميزة تشمل ثلاثة عشر إصداراً تضم: القلزم العلمية (أبريل 2020م)، القلزم التاريخية (أكتوبر 2020م)، القلزم الاقتصادية والإجتماعية (نوفمبر 2020م)، القلزم السياسية والقانونية (أكتوبر 2020م)، القلزم للدراسات السياحية والآثارية (أكتوبر 2020م)، القلزم الجغرافية (أكتوبر 2020م)، القلزم التربوية واللغوية والنفسية (يناير 2021م)، القلزم للدراسات الأمنية والإستراتيجية (مارس 2021م)، القلزم للدراسات الإسلامية (مارس 2021م)، القلزم للدراسات الإعلامية (سبتمبر 2021م)، القلزم التوثيقية (سبتمبر 2021م)، القلزم للدراسات التطبيقية (يناير 2023م) والقلزم للدراسات التحليلية (يناير 2023م). ويستبان من الإطار المفاهيمي للمجلات القلزم إنها برؤية شراكة إقليمية مستقبلية مستدامة وذات رسالة غايتها التعريف بإمكانيات دول حوض البحر الأحمر في كافة المجالات. وتأتي دورية القلزم الصادر عددها الأول في أبريل 2020م إضافة نوعية لمواعين النشر العلمي (التقليدي والإلكتروني الحديث) العربي والأفريقي في عالم يتسارع فيه البحث العلمي بصورة كبيرة للغاية لا يستطيع أكثر الناس إيجالا في الخيال التنبؤ بمآلاته في المستقبل المنظور. وللمجلة شراكات علمية مع جهات عديدة (جامعات ومراكز بحوث) وذلك بهدف تنشيط الحراك العلمي بإقامة الورش، الدورات التدريبية، الندوات، المؤتمرات مع التوثيق للشخصيات للأكاديمية والإجتماعية التي أسهمت بشكل وافر في شتى ضروب المعرفة الإنسانية. وعلاوة على ذلك، يعمل المركز على دعم النشر العلمي الرصين في مختلف التخصصات بغية تطوير البحوث العلمية للدول المطلة على البحر الأحمر. وتم إهداء هذا العدد التاريخي لإثنين من كبار علماء السودان هما: الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن رئيس الهيئة العلمية بالمركز، ورئيس كرسي اللغة التركية بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم والأستاذ الدكتور علي عثمان محمد صالح رئيس الهيئة الاستشارية بالمركز، وأستاذ علم الآثار بقسم الآثار، جامعة الخرطوم تقديراً لمنجزاتهما العلمية والإدارية والإجتماعية خلال مايربو عن نصف قرن من الزمان. ونتمنى للعالمين الجليلين موفور الصحة وكمال العافية والمزيد من الإنجازات في دنيا العلم والمعرفة.

أ.د. عبدالرحيم محمد خير
عضو الهيئة العلمية بالمركز
أستاذ علم الآثار - جامعة بحري

الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن (شيخ المؤرخين السودانيين)

مقدمة:

يأتي العدد الاحتفائي من مجلات القلزم العلمية الدولية المحكمة تكريماً وعرفناً لشخصية الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن شيخ المؤرخين السودانيين ورئيس الهيئة العلمية بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر - السودان .

كانت البداية لدراسة علم التاريخ بمدرسة الآداب في كلية غردون التذكارية التي تأسست عام 1902م. ويعتبر الأستاذ الدكتور مكي شبكة رائداً لتدريس هذا العلم من السودانيين. وهو أول من حصل على درجة الدكتوراه من الأساتذة الوطنيين بكلية غردون من جامعة لندن عام 1948م. وتتلّمذ يوسف فضل حسن على يد ثلة من أساتذة التاريخ بجامعة الخرطوم أغلبهم من الغربيين في الخمسينات الماضية.

المولد والتأهيل العلمي:

ولد يوسف فضل حسن ببلدة المحمية بولاية نهر النيل. وتلقى تعليمه الابتدائي بأبي حمد وسنكات. وواصل دراسته للمرحلة المتوسطة ببورتسودان والثانوية بمدرسة وادي سيدنا الحكومية (1948-1951م). تخرج بكالوريوس الآداب الدرجة الثانية في كلية الخرطوم الجامعية (1956م)، فبكالوريوس الشرف (الدرجة الثانية العليا) في تاريخ الشرق الأدنى والأوسط من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن (1959م). وتوج جهده الأكاديمي بحصوله على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، جامعة لندن 1964م. وترقى إلى مرتبة الأستاذية (بروفيسور) بتاريخ أول يوليو 1972م.

التدريس والأبحاث والإشراف والنشر العلمي:

شارك في التدريس بكلية الآداب جامعة الخرطوم محاضراً (1965-1969م)، فمحاضر أول (1965-1972م). وقام بتدريس مقررات : تاريخ العرب، الخلافة العباسية، شمال أفريقيا في العهود الإسلامية، الممالك الإسلامية في السودان، الإسلام في أفريقيا، الديانة المسيحية في أفريقيا. وأشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه في عدة جامعات (الخرطوم، أم درمان الإسلامية، جوبا، أفريقيا العالمية، أم درمان الأهلية وأكاديميات عديدة). وعمل ممتحناً خارجياً للعديد من الجامعات داخل وخارج السودان.

الخبرات الإدارية:

- مساعد ضابط تنفيذي في وزارة الحكومة المحلية (1957-1956م).
- مدير شعبة أبحاث السودان (1972-1966م).
- مدير معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية (1982-1972م).
- عميد كلية الآداب، جامعة الخرطوم (1979-1975م).

- نائب مدير جامعة الخرطوم (1983-1984م).
- مدير جامعة ام درمان الإسلامية (1984-1986م).
- مدير جامعة الخرطوم، دورتان (الأولى بالتعيين والثانية بالانتخاب: 1985-1990م).
- مؤسس جامعة الشارقة (1997-1998م) بدولة الإمارات العربية المتحدة.
- أستاذ كرسي الدراسات التركية بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم (2002 وحتى اليوم).

الأبحاث وعضوية اللجان:

- نشر باللغة العربية (21 كتاباً) من أبرزها: كتاب الطبقات في فصول الأولياء والعلماء والشعراء في السودان (ست طبعات: 1971-2012م).
- مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، الخرطوم، 2017م.
- دراسات في تاريخ السودان (الجزء الأول 1975م والثاني 1990م).
- انتشار الإسلام في أفريقيا، الخرطوم، 1979م.
- الشلوخ أصلها وطبيعتها في السودان وادي النيل، دار جامعة الخرطوم للنشر 1978م والطبعة الثانية 1990م.

ونشر باللغة الإنجليزية مجموعة من الكتب عددها (8) أبرزها:

-The Arabs and the Sudan From the Seventh to the Sixteenth Century. Edinburgh University Press 1967

-The Sudan in Africa (edited) and introduced with an index. Khartoum, 1971, 1985

-Studies in Sudan History. Sudanese, Khartoum 2003.

وبلغ عدد الأوراق العلمية في دوريات محكمة باللغة العربية (60) وبالإنجليزية (30). وشارك في تقويم بحوث للنشر العلمي والترقي لأساتذة الجامعات داخل وخارج السودان.

المشاركة في المؤتمرات:

شارك في العديد من المؤتمرات العلمية في الثقافية في داخل الوطن وخارجه، مقدماً أوراقاً علمية، مقرراً أو رئيساً للجلسات.

خدمة المجتمع:

قدم خدمات علمية وثقافية عديدة تتمثل في رئاسته للأمانة العامة لإحتفائية سنار عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2017م، عضوية اللجان الوزارية لوضع قانون الحكم المحلي في السودان عام 1979م. كما شغل رئاسة اللجنة الفنية لتحديد مستقبل معهد الكليات التكنولوجية (1987-1988م)، عضوية مجلس أمناء الصندوق القومي للطلاب منذ العام. وشارك أيضاً في تأسيس مدارس للتعليم العام بولايته الخرطوم (1974-1994م) ونهر النيل (1994-2006م).

شهادات تكريم ودرجات فخرية:

منح العديد من شهادات التكريم والدرجات الفخرية من أبرزها الميدالية الذهبية للعلم لجمهورية السودان للعام 1971م، جائزة الدولة التقديرية للآداب والعلوم والفنون 1977م، وسام النخيل من جمهورية فرنسا 1978م، جائزة العز بن عبدالسلام للعلوم والثقافة والعمل الإنساني 2014م. إضافة إلى ذلك، حاز على درجات الدكتوراه الفخرية من العديد من الجامعات المرموقة في السودان والخارج. وحصل مؤخرا على جائزة " الشخصية الثقافية في العالم العربي للعام 2022م" في فعالية معرض الشارقة الدولي للكتاب بدولة الإمارات العربية المتحدة.

خواطر وذكريات:

أشير بان لي ذكريات مع أستاذ الأجيال يوسف فضل حسن. لقد كان عميدا لكلية الآداب إبّان فترة دراسة دفعتنا للبكالوريوس بجامعة الخرطوم في منتصف السبعينات الماضية. وكلفني أثناء رئاستي لقسم الآثار بجامعة جوبا قبل عقدين من الزمان بإعداد ملف عن ملوك وملكات السودان القديم للاستعانة به في مشروع تسمية شوارع العاصمة الخرطوم. وقدم لشخصي الدعوة للمساهمة بالكتابة وتقويم البحوث لمجلة "السودان في رسائل ومدونات (S.N.R)". وتواصل تعاونه العلمي المثمر مع جامعتي جوبا-مركز الخرطوم وجامعة بحري والكثير من الجامعات الأخرى في فترات لاحقة.

خلاصة القول، إن الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن شيخ مؤرخي السودان هو أحد أبرز العلماء في تخصص التاريخ الإسلامي على المستوى العربي والأفريقي، ورئيس الهيئة العلمية لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر . ولاشك هذه مشاحة، لأن أنهل من معين علمه الفياض سواء عبر المحاضرات، حلقات الدرس، مؤلفاته ولقاءاته في الوسائط الإعلامية لهو أرخبيل يستقي منه طلاب علوم التاريخ في مراحل بحوثهم ودراساتهم التخصصية وفي مدارج حياتهم المختلفة. نسال الله له موفور الصحة وكمال العافية وأن يجعله ذخرا للعلم والمعرفة.

أ.د عبد الرحيم محمد خير
عضو الهيئة العلمية بالمركز
أستاذ الآثار بكلية العلوم الإنسانية ، جامعة بحري

الأستاذ الدكتور علي عثمان محمد صالح (عم علي)

(مقدمة :

كانت البداية للعمل الآثاري في السودان المسوحات والتنقيبات ببلاد النوبة (شمال السودان وجنوب مصر) وهى ثلاثة : الأولى (1911-1907م) ، الثانية (1934-1929م) والثالثة (-1959 1960م) . وشهدت فترة الخمسينات والستينات الماضية تأهيل الكادر الرائد الأول من الآثاريين السودانيين (عبد الرحمن آدم محمد : 1954-1924، ثابت حسن ثابت : 1996-1921م ، نجم الدين محمد شريف : 1994-1938م وأحمد محمد علي الحاكم : 1996-1938م) .وركز هؤلاء الرواد أعمالهم في المسوحات والتنقيبات الآثارية بداخل السودان.

أما الجيل الثاني من الباحثين السودانيين في مجال الآثار فقد تخرج معظمهم من جامعة الخرطوم وتعلموا على يدي الرواد الأوائل من الآثاريين السودانيين والأوربيين في المملكة المتحدة وكندا . ونال بعضهم تأهيله الأكاديمي فوق الجامعي كله في أوروبا .وعند إنشاء قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1965م) ترأسه في البدء بروفيسور بيتر شيني P.Shinnie* .المؤسس للقسم مع البروفيسور مصطفى الأمير (مصري). وخلفه البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (1971-1970م) فالبروفيسور أحمد محمد علي الحاكم (1981-1971م) (رحمهم الله) . وقد قام الأخيران بدور كبير في تأهيل القسم بالجامعة وعاونهما أساتذة غربيون (جون قاوت ، راندي هالاند ، بيرس كروكر ، إلزا كليب ، رتشارد بيرس ،بول كالو و ف.سكاربروف) وعرب(غانم وحيدة-عراقي) وسودانيون (علي عثمان محمد صالح ، العباس سيد أحمد محمد علي ، يوسف مختار الأمين ، خضر عبد الكريم أحمد وإبراهيم موسى محمد) . وتأهلت الدفعة الأولى من الآثاريين السودانيين ،أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الأم في الغرب الأوربي (كمبردج بانجلترا وجنيف بسويسرا) والأمريكي (كالقاري بكندا) .

التأهيل العلمي:

تلقى البروفيسور علي عثمان محمد صالح تعليمه الابتدائي بموطنه قرية مشيكلا والمرحلة المتوسطة بدلقو المحس بالولاية الشمالية في الخمسينات والستينات المنصرمة . وواصل دراسته للمرحلة الثانوية بمدرسة أم درمان الأهلية الحكومية . ولا يعرف لماذا إختار هذه المدرسة بالعاصمة سيما وأن الإقليم الشمالي توجد به آنذاك مدارس ثانوية تماثلها في العراق (مروى

وعطبرة)؟! بيد أنني على رأي مفاده أن مرد ذلك أن على عثمان كان يعد نفسه أكاديمياً في العاصمة المثلثة بغية لعب دور بارز في الشأن العام للوطن في مقبل الأيام.

التحق على عثمان محمد صالح بجامعة الخرطوم طالباً في كلية الآداب عام 1965م . وتخرج فيها بمرتبة الشرف الأولى في التاريخ القديم عام 1970م. وتم تعيينه فور التخرج مساعد تدريس بقسم الآثار الناشئ حينها . وبعد فترة وجيزة حصل على منح لدراسة الماجستير بكندا (جامعة كالقاري) . وأشرف على رسالته البرفيسور بيرت شيني وكانت بعنوان: ”العهد المسيحي في النوبة Christian Nubia “ عام 1973م . واصل على عثمان تأهيله الأكاديمي والتحق بجامعة كمبردج (بريطانيا) وحصل على درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية متخصصاً في آثار العصر الوسيط في السودان عام 1978م . عاد بعدها للسودان أستاذاً مساعداً بقسم الآثار (1978 - 1984م) ، فشاركاً (1984 - 2000م) . وحصل على مرتبة الأستاذية (Professorship) من جامعة الخرطوم عام 2000م . وواصل بعد ذلك عمله بالقسم حيث قام بتدريس العديد من المقررات عن الآثار السودانية والعربية والأفريقية .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي:

أ جري الأستاذ على عثمان عشرات البحوث العلمية كما ترأس العديد من مشاريع البحث الآثاري . وكانت البدايات بمشروع جامعة الخرطوم لمنطقة المحس (1995-2013م) ، ترأس مشروع SAP-1 رقم (5) عند الشلال الثالث في أقصى الإقليم الشمالي . وأعقب ذلك ترأسه لمشروع التدريب والبحث العلمي لجامعة الخرطوم بمنطقة جبل أم على في ولاية نهر النيل ، فضلاً عن إشرافه على مشروع المسح الآثاري للضواحي الشمالية لمدينة مروي القديمة (البجراوية) (2015 وحتى اليوم) .

أشرف على العديد من البحوث الآثارية لدرجتي الماجستير (n=23) والدكتوراة (n=17) . وشارك بأكثر من (50) بحثاً علمياً في مؤتمرات وورش علمية داخل وخارج السودان . وبذل جهداً غير قليل في تأهيل الكادر السوداني الآثاري وذلك بتوفير منح للدراسة وفرص تدريب لإكتساب الخبرة خارج السودان (جامعات كمبردج ببريطانيا وكالقاري بكندا) .

الخبرات الإدارية :

تقلد الأستاذ على عثمان رئاسة قسم الآثار لثلاث دورات خلال الأعوام 1983-1986م ، 1990-1995م و 1997-2003م . وظل عضواً بمجلس أساتذة جامعة الخرطوم ولا يزال منذ إلتحاقه بالجامعة منذ مطلع السبعينات الماضية وحتى اليوم .

خدمة المجتمع :

قام الأستاذ على عثمان بأدوار مهمة في خدمة المجتمع السوداني في مجال الشأن العام وفي الجانب الأكاديمي والمهني . فهو عضو قيادي بالحزب الإتحادي الديمقراطي . وشارك بفعالية في العمل السياسي خلال العقود الأربعة الفائتة . بيد أنني ساقصر حديثي عن مساهماته العلمية والثقافية التي عرفتها عن كذب إبان فترة وجودي طالباً للبكالوريوس وباحثاً للماجستير في قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1972-1983م). وفي مجال العمل الثقافي والإجتماعي العام سواء على المستوى المحلي والإقليمي والدولي فقد تقلد مهاماً رفيعة منها رئاسة لجنة المؤتمر الدولي للحضارة الأفريقية . إلى القرن الحادي والعشرين (1997-1999م) ، رئاسة اللجنة الثقافية للهيئة السودانية للولايات المتحدة (اليونسكو، اليسكو والإيسيكو (1997-2008م) كما عمل ممثلاً للسودان في اللجنة الدائمة للثقافة العربية (2000-2004م) ورئيساً لإتحاد الأدباء والكتاب السودانيين للعام 2015م . ويعتبر الأستاذ على عثمان من المثقفين الموسوعيين . ورفد الساحة الثقافية السودانية بالعديد من الكتابات (مجلة الثقافة السودانية في الثمانينات) والمحاضرات والمؤلفات التي ربطت علم الآثار بالثقافة وخدمة المجتمع .

الجوائز والشهادات التقديرية :

حصل الأستاذ على عثمان على جائزة العالم المتميز في برنامج زمالات الصندوق العربي للتنمية الإقتصادية والإجتماعية (2008م). كما تم تكريمه من كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم لمساهماته العلمية البارزة . في تأهيل باحثي الدراسات العليا بالجامعة . أعد مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الاحمر السودان بالشراكة مع دار آريثريا للنشر والتوزيع كتاب توثيقي عن البروفيسور علي عثمان محمد صالح جاء تحت عنوان: علي عثمان محمد صالح حفريات ونقوش على جدار الذاكرة السودانية ضمن سلسلة الدراسات التوثيقية التي أصدرها المركز وحمل الكتاب الرقم (9).

خواطر وذكريات :

للأستاذ على عثمان شخصية إجتماعية أسرة ويتمتع بحضور البديهة والمزحة الساخرة المحببة للنفس ، وعلاوة على ذلك ، فهو متواضع ومحبوب من طلابه وزملائه ومعارفه ويطلق عليه تلاميذه الكثر لقباً محبباً إلى نفسه وهو ”عمو علي“ .

لايتوانى الأستاذ على عثمان في تقديم النصح والإرشاد لطلابه وزملائه بكل أمانة وتجرد في مختلف قضايا العمل الآثاري . وهو دائم التحفيز المعنوي لباحثي الآثار.

مجمل القول ، إن الأستاذ الدكتور على عثمان محمد صالح أحد أبرز علماء الآثار على المستوي العربي والأفريقي في دراسات آثار العصور الوسيطة. ولا ريب أن التلمذ عليه والإرتشاف من معين علمه الثر سواءً في حلقات الدرس أو من خلال مؤلفاته الجياد هو المنهل الذي استقى منه الكثيرون في مجال الآثار خاصة والإنسانيات عامة . وكان خير معين لهم في مدارج حياتهم العلمية . نسأل الله له كمال الصحة وقوام العافية وأن يمدّه بطول العمر ويجعله ذخراً للعلم والوطن، إنه سميع مجيب الدعاء .

أ.د عبد الرحيم محمد خبير

عضو الهيئة العلمية بالمركز

أستاذ الآثار بكلية العلوم الإنسانية ، جامعة بحري

التباين الفكري للأحزاب السياسية السودانية وتحديات فشل تحقيق الحوكمة السياسية

قسم الجغرافيا - كلية التربية - جامعة الخرطوم

أ.د. سمير محمد علي حسن الرديسي

مستخلص:

يهدف هذا البحث لتوضيح بعض من ملامح تباين الأسس الفكرية للأحزاب السياسية السودانية ومناقشة تحديات الفشل في تحقيق الحوكمة السياسية بإيجاد نظام سياسي مستقر وذلك منذ استقلال السودان في عام 1956م، حيث ورث السودانيون قطراً مقسماً ومكبلاً بحدود مزيفة تجمع بالقوة بين العديد من القوميات «العربية» و«الأفريقية». وعندما أصبحت الدول الأفريقية الأخرى مستقلة في وهج بريق الحكومات البرلمانية، غيّر السودان ديمقراطيته إلى ديكتاتورية عسكرية حيث بقيت العلمانية تحت الديكتاتورية العسكرية لحكم جعفر النميري بين 1969 و 1977. لقد وجدت تعاليم الصوفية التي تشكل الأساس الفكري لطائفتي الأنصار والختمية، معارضة من الأصوليين الدينيين والمتعلمين في شمال السودان. شهد السودان صراعات مسلحة منذ استقلاله في يناير 1956م يكمن في قلبها أزمة الهوية القومية وقضايا التنمية الإقليمية غير المتوازنة، خاصة وأن الهوية تعرّف في الأطر العرقية والثقافية واللغوية والدينية، كما يمكن أن تفهم قضايا عدم التوازن في التنمية الإقليمية في منحى التهميش الاجتماعي. لم تفلح التيارات السياسية في إيجاد الصيغ السياسية التي تفلح في معالجة مثل هذه القضايا الجوهرية لاختلاف أطرها الفكرية، وخاصة تباري الفكر الشيوعي والإسلامي مما أثار تأثيراً كبيراً في واقع السياسة السودانية وفي خلق الصراع السياسي - الاجتماعي في البلاد. كما لم تفلح هذه الأحزاب السياسية في تقليل تأثير الجانب القبلي في العمل السياسي، وفي طرح برامج واقعية تستطيع معالجة الكثير من القضايا الاقتصادية والاجتماعية في البلاد. ويمكن أن يخلص هذا البحث إلى أن فشل الأحزاب السياسية السودانية في إيجاد نظام مستقر ومستمر للحكومة السياسية يمكن أن يعزى للسياسات الإستعمارية الموروثة، ولتباين البناء الفكري لهذه الأحزاب السياسية الذي فشل خلق نظام سياسي مدني يتفق مع توجهات وتطلعات المجتمع السوداني للحكومة السياسية.

كلمات مفتاحية: أحزاب سياسية، بناء فكري، حوكمة، قضايا وطنية، فشل سياسي.

Thought Miscellany of Sudanese Political Parties and Failure Challenges of Political Governance Achievement

Prof. Samir Mohamed Ali Alredaisy - University of Khartoum

Abstract

This research objects to explain some of the miscellany traits of thought bases of Sudanese political parties and to discuss challenges of failure in achieving political governance by creating a stable political system since Sudan independence in 1956 when the Sudanese people

have inherited a country divided and handcuffed by faked borders gathering by force many "Arabs" and "Africans" nationalities. When many of the African countries became independent in the brightness of parliamentary regimes, Sudan changed its democracy to military dictatorship while secularism remained beneath dictatorship of Numei's regime between 1969-1977, Also, Sufism instructions, which constitutes the thought base of "Ansar" and "Khatmia" groups, have been objected by religious fundamentalists and educated people in Northern Sudan. Sudan has witnessed military conflicts since independence in January 1956 where the crises of national identity and problems of uneven regional development are deeply hidden, particularly when identity is defined in terms of racial, cultural, lingual, and religious frames and the problems of uneven regional development could be understood within social marginalization. The political parties have failed to create the political statements to cure such substantial problems due to their thought miscellany, particularly Communists and Islamists who have notably influenced on the reality of Sudanese politics and in the creation of political- social conflict in the country. These political parties have also, failed to lessen tribal factor which influences on the political work, and in the initiation of practical programs capable to cure socio-economic problems of the country. It is possible to conclude that, the failure of Sudanese political parties in the creation of a stable and continuous system of political governance could be due to the inherited colonization policies, and to the miscellany of their thought construction which has failed to initiate a stable civil system to accord with orientations and aspirations of Sudanese community for political governance.

مقدمة:

اتخذ التكوين الجغرافي للسودان شكل الدولة الموحدة ذات الأطراف المتمردة منذ أن استقر في فترة الإستعمار البريطاني. ويعتبر السودان قطراً استثنائياً بالمعني الحقيقي للمصطلح. فبحكم أنه أحد أكبر أقطار أفريقيا والشرق الأوسط، فإنه يتضمن تخوماً متباعدة من الأقاليم الثقافية والجغرافية. وتحدث قبائله البالغ عددها 597 قبيلة أكثر من 400 لغة ولهجة وتمارس تقاليد دينية متعددة تجمع بين الإسلام، والمعتقدات الأفريقية القديمة، والمسيحية على هذا الترتيب الكمي. إضافة لذلك فقد نتج عن التمازج بين الحاميين والساميين والنيليين والبانتيو والمجموعات العرقية الأخرى واحداً من أكثر المجتمعات المتباينة hetero- neous في العالم، وهو بذلك عبارة عن «كون» مصغر لقارة أفريقيا.

لم يشهد السودان منذ أن استقل عن الحكم البريطاني في عام 1956م استقراراً سياسياً حيث لم تفلح الأحزاب السياسية في النجاح في إيجاد نظام سياسي متفق عليه تمارس جميع مكونات البلاد من خلاله نشاطها السياسي وفق أسس متفق عليها. وقد نتج عن ذلك كثرة الانقلابات العسكرية والثورات الاحتجاجية التي تفلح في خلق فترات قصيرة من الحكم المدني إلا أنها تفشل في الاستمرار لعجزها عن إيجاد صيغ وفاق سياسي. لقد أدت هذه الدورة المتعاقبة من الحكم العسكري الطويل الأجل وفترات الحكم المدني قصيرة الأجل لعدم استقرار السودان وانفصال الجزء الجنوبي منه وأخيراً قيام الحرب في 15 أبريل 2023م بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع التي تشير الكثير من الدلائل بأنها مدعومة من بعض القوى السياسية. يستعرض هذا البحث بعض من ملامح الأسس الفكرية لبعض الأحزاب السياسية الرئيسية في السودان، ومناقشة تحديات الفشل في تحقيق الحوكمة السياسية بإيجاد نظام سياسي مستقر في البلاد.

إطار نظري:

يعتبر العمل السياسي في شكل أحزاب سياسية منظمة أو في شكل مجموعات سياسية أو مجموعات ضغط سياسي شكلاً من أشكال ممارسة مفهوم القوة في الحيز الجغرافي بمختلف مستوياته، كما يعتبر عملاً يرتبط بانتاج الجانب الاجتماعي في العمل السياسي. وتلعب الجغرافيا الدور الرئيسي في تشكيل طبيعة العمل السياسي بحكم تأثيرها الحتمي في طبيعة المجتمعات ذلك أن الجغرافيا لا تزال مستمرة في وضع ملايين الأشخاص في قبضتها حيث أن «قوة المكان» تظهر بطرق حتمية من التوزيع غير المتوازن للموارد الطبيعية إلى الإتاحية غير العادلة لها إلى توفر الفرص وغيره حيث ولد الجميع في بيئات طبيعية وثقافية شكلت ما أصبحنا عليه اليوم أفراداً وجماعات⁽¹⁾. وتؤثر الجغرافيا تأثيراً عميقاً على الحياة اليومية. فهناك فضاءات لإعادة الإنتاج الاجتماعي، والجندرية، والأسرة، والتعليم، والثقافة والتقاليد، والعرق والعرقية في كافة مناحي تطور الممارسات الاجتماعية في أماكن محددة. ويمكن النظر لمفهوم المجتمع كنسيج موجود في «الزمان-المكان» حيث تتأطر فوقه جميع العمليات السياسية-الاقتصادية والحياة الاجتماعية-الثقافية وتوجد علاقات بين التخوم الجغرافية والممارسات الاجتماعية⁽²⁾. وتحملنا التساؤلات حول الجغرافيا إلى البحث عن علاقتها بعدد من المفاهيم مثل المعرفة، والقوة، والعلم، والتكوين غير الثابت discursive formation، وغيرها⁽³⁾. يُسهّل مفهوم فضاء النزاع أو الصراع conflict space إجراء التحليل المنظم للبيانات الخاصة بالنزاع أو الصراع داخل الدولة أي كان نوعه سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو عقدي. فبالبناء على النظريات المتداخلة ببعضها يُمكن من تعريف البعد المكاني للنزاع spatiality of conflict بأنه بمثابة إقتران للتداخلات embeddedness التخومية «التحليل المكاني»، والتداخلات الشبكية «تحليل الشبكة الاجتماعية»، ومثال لذلك الحرب العالمية الأولى التي أوضحت أن موقع الدولة بالنسبة للفضاءات الطبيعية والتداخلات الشبكية هو الذي يوضح أدوارها عبر جغرافيا أكثر اتساعاً للأوضاع التخومية والعلاقات الشبكية⁽⁴⁾. وتوجد الكثير من الدلائل حول العلاقة الداخلية بين مساحة نطاق الصراع والموقع الجغرافي⁽⁵⁾. وتُصنع السياسات الاقتصادية العالمية المعاصرة حيثما وجدت الأدوار المركزية التي تلعبها المنظمات العالمية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي في الإشراف على سبل كسب العيش لأكثر من 2.5 مليون شخص حول العالم. فالسياسة الاقتصادية الحرة الجديدة neoliberal يُقوّيها ويدعمها عدد قليل من الخبراء غير المنتخبين الذين لا يمكن

حصرهم في النصف الشمالي من الكرة الأرضية والذين فشلوا في توفير أحوال معيشية جيدة للفقراء^٥. تم في الوقت الحالي قبول القول بأن عمليات إعاد بناء الدولة المعاصرة تتقيد entangled بشدة بالتحويلات التي تحدث في العلاقات غير الموجهة scalar^٥. وتهتم السياسة بالقوة أما الجغرافيا السياسية فتهم بالعلاقات بين القوة والحيز والمكان^٦، حيث يوجد في مضمونها البناء الفكري للأحزاب السياسية. وقد يتخذ «الحيز» space العديد من الأهتمامات، يختص إثنان منها بالجغرافيا البشرية أولهما الحيز كجزء من العالم له خصائص محددة وأنشطة تقع فيه أو فوقه وهو ما يعرف بمصطلح «الكيان-الحيز object-space»، وثانيهما الحيز كإطار مرجعي يستخدم لوضع وترتيب العلاقات بين الأشخاص والأشياء والأنشطة المختلفة ومنها النشاط السياسي والمكونات غير المادية والذي يعرف بمصطلح «الحيز كمشروع موقعي». وهناك افتراض بأن أي «كيان-حيز» يفترض مسبقاً مشروعاً موقعياً وليس بالعكس، ويمكن للحيز عند أخذها كمشاريع موقعية أن تكون بمثابة أدوات يستخدمها الأفراد والمنظمات لتنسيق أنشطتها السياسية وغيرها من الأنشطة الأخرى ولذلك يعتبر الحيز عنصراً مركباً لإعادة إنتاج الجانب الاجتماعي^٧.

ظهور الأحزاب السياسية في السودان:

كان السودان ملعباً لقوتين متنافستين في القرن التاسع عشر، هما الامبراطورية العثمانية والإمبراطورية الإثيوبية الناشئة nascent بحيث أصبح نظام العلاقة بينهما أكثر تعقيداً واختلافاً^٨. ويعتبر السودان أول دولة أفريقية تثور بنجاح ضد الإستعمار عندما رفع المهدي السلاح ضد الأتراك عام 1881م وأنشأ دولة مستقلة. وعندما مجيء دولة الثورة المهدية لم تنجح في تأسيس نظام حكم مدني يقوم على وجود للأحزاب السياسية. وبعد زوال حكم المهدية استسلم السودانيون للاستعمار الانجليزي بسلام إلا أنهم طوروا سريعاً درجة من الوعي والإدراك acumen السياسي والإداري أهلهم للحكم الذاتي والاستقلال قبل هبوب رياح التغيير على أفريقيا.

لم يتم الاتفاق على نمط معين من الحكم في الفترة التي سبقت الاستقلال حيث اتسمت بطابع «نحن نفرق وهم يحكمون». ويعتبر عام 1924م مفصلياً في التاريخ السوداني المعاصر حيث خطط بعض السودانيون الإتحاديين والقوميين المصريين المصريين عصياناً insurrection مسلحاً ضد الحكومة هدف أن يشمل مجمل القطر بأمل طرد البريطانيين خارج السودان وفتح طريق الوحدة بين مصر والسودان^٩. وقد استمرت فكرة المهدية في الازدهار حتى تحت الحكم الإستعماري بصرف النظر عن حقيقة أن الحكام البريطانيين تعاملوا معها بشك وفضلوا السيد على الميرغني قائد الطريقة الختمية الصوفية الأكثر هدوءاً docile عليها. لقد كانت هزيمة حزب الأمة في أول انتخابات عامة في عام 1953م بواسطة تحالف العلمانيين secularists والختمية الداعمين لهم، بمثابة هدنة setback مؤقتة فقط. وعند استقلال السودان في عام 1956م، واجهت السطوة المهدوية Mahadism supremacy تحدياً من قبل الختمية والمجموعات الأخرى، إلا أن الدعم الواسع وسط الأنصار، وهم حركة إسلامية سياسية، مكنها من الحصول على السيطرة السياسية.

برزت الأحزاب السياسية السودانية كتنظيمات رهنت نفسها في البدء لإدراك وفهم إستقلال السودان عبر عدة طرق ووسائل مختلفة^{١٠} حيث وجدت تيارات حزبية إبان الاستقلال شملت التيار السياسي القائم على الطائفية (حزب الأمة، الأشقاء الذي أصبح الحزب الوطني الإتحادي قبل أن ينشق عنه حزب الشعب

الديمقراطي)، والتيار الإسلامي غير الطائفي المستند على الصفة الإسلامية الإتجاه (حزب جبهة الميثاق)، والتيار اليساري (الحزب الشيوعي السوداني، بجانب الليبراليين، والمستقلين، والجمهوريين، والقوى السياسية الإقليمية وعلى رأسها القوى السياسية الجنوبية⁽¹¹⁾.

تشكلت السياسة السودانية تحت تأثير التيارات الفكرية لهذه الأحزاب المتباينة باعتبار السودان «كوناً مصغراً» microcosm خلال القرن العشرين نتيجة لتداخل العديد من العناصر المفتاحية في تاريخ أفريقيا الحديث والتاريخ الشرق أوسطي. فقد لعب الطلب الدينامي المستمر للإسلام ومهو الحركات القومية الحديثة وبروز بعض الايدولوجيات مثل الشيوعية دوراً مهماً في تاريخ السودان المعاصر⁽¹²⁾. وقد ساهم عدد من العوامل في بروز الأحزاب السياسية في السودان⁽¹³⁾. أولاً، كان هناك عدم اتفاق وصراع discord بين الدوائر الوطنية في ما يلي الإدراك والوعي بالوسائل الأكثر ملائمة لاستقلال السودان. فقد بنى بعض الوطنيين منهجاً حركياً militants، بينما بحث آخرون لتحقيق هدفهم المنشود عبر التعاون مع الحكومة الإستعمارية رغم معارضتهم لها. وفي هذا السياق كسب الحركيون militants اليد العليا، ولكنهم مع تطور الصراع مع الحكومة اتجهوا نحو مصر طلباً للدعم. وقد فاقم عدم الإتفاق المصاحب لعلاقة السودان السياسية مع مصر حدوث تقسيمات أكثر في الحركة الوطنية. أما ثانياً، فقد خلقت الصعوبات الإقتصادية التي سادت السودان خلال الحرب العالمية الثانية قلقاً وتوتراً discontent وسط مختلف التقسيمات السكانية. استغل الحركيون هذا الوضع في تحريك الدعم السياسي لمطلبهم بالمساهمة المباشرة والمؤثرة للسودانيين في حكومة بلدهم. أما ثالثاً، فقد عملت المنافسة بين القائدين الدينيين الرئيسيين كقناة أخرى لنتشر الصراع الوطني وسط سكان الريف. وعلى خلاف قائد طائفة الختمية كان للسيد عبد الرحمن المهدي طموحات سياسية واضحة. وفي ضوء الجدل المتطور حول علاقة السودان مع مصر، أصبحت المواضيع السياسية مرتبطة ارتباطاً حتمياً in-tertwinced بالاهتمامات والرغبات غير الدينية «العلمانية». أما رابعاً، فقد أثرت التوجهات والتطلعات البريطانية والمصرية تجاه المستقبل السياسي للسودان على الالتزامات الوطنية nationalist commitments. فالتوجهات البريطانية نقلت الإنطباع بأنها لا تهدف لضمان الاستقلال للسودان بل لتمديد أمد الحكم الثنائي نوعاً ما. و على الجانب الآخر بالنسبة للمصريين فقد تحدثوا عن وادي نيل حرّ ومتمحد على أن تكون الإدارة الداخلية للسودان ملكاً له. وتبعاً لذلك انقسم الوطنيون السودانيون حول إن كان الإتحاد أو عدم الإتحاد مع مصر هو أقصر الطرق للاستقلال.

التيارات الفكرية للأحزاب السياسية السودانية الرئيسية:

شملت الأحزاب السياسية السودانية الرئيسية الحزبين التقليديين الرئيسيين وهما حزب الأمة، وحزب الأشقاء الذي أصبح الحزب الوطني الإتحادي قبل أن ينشق عنه حزب الشعب الديمقراطي، والتيار اليساري (الحزب الشيوعي السوداني)، بجانب الليبراليين، والمستقلين، والجمهوريين، وبعض القوى السياسية الإقليمية. وسيقتصر موضوعنا على بعض منها.

تيار الفكر الشيوعي السوداني:

عملت الشيوعية العالمية لتخليص العالم الإسلامي من سيطرة الأقطار الأوروبية الإمبريالية وأولها بريطانيا العظمى. وفي أحد تقارير مكتب الاستخبارات البريطانية في السودان في منتصف العشرينيات أن

البلشفية تهدف لتحطيم الإمبراطوريات الرأسمالية مثل بريطانيا وفرنسا أملاً في إنشاء حكومة بلشفية على هذه الأنقاض. وقد وضع اعتبار خاص لمصر والسودان، اللتين شهدتا انتفاضتين ضد البريطانيين في عامي 1919 و 1924م، وأظهرتا أدوات إيجابية في التعامل مع بريطانيا وتحقيق ضربات موجعة كما قدمت للشوعية العالمية فرصة لمحاولة إضعاف بريطانيا ليس فقط في ذلك الجزء من العالم، بل في كل المستعمرات البريطانية⁽¹⁴⁾. في منتصف عشرينيات القرن الماضي كانت المخابرات البريطانية متخوفة دوماً بأن يقع السودان في مدار عمليات الشوعية العالمية لموسكو حيث كانت مصر أحد مراكز هذه العمليات. واعتقدت البلشفية بأنه يمكنها تبني تكتيكين في هذا الموضوع. تتضمن التكتيك الأول أن يُقصر التأثير البلشفي نفسه على تطوير ودعم fostering أي توجهات ثورية subversive tendencies يجدها جاهزة لسلك بريطانيا سلوكاً معاكساً لأي سخط discontents محلي. أما التكتيك الثاني فقد وجهت فيه الوكالات البلشفية في القاهرة على تشكيل تحالف مؤقت مع المكونات المحلية للقومية المصرية على ألا ينسوا هدفهم البعيد لأنه بالرغم من أن القومية المصرية هي حركة برجوازية إلا أن توجهها يعتبر مفضلاً للسياسة البلشفية لتقليل وضعية بريطانيا العظمى. ولتطبيق هذه التكتيكات دخل البلشفيون في تحالف منفصل مع حزب الوفد وأحزاب الوطنيين⁽¹⁵⁾.

اهتمت الاستخبارات البريطانية في الخرطوم الحزب الوطني المصري- مثل حزب الوفد- على الدخول في تحالف مع الشوعية العالمية بغرض التأثير على الإنتفاضة السودانية في عام 1924م بقيادة جمعية اللواء الأبيض وتحويلها لحركة مناهضة للبريطانيين وبذلك تخدم أغراض مصر والبلشفية باضعاف البريطانيين في مصر والسودان. ولكن في الحقيقة لم هناك أي تعاطف من الحزب الوطني المصري مع الشوعية العالمية بحيث يلعب دوراً في هذه المواضيع مما أدى لفشل التقرير الاستخباري⁽¹⁶⁾.

عرف السودان الشوعية مباشرة خلال فترة الأربعينيات من القرن الماضي عن طريق مصر وهربرت ستوري Herbert Storey. وقد مرت الشوعية المصرية عبر مرحلتين، كانت أولهما في فترة العشرينيات تحت قيادة جوزيف روزنثال ومجموعة الإسكندرية حيث ظهرت أولاً كحركة اجتماعية ومن ثم ثانياً كشوعية كاملة الدم. وقد أثرت خلال هذه الفترة على بعض المتعلمين المصريين وبعض النقابات العمالية وعدد قليل من العمال. كما حاولت، رغم فشلها، ضم الشوعية العالمية Comintern لتعمل كممثل رسمي لها في هذا الجزء من العالم، وعلى ذلك افترضت لنفسها الدور الذي اولته entrusted تلك المنظمة مسبقاً للأحزاب الشوعية في الاقطار الأوروبية الإستعمارية. وقد تلقت جهود الشوعية المصرية خلال المرحلة الأولى ضربة مميتة في منتصف العشرينيات على يد سعد زغلول قائد حزب الوفد عندما بدأ ينظر في أنشطة الشيوعيين كتحدي جدي لسيطرة حزب الوفد في السياسة المصرية⁽¹⁷⁾. يقسم قادة العالم الشيوعي في ذلك الوقت العدد القليل من الشيوعيين الأفارقة لستة أحزاب معروفة، يوجد في السودان أربعة منها، وثلاثة في المغرب، وإثنان في جنوب أفريقيا⁽¹⁸⁾. وقد حاول عرفات محمد عبد الله من خلال مجلة الفجر تشكيل العالم من حوله دون توفر الشروط القليلة للنجاح، عن طريق إعطاء الأسباب صفة البطولة. لقد تعارض هذا مع قناعاته الاتحادية السابقة مع مصر حيث أصبح عدواً لها ولسياساتها في السودان⁽¹⁹⁾. وقد صدرت ثلاثة كتب في السنوات القليلة الماضية تختص بالشوعية في السودان، صدر أحدها بالاعتماد على وثائق الحزب الشيوعي السوداني من الحزب الشيوعي البريطاني⁽²⁰⁾.

أنى الحزب الشيوعي السوداني للوجود بشكل منظم من مصر بعد نصف عقد من الزمان على الأقل قبل أن يتطور في السودان. فمنذ أوائل الأربعينات تشكل قسم داخل الحركة المصرية للتحرير الوطني وهي واحدة من العديد من المنظمات الشيوعية في ذلك الوقت، ومن العناصر النوبية والسودانية للنظر في مصالح السودان. وقد اعتاد هنري كوريل Henry Curiel، حتى قبل الضغط clamp down على الشيوعيين من قبل صدقي باشا في عام 1946، على وضع حمل كبير على القسم السوداني ليتحمل الكثير من أعمال الحركة الشيوعية. وفي معظم الوقت كانت مجموعة أم درمان وجناحها «أم درمان» من بين أكثر المؤسسات نشاطا وسط الشيوعيين المصريين، وخاصة وسط اليسار الذي كان تحت سيطرة كوريل Curiel. كان السودان دوماً نقطة الضعف Achilles heel للأحزاب السياسية البرجوازية المصرية حيث كان هذا الضعف المؤسسي مسؤولاً للحد البعيد عن التوجهات «الفصامية» لتلك الأحزاب تجاه مواطنيها. ففي سويداء قلوبهم اتفقت تلك الأحزاب على كسب مصر للسودان⁽²¹⁾. لقد تأسس الحزب الشيوعي السوداني في عام 1946 وبدأت بواكره agitation وسط عمال السكك الحديدية والطلاب حيث تموضعت قواعده الإجتماعية لحد كبير وسط القطاع الحديث للمجتمع في السودان. لم تحقق «الأحزاب البرجوازية» الأغلبية في «القطاع التقليدي» فقط فقد عرّف الحزب الشيوعي إشكاليات shackles القطاع التقليدي بأنه أحد المشاكل التي قادت لإنقلاب 1958. وقد حُجّمت الإجراءات التي أتخذت ضد الحزب الشيوعي السوداني عقب ثورة 1964م من نشاطه وشجعت الأحزاب البرجوازية لدفع العامل الديني بعمق أكثر في السياسة حتى تحمي مصالحها ضد الحركات الشعبية mass movements⁽²²⁾.

تيار الفكر الإسلامي السوداني:

كانت حركة الإخوان المسلمون مصريةً بدأها في الأصل حسن البنا في الإسماعيلية عام 1928م، وانتشرت بسرعة شديدة بخاصة وسط الطبقة الدنيا الوسطى وتدرجياً أصبحت حركة سياسية رغم عدم تأسيسها لحزب سياسي وشاركت في الحرب بين إسرائيل والعرب عام 1948. بدأ بعض الطلاب السودانيين الذين يدرسون في القاهرة في الأربعينيات فرعاً للإخوان المسلمين كان منهم جمال الدين السنهوري وصادق عبد الله عبد الماجد والذين أرسلتهما حركة الإخوان المسلمين المصرية في عام 1946م لاستقطاب أعضاء لها في السودان. ونجحوا في تأسيس فروع لهم في مختلف المدن الصغيرة في عام 1947/49 ولكنهم منعوا من العمل المفتوح ما لم يعلنوا استقلالهم من الإخوان المسلمين المصريين باعتبارهم غير شرعيين في ذلك الوقت. وكان من الرواد الأوائل لهذه الجماعة في السودان الأستاذ الصايم محمد ابراهيم وهو مدرس سابق في حنتوب الثانوية والذي أسس حركة التحرير الإسلامي في كلية غردون عام 1947م لمحاربة الشيوعية. وقد نادي قادة حركة الإخوان المسلمين في السودان مثل بابكر كرار ومحمد يوسف بإنشاء دولة إسلامية اجتماعية⁽²³⁾. ويسير حسن عبد الله الترابي إلى ضرورة التمييز بين الأسلمة باستخدام الأدوات التصحيحية coercive للدولة وعملية التحول للإسلام والتي كانت جزءاً رئيسياً من التاريخ السوداني خلال الخمسة قرون الماضية. وقد تم النظر لذلك في الأطر السياسية التي حدث فيها الإسلام وتقصى البعض طبيعة الأثر القانوني لهذا التطور الدراماتيكي البعيد المنال⁽²⁴⁾. أصبح التأثير المتصاعد للحركة الإسلامية في السودان ممكناً نتيجة لعوامل عديدة تشمل وجهات النظر التحررية لقائدها حسن الترابي، ووجهات النظر المعاكسة للصفوة التي

لعبت دوراً في تغيير الحركة من التركيز حول الصفوة الى حركة سياسية أكثر شيوعاً. لا وجود لمرجعية فقهية أو إرث من الدين الإسلامي يتم الاستناد عليه كنموذج لحكم إسلامي للحكم⁽²⁵⁾. لقد تغيرت وجهة نظر الحركة الإسلامية تجاه دور المرأة في الحياة الاجتماعية حيث لعبت دوراً مهماً في دعم موقفها وسط النساء المتعلّقات في السودان، وفي البنية التنظيمية المتطورة والاستراتيجيات المتجددة وسط الطلاب والعسكريين وأعضاء النقابات التي لعبت دوراً في وجود هذه الحركة وسطهم. كما أن بروز المؤسسات الاقتصادية الإسلامية، مثل بنك فيصل الإسلامي، قد دعم أيضاً المشهد السياسي في السودان لصالح الحركة الإسلامية⁽²⁶⁾.

تيار الفكر الجمهوري:

أتى محمود محمد طه من خلفية بسيطة humble background من المزارعين المتوسطي الحال من مدينة رفاة الصغيرة. وتلقى تعليمًا ابتدائيًا «علمانيًا» secular، وفيما بعد تلقى تعليمًا عاليًا في كلية غردون التذكارية حيث تخرج مهندساً. وقد أثرت دراسته في كلية غردون تأثيراً بعيد المدى، ليس فقط على حياته المادية حيث تخرج مهندساً، بل والأكثر أهمية على افكاره ورؤاه تجاه الإسلام والمواضيع الاجتماعية التي تأثرت بالأفكار الغربية. وعند تأسيسه الحزب الجمهوري في عام 1945م اختار له اسم «الجمهوري» لرغبته في تمييز نفسه بتقديم بديل للحزبين السياسيين الكبيرين الموجودين وهما حزب الأمة الذي يدعمه الأنصار وعبد الرحمن المهدي والحزب الوطني الاتحادي (في ما بعد حزب الشعب الديمقراطي) والذي يدعمه الختمية وعلى الميرغني. وقد طرح الإخوان الجمهوريون فكرهم هذا بمثابة بديل للطرق الصوفية في السودان وبذلك لا يخرجون عن عباءة الفكر الصوفي المتجذر في السودان وما لعبه من أدوار في أسلمة السودان وفق ما أشار له منصور خالد⁽²⁷⁾ «لعب الإسلام الأفريقي، أو ما كان يسميه البلدانون (الجغرافيون) ببلاد أفريقيا دوراً هاماً في أسلمة بلادنا..... بلاد أفريقيا عند البلدانين هي المنطقة التي تبدأ من تونس وتنتهي عند السهل الأفريقي بممالكه التاريخية: مالي، كانم، سانغاي، تمبكتو، وداي. إشعاعات ذلك الإسلام انبعثت من القيروان ومن مسجد عقبة تفرقت تلك الإشعاعات وانتشرت مرسله ضوءها وحرارتها الى الزيتونة بتونس الخضراء، وقلاع التجانية في عين ماضي بالجزائر، وجامعة القرويين بفاس، ومرابط العلماء في صنهاجة وشنقيط وتمبكتو. هذه هي المراكز الأولى التي انداح منها الإسلام الصوفي على السهل السوداني الكبير (السهل الأفريقي) ثم من بعد إلى ما كان يعرف بالسودان المصري قبل أن ينتهي إلى السودان الإنجليزي. دون إنكار للدور الذي لعبه متصوفة ذلك الزمان الذين وفدوا الى السودان من المشرق (أرض الحرمين)، ومن الشمال (مصر)، كان لمتصوفة أفريقيا الإسلامية القدح المعلن في نقل الإسلام للسودان: القادرية ببطونها وأفخاذها، التجانية، الشاذلية الجزولية. حلّ ببلادنا أولئك الأشياخ بدءاً بسودان الغرب (دارفور وكردفان) ثم انتشروا من بعد في وسطه المنبسط»⁽²⁸⁾.

أعلن الإخوان الجمهوريون منذ البداية دعوتهم دعوةً تجديدية للإسلام حتى يتمشى مع إنسانية القرن العشرين وقد ساهم محمود محمد طه في الأيام المبكرة في مقاومة السودان للاستعمار، إلا أنه حول حركته سريعاً إلى جهد للإصلاح الديني معتمداً على قراءته الراكية للقرآن⁽²⁹⁾ وذلك بإعادة فهم شامل وروحي mystical للإسلام الذي ينهي التمييزات التقليدية القانونية ضد المرأة وغير المسلمين وأن هناك خلط جدي بين القانون والدين أو «الروحانية» mysticism⁽³⁰⁾، «الشرعية غير ديموقراطية، الرأسمالية وعدم

المساواة discriminatory ليست الإسلام كله، ولكنها مجرد مرحلة للقانون الإسلامي. نحن نعتقد أنه ليس مستحيل فقط بل من الضرورة imperative إعادة تفسير القرآن وفهم السنة. الفترة الماضية من الشريعة كانت مجرد مرحلة إنقالية. العصر الذهبي سيأتي ... عندما يبشر preached بالإسلام ويقبل كنظام حرّ tolerant وعادل وديموقراطي واشتراكي حيث يتساوى الرجال والنساء ويكونون أحراراً لاعتناق أي دين يريدونه.....»⁽³¹⁾. وعلى هذا الوعد قدمت مجموعة من المجددين أو الإصلاحيين المسلمين في السودان مفهوماً جديداً للإسلام يقولون أن وقته قد جاء⁽³²⁾. وقد نظر البريطانيون لمحمود محمد طه كراديكالي حيث سجن في أواخر الأربعينيات. ويعتبر السجن فارقاً مهماً في حياته حيث مرّ عبر التجربة الروحية والتحول من مفكر «مادي» إلى مفكر «روحي» بحيث تطورت التجربة إلى عقيدة دينية تعتمد على تفسير جديد للقرآن⁽³³⁾.

اعتمد تفسير محمود محمد طه على تجديد القرآن المكي كأفكار ومثل أصلية في الإسلام. وكانت أحد أهم مهامه هي كيفية تقديم الإسلام للمساواة بين الرجل والمرأة وبين المسلمين وغير المسلمين كمواطنين في نفس الدولة ولهم حقوق متساوية حيث يعتبر الفكر الجمهوري حركة اجتماعية تمارس فيه مساواة المرأة والرجل⁽³⁴⁾. تأتي الأهمية الحقيقية لمحاكمة وإعدام الأستاذ محمود محمد طه في التساؤلات التي رفعتها حول مكان الشريعة في العالم الحديث. والمهم بخاصة هنا هي العلاقة بين معتقد المسلم الصادق وتوافقه مع فحوى القوانين purporting التي تشتق من ذلك الاعتقاد. وفي الغالب يعتبر التوتر بين العقيدة والشريعة legalism واضحاً في مبدأ الردة apostasy في الشريعة. فالقبول الواضح والمباشر candid لهذا العنصر أو العامل الديني المتطرف أو المحدود أو الضيق الأفق religious intolerance هو مطلب أساسي لنجاح أي محاولة لضمان الإحترام الكامل للحرية في الدين⁽³⁵⁾.

تيار الحركات الإقليمية:

شهدت السياسة السودانية منذ الستينيات بروز العديد من الحركات الإقليمية التي يتضح عند دراستها وتفحصها بأنه ليس بالأمر المدهش أن السودان قطر كبير ذو تعددية ثقافية عظيمة مربوط فقط بحدود وهمية فرضها الحكم الإستعماري عليه. فبروز الإقليمية كعامل سياسي هو ظاهرة حديثة نسبياً تحتاج أن تدرس وتحلل مقابل خلفيتها التاريخية المحددة⁽³⁶⁾. وقد أقحمت الحركات العمالية الأفريقية نفسها حتماً في صراعها ضد الإستعمار الذي عمّ القارة في سنوات ما بعد الحرب. وحقيقة أن العمال كانوا واحداً من قليل من المجموعات المنظمة في المجتمع. وقد جعل الوضع الاستراتيجي الذي حظيت به في الإقتصاد الحديث وفي المراكز الحضرية والتطلعات والآمال الطبيعية للعمال كمواطنين عاديين، دخولهم واقحامهم في السياسة القومية أمراً لا يمكن تفاديه. لقد كان هناك تعميماً يفترض أهمية دور العمال في السياسة الوطنية. وفي فترة ما بعد الاستقلال كان من النادر لنقابات العمال الأفريقية أن تكون أدوات للأحزاب السياسية لدرجة كان يتم فيها تجاهل دورها في المشهد السياسي⁽³⁷⁾. لقد دُرّس دور النقابات العمالية trade unionism والطبقة العاملة في تطور القومية المصرية خلال النصف الأول من القرن العشرين. وقد شكلت جدلية الطبقة والشعب وتكوين طبقة جديدة من العمال مدفوعي الأجر محورياً مهماً بحكم أن مصر قد خبرت نوعاً خاصاً من النمو الرأسمالي، وتم وضع ولاء العمال لمختلف أشكال الوعي والتنظيم والعمل الجماعي في إطار سياسي

اقتصادي تم بناءه وهيكلته بالاعتماد على واقع السيادة الأجنبية والنضال من أجل الاستقلال الوطني⁽³⁸⁾.
 أنى مغزى أو مرمى حركات التحرر القومية للسياسة الأفريقية نتيجةً لنجاحات الحروب المعاصرة
 مثل حروب تحرير زيمبابوي وموزمبيق وأنجولا وغينيا بيساو ونامبيا أيّ حيثما تجذرت حكومات الأقليات
 البيضاء. وقد طورت فيه القومية الثورية المشاركة الشعبية الواسعة في حروبها مع هذه الأنظمة. واشتهرت
 هذه الأنواع من المقاومة البطولية وأوجدت ثقافة ثورية ديناميكية أنتجت وحدة قومية للمقاومة. ووجدت
 هذه الحركات القومية في أحسن الأحوال السند الشعبي رغم مشاركته النادرة، بينما في أسوأ الأحوال تحولت
 القوة للصفوة التقليدية المحلية أو الطبقات البرجوازية والذين لم يكونوا أكثر من مجرد نسخ من سادتهم
 السابقين حيث حفظت سيطرتهم جيداً بعامل التغير المهم في التركيبة الاقتصادية⁽³⁹⁾.

تقدم بعض الأوساط الأكاديمية الصراعات المسلحة في أفريقيا في إطار الصراع العرقي داخل الدول
 الضعيفة، إلا أن الصراعات المحلية في السودان لم ترتبط بذلك فقط بل لها ارتباط وتداخل مع مصالح
 الحكومات المتعاقبة والمجموعات المعارضة والمنظمات المتمردة في الإقليم الذي يشكل السودان جزء منه.
 فهناك علاقات متداخلة بين الصراعات في السودان وتشاد ترتبط باتفاقية السلام لعام 2005، والجيش الشعبي
 لتحرير السودان. ويؤكد هذا ضرورة عدم اتخاذ الدولة فقط كوحدة لتحليل الصراع بل من الضرورة دراسة
 المجال الإقليمي الذي تحدث فيه الصراعات أيضاً⁽⁴⁰⁾.

المناقشة: تحديات الفشل في تحقيق الحوكمة السياسية:

بعد أن استعرضنا ملامح البناء الفكري لبعض الأحزاب السياسية السودانية سنناقش في ما تبقى من
 المقال تحديات فشل الأحزاب السياسية في تحقيق الحوكمة السياسية بإيجاد نظام سياسي مستقر في البلاد.
 ترتبط هذه التحديات بمتبعيات السياسة البريطانية الاستعمارية وتحديات التنمية وبعض السياسات الثقافية
 تجاه بعض الأقاليم السودانية.

تعزى بعض المشاكل السياسية في السودان للسياسات الإستعمارية، ولكن العديد منها أوجدته
 الصفوة الحاكمة بعد خروج الإستعمار⁽⁴¹⁾. لقد عمل الإستعمار البريطاني على استغلال الدين لتمزيق الوحدة
 الوطنية في السودان، فقد كانت حملات التبشير المسيحي في جنوب السودان تعمل على نشر المسيحية
 والتحريض ضد الدين الإسلامي وتصويره على أنه ديانة عنصرية⁽⁴²⁾. وبذلك أصبحت الاختلافات الدينية في
 السودان أحد أسباب الصراع وعدم الاستقرار السياسي، حيث أدت محاولات المسلمين لتطبيق الشريعة
 الإسلامية - دين الأغلبية - إلى معارضة الأقليات غير المسلمة، خاصة في جنوب السودان، ذلك أن السياسة
 الإستعمارية التي سبقت الإشارة إليها أدت إلى أن يكون الجنوب «مكوّنًا من أغلبية تدين بأديان قبلية، وفئة
 مسلمة، وصفوة جنوبية مثقفة ترى في أفريقياتها وثقافتها الإنجليزية عاصماً من الاستعراق، وفي مسيحيتها
 عاصماً من الإسلام، وفيهما معاً هوية مميزة»⁽⁴³⁾.

أخذ الجانب اللغوي مكاناً في المشروع الإستعماري لابتكار الوحدات العرقية و«الوحدات القبلية»
 و«المناطق المقفولة» self-contained في السودان. فقد رمت السياسة الإستعمارية تجاه النوبة لبناء هويات
 عرقية قبلية مزيفة لهم في جبال النوبة. وكانت اللغة والتعليم هما الأدوات المستخدمة لتكملة هذا المشروع
 المبتكر. كما أن مسالك السياسة اللغوية الموجهة من قبل الدولة في السودان قد حركت استراتيجيا الإطار

اللغوي-التعليمي التقليدي والاجتماعي - اللغوي كوسيلة لفرض الايدولوجيات القومية. ومن خلال الإطار الاجتماعي المثلث بالتوترات والتناقضات في السودان تم اختيار التمثيل الواقعي graphic representation الذي يعتبر مزاجاً للحراك السياسي. وعلى ذلك يعتبر التعليم ممارسة ايدولوجية بطبيعتها. هناك تداخل في محتوى السياسات اللغوية الإستعمارية وما بعد الإستعمارية حيث استخدمت الموارد المتنقلة discursive manipulated resources كمواقع للمقاومة الاجتماعية حول توزيع الموارد المادية في السودان⁽⁴⁴⁾.

ورث السودانيون بعد خروج الإستعمار قطراً مقسماً ومكبلاً encapsulated بحدود مزيفة تجمع بالقوة بين «العرب» والمسلمين «الأفارقة» والمسيحيين والأديان الأخرى⁽⁴⁵⁾. وعندما أصبحت الدول الأفريقية الأخرى مستقلة في وهج البريق البرماني، غيّر السودان ديمقراطيته إلى ديكتاتورية عسكرية. ففي أكتوبر 1964م قامت الحكومة العسكرية السودانية بسفك قليل من الدماء وإعادة بناء حكومة برلمانية عندما كانت الديموقراطيات الأخرى تتسلك تجاه حكم الحزب الواحد أو الديكتاتورية العسكرية⁽⁴⁶⁾. واعتبرت ثورة مايو 1969 ثورة للتوافق، واعتبرت حكومتها في الفترة 1969-1977 حكومة الأمل euphoria والوعد، بينما اعتبرت في الفترة 1977-1985 حكومة مشوهة transfiguration، وأعتبرت انتفاضة أبريل 1985 ثورة لم تكتمل⁽⁴⁷⁾. وما عدا فترات قصيرة حكم فيها السودان المستقل بواسطة ما يسمون بالعلمانيين السودانيين في الفترة 1953-56 عندما تضامنت الختمية مع قوى المثقفين، ومرة أخرى بين 1964 ومارس 1965 عندما حكم البلاد حكومة علمانية انتقالية غير منتخبة والتي جردت من كل سلطاتها ousted بمجرد ما أعادت القطاعات السياسية الأخرى السيطرة السياسية، وقد بقيت العلمانية تحت الديكتاتورية العسكرية لحكم جعفر النميري بين 1969 و 1977⁽⁴⁸⁾، كما وجدت تعاليم الصوفية معارضة من الأصوليين الدينيين والمتعلمين في شمال السودان⁽⁴⁹⁾.

شهد السودان حروباً داخلية منذ استقلاله في يناير 1956م وشهد عشر سنوات فقط من السلام في الفترة 1972-1983. وفي قلب هذه الصراعات تكمن أزمة الهوية القومية. فالذين تولوا السيطرة السياسية على السودان يُعرفون أنفسهم بأنهم عرب ومسلمون ينتمون للشرق الأوسط أكثر مما ينتمون لأفريقيا السوداء رغم أنهم في الأساس عرب-أفارقة. فملاحمهم الفيزيائية تشبه المجموعات الأفريقية في الإقليم وثقافتهم خليط من الثقافة العربية والإسلامية ويوجد بجانبها النظم والثقافات المحلية⁽⁵⁰⁾. ومن الممكن فهم صعوبة تحقيق الاستقرار السياسي في السودان عندما يوضع في الاعتبار السمات الثقافية والسياسية والديموغرافية الأصيلة والقوية التي تميزه⁽⁵¹⁾. وتعتبر هذه السمات بمثابة إرث يستخدمه المجتمع كمورد اجتماعي وسياسي أو اقتصادي. ويعتبر الإرث مفتوحاً للتفسير ويمكن ادراك قيمته من وجهات نظر مختلفة تعكس في الغالب التقسيمات في المجتمع. كما يؤدي إنقسام أو إنشقاق schism الاستخدامات الثقافية والإقتصادية لبروز صراع قوي على المصالح⁽⁵²⁾. وهناك علاقة بين هذا التكوين والهويات السياسية تعزى لوجود هرمية تاريخية مؤسسية تكونت في الإطار السياسي للسودان. وتمكّن هذه الهرمية من التعرف على مركزية الأسطورة التاريخية للاسترقاق والإستعمار في السودان ما بعد الإستعمار⁽⁵³⁾. وقد ترتب على تباين مصادر الفكر السياسي للأحزاب السياسية السودانية تباين الرؤى في العمل السياسي بحيث نتج عنه الكثير من التوترات الداخلية والخلافات السياسية dialectics على المستوى الإقليمي⁽⁵⁴⁾.

تعتبر التنمية الإقليمية غير المتوازنة بين السودان «الشمالي» و «الجنوبي» جزءاً من الاختلافات المرّة والمحزنة بين الإقليمين⁽⁵⁵⁾. أصبحت الفيدرالية المتجذرة في التاريخ السياسي للسودان موضوعاً مركزياً في الحوار السياسي في جنوب السودان⁽⁵⁶⁾. ويقود «الصفوة» في شمال وجنوب السودان، كما هو الحال في الدول الضعيفة القدرات low-capacity states موضوع «القومية»⁽⁵⁷⁾ وتُرى المواجهات بين الأفارقة والعرب في وادي النيل كصراع حول القومية، أحدهما متجذر في الأفريقية والآخر في العروبة⁽⁵⁸⁾. ولم يكن الدين لفترة طويلة من الزمن عاملاً للصراع بين مسلمي شمال السودان والأفريقيين التقليديين في جنوب السودان⁽⁵⁹⁾. تعزي المدارس التقليدية في تحليل الصراع بين شمال وجنوب السودان للأسباب العرقية والقبلية والثقافية والدينية، وتركز العرقية على الجانب العرقي في كل تفسيراتها لهذا الصراع مما يعيق الجهود الأصلية لتقليله وإدارته⁽⁶⁰⁾. فقد كانت الحرب الأهلية الأولى بين شمال وجنوب السودان 1955-1972، تجميعاً لمشاكل عرقية ودينية وسياسية واقتصادية واجهت السودان منذ مجيء الحكم التركي-المصري في عام 1821م، وقد شمل هذا الصراع قوى خارجية لها مصالح في السودان⁽⁶¹⁾.

تعتبر الحروب الأهلية صراعاً بين هويات متناقضة بين شمال وجنوب السودان، خاصة وأن الهوية تعرف في الأطر العرقية والثقافية واللغوية والدينية وتبين كيفية تعريف الناس لأنفسهم. ويؤثر التساؤل عن الهوية في طبيعة المشاركة السياسية والاجتماعية والثقافية في السودان حيث يوجد فيه تباين anomalies واضح في نماذج صراع الهوية. هناك النموذج العربي-الإسلامي في شمال السودان والنموذج الأفريقي في جنوب السودان. ورغم اعتبار سكان شمال السودان عرباً إلا أنهم في الحقيقة هجين من العناصر العربية والأفريقية حيث تسود الخصائص الجسمانية الأفريقية في معظم المجموعات القبلية. وقد حدث هذا نتيجة للعملية التاريخية التي صنفت الأعراق والثقافات والأديان «طبقياً» ودعمت «المرور» إلى داخل النموذج العربي-الإسلامي الذي تميّز بمقابل الثقافات والعرق الأفريقي بحيث نتج استقطاب اعتمد أكثر على الأسطورة منه على الواقع. وتعمّدت أزمة الهوية أكثر بسعي سكان شمال السودان في تشكيل القطر وفق الهوية العربية-الإسلامية⁽⁶²⁾.

تعتبر سياسة السودنة باستخدام اللغة العربية والدين من قبل الحكومة السودانية إساءة واعية وشاملة للقيم التقليدية، وللمنظومة الاجتماعية ولثقافات الجنوب من قبل الشمال. وقد وصل التغير في السياسة اللغوية قمته في عام 1949م عندما أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للسودان⁽⁶³⁾. ويعتبر تسييس اللغة العربية politicization of Arabic في السودان منتجاً لممارسات الإستعمار البريطاني والذي خطط للخلط بين اللغة العربية والإسلام كهوية ذات صبغة مكانية pigmented. وقد نتج من تلك العملية «السودان الشمالي» مقابل «السودان الجنوبي». وقد دعم حكام ما بعد الإستقلال هذه السياسة اللغوية الإستعمارية⁽⁶⁴⁾. حدث في السودان على مدى قرون عملية تعريب تضمنت الإنتشار التدريجي للهوية العربية واللغة العربية وسط السودانيين الشماليين. وقد فضلت السياسات البريطانية الإستعمارية صفوة قليلة من خلال «المجتمعات العربية» والذين ذهبوا لتطوير مفهوم الهوية القومية العربية السودانية بوعي في عملية تبني لمصطلح «سوداني» المشتقة من الكلمة العربية سواد. وبعد خروج الإستعمار في عام 1956 أرجع هؤلاء القوميون أو الوطنيين التعريب في شكل سياسة رسمية ل نشر propagate اللغة العربية سريعاً عبر البلد.

وتتناقض هذه السياسة مع سياسة الحكم البريطاني وكانت سببا في الحرب الاهلية في جنوب السودان وجبال النوبة وحديثاً في دارفور. وبعيداً عن العربنة Arabness فقد زادت سياسة التعريب من حدة sharpened غير العرب وبوعي نفسي الهويات الأفريقية «شاملة ثنائية ثقافية» في بعض الأحوال. وصحب سياسة التعريب نمو ايولوجية التعالي الثقافي والعرقية العربية وهي الأكثر تأكيداً في دارفور الآن⁽⁶⁵⁾.

لم يقتصر الأمر على جنوب السودان فقط ولكنه شمل مجمل القطر. وقد فشل صفوة الشمال في فهم طبيعة هذا التغيير مما تسبب في عجزهم عن معرفة العوامل الضرورية التي تقود لنجاح المفاوضات مع الجهات المتمردة⁽⁶⁶⁾. وينظر للصراع الأفريقي العربي في وادي النيل على أنه صراع قائم على القومية-na-tionalism، إحداهما متجذرة في الأفريقية والأخرى متجذرة في العروبة⁽⁶⁷⁾. وقد حدث في السودان وعبر قرون طويلة عملية «تعريب» تضمنت الانتشار التدريجي لكل من الهوية العربية واللغة العربية وسط سكان الشمال. وفي الفترة التي تلت انتصار الجيش البريطاني-المصري في عام 1898م فضلت السياسات الإستعمارية البريطانية «صفوة صغيرة» من هذه المجتمعات «العربية»، والذين عملوا على تنمية وتطوير مفهوم الهوية القومية العربية السودانية بوعي واضح في عملية تم فيها تبني مصطلح «سوداني».

وبعد خروج الإستعمار نشط القوميون في وضع السياسات التي تعمل على تقوية نشر اللغة العربية وعملية «التعريب» سريعاً في تخوم جغرافية تتحدث لغاتها المحلية مما يتناقض مع سياسات ما قبل الإستعمار الخاصة بالتعريب. وقد أصبح لهذا الوضع صلة بالصراعات المدنية في جنوب السودان وجبال النوبة ودارفور. وبالإضافة لنشر «العروبة» زادت حدة سياسة تعريب الهويات غير العربية «الأفريقية» بوعي صحبتها سياسة نمو لعقيدة الثقافة العربية والتعالي العرقي⁽⁶⁸⁾. وبالمثل كان لفرض القيم والعادات الإستعمارية أمراً مزعجاً unsettling بالنسبة لعلاقات «الجنردة». وفي جنوب السودان الأقل تنمية حيث اعتمد الرجال والنساء في تكوين جمعياتهم السياسية على القواعد الأولية grassroots التي تنظم وتدعم نفسها ذاتياً وأجبرت منظماتهم على تطوير استراتيجيات للبقاء في أطول حرب أهلية في أفريقيا. وفي الوسط النيلي والشمال الأكثر عمراناً وتطوراً وتسود فيه المؤسسات البريطانية البرلمانية والقوانين الرسمية اعتمد الناس أكثر في تكوين منظماتهم السياسية على المنظمات الهرمية مثل الأحزاب القومية والدينية sectarian إضافة لانتماءتهم السياسية، باستثناء إتحاد عام نقابات العاملين الذي كان عبارة عن تجمعاً هرمياً أنشاه الذكور. واتبعت النساء الشاليات نمط المنظمات التي أنشأها الذكور مشكلين جبهات مساعدة تعتمد على القواعد الأولية auxiliaries grassroots⁽⁶⁹⁾.

هناك نتائج كثيرة نجمت عن العمل السياسي للأسلاميين حيث أثرت تأثيراً كبيراً في السياسة السودانية وفي الصراع السياسي - الاجتماعي فيه. فقد أعلنت الدولة الإسلامية في السودان عقيدة متميزة هدفها المعلن هو خلق نموذج أولي للدولة الإسلامية⁽⁷⁰⁾. وبعد أربع سنوات من سقوط حكم جعفر النميري استمرت العلاقة بين الإسلام والدولة بأن تصبح موضوعاً شائكاً في السياسة السودانية. فقد بقي الموضوع الرئيسي في الأزمة السياسية السودانية الممتدة هو إما أن تعلن الدولة علمانية من وجهة نظر تعدد وتباين الثقافات والتركيبة العرقية وغيرها، أو أن تصبح دولة إسلامية لتدافع عن الأغلبية المسلمة للسودانيين الشماليين. وقد حصل السودان على استقلاله مثل بقية الشعوب الأفريقية قبل أن يتكون الشعب نفسه ولذلك أصبحت مهمة

تكوين الشعب هي الاهتمام القائم مستقطباً بحدة القوى الاجتماعية والسياسية. بالرغم من أن الإسلام يعتبر دوماً هو موضوعاً أساسياً في السياسة السودانية سيكون من البساطة الزائدة استعراض الصراع القائم في القطر في إطار الشمال «العربي» و «المسلم» مقابل الجنوب «الوثني» و «الأفريقي». ومنذ استقلال السودان تطور النقاش الوطني حول ثلاثة مواضيع شملت إدراك الهوية القومية، ومشاطرة القوة السياسية، والتنمية الإقتصادية-الاجتماعية غير المتوازنة⁽⁷¹⁾.

أدت الجهود التي بذلت في السودان لفرض الدولة الإسلامية والدستور الإسلامي على مجتمع متعدد-الأديان ومتعدد-الاثنيات لحرب أهلية طويلة، ولإنقلابات عسكرية لا نهائية، ولاضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية. فقد أتى المهدي في 1881م لتجديد وتنقية الإسلام وقد كانت في الحقيقة انتفاضة ضد حكومة إسلامية فاسدة هي الصفوة الحاكمة التركية-المصرية الأجنبية⁽⁷²⁾. وقد حقق السودان ثورة إسلامية بدون عنف. وعبر ثورة «زاحفة» بدأت في السبعينيات زاد الأصوليون الإسلاميون من سطوتهم عبر الثروة والسيطرة المنظمة على الخدمة المدنية، والإقتصاد، والقضاء والقوات المسلحة. وفي الحقيقة نجد أن الأحزاب السياسية الرئيسية في الشمال، باستثناء الحزب الشيوعي، قد انحازت للجهات الدينية حيث لا يعني هذا أن كل المسلمين يدعمون الشريعة. يشكل الأصوليون 20% من سكان السودان المسلمون ولكنهم أكثر غنى وأكثر دافعية. وقد صحت تطبيق الشريعة تقوية الحكم الديكتاتوري، وإضعاف المؤسسات، وسحق الحريات المدنية وتوسعيد الحرب الأهلية في جنوب السودان وتفاقم العلات الإقتصادية. وقد سببت الثورة قلقاً في واشنطن وبعض الدول العربية والأفريقية، ولكن لا لايوجد دليل بعد على أن السودان يشكل تهديداً مباشراً على جيرانه⁽⁷³⁾.

من أكثر العناصر التي برزت من انتخابات أبريل 2010م هو الغياب الكبير للأحزاب التقليدية الدينية التي سادت المشهد السياسي منذ الاستقلال، وتقوية التحالف العسكري-الإسلامي في الخرطوم منذ 1989م. ويعتبر هذا المخرج بمثابة نتيجة لاقتزان تأثيرات سياسات الدولة التي اتبعتها خلال العقدين الآخرين والتغيرات الاجتماعية طويلة-المدي. فغياب «النظام الطائفي» sectarian system صنع تغييراً هيكلياً في التطور السياسي للقطر، والذي تميز في ظاهره بعملية دائرية لا يمكن الهروب منها بين ديموقراطية غير مستقرة وحكومات عسكرية. وقد فشلت الانتخابات في مقابلة آمال وتطلعات أولئك الذين كانوا يأملون بأنها يمكن أن تخلق فضاءاً سياسياً شاملاً وأن تجعل الوحدة جاذبة⁽⁷⁴⁾.

يوجد في شمال السودان المسلم مؤسستان انتقالياتان معاً في ما يختص بموضع النوع والجنسية gender and sexuality وهما الحزب الشيوعي السوداني وما يتبعه من إتحاد نساء السودان، والدولة المتاسلمة ويمثلها الجبهة الإسلامية القومية، وهي الإخوان المسلمين سابقاً وحزب المؤتمر الوطني لاحقاً. وتعتبر هاتين المؤسستين الاجتماعيتين بمثابة قطبين مهمين في الطيف السياسي السوداني وفي علاقتهما بالمرأة. ويتميز الحزب الشيوعي السوداني بالتقدمية والعلمانية وعدم التمييز حسب النوع egalitarian «الجنسدية» بينما تعتبر الجبهة الإسلامية القومية محافظة ومتدينة وقاهرة oppressive للمرأة وتقليدية، ليست بعلمانية وليست بعادلة للجنس⁽⁷⁵⁾. اتبعت النساء السودانيات طرقاً مختلفة ساعدت على تقديم «كوتة» النساء في عام 2008 وتطبيقها في الانتخابات البرلمانية في عام 2010م. وكان من أكبر انجازات نظام

الكوتة هو المساعدة في زيادة انخراط النساء في العمل السياسي وليس فقط مجرد زيادة تمثيلهن في البرلمان، كما شكل تحدياً للأحزاب السياسية في تقدم مرشحات من النساء في الدوائر الجغرافية الرئيسية core geographic constituencies⁽⁷⁶⁾.

أدى التغيير السياسي في السودان بعد عام 1989م إلى تجميع القوى momentum مع ادخال الحكومة سياسات السيطرة والقيود من جانب، والأعداد المتزايدة من منظمات المجتمع المدني التي تبحث عن إنشاء وشرعنة لسيطرتها وهويتها وضمان استمرار وجودها على الجانب الآخر. وقد استخدمت الجبهة الإسلامية الدين والقوة لديمومة وحماية النظام السياسي الذي فقد مصداقيته وشرعيته وسط العديد من السودانيين. وقد برزت الجبهة الإسلامية القومية حزباً سياسياً صغيراً وخلال فترة من الزمن أصبح القوة السياسية الثالثة بعد انتخابات عام 1986م، ثم إلى حزب حاكم في فجر الانقلاب العسكري عام 1989م. يعتبر بروز الحركة الإسلامية في السودان في حد ذاته انعكاساً لتدهور المبادرات المحلية المرتبطة بالتغيير الاجتماعي⁽⁷⁷⁾ إذ تحمل العلاقة بين الإقتصاد المتدهور والأزمة السياسية في السودان الأسس الاجتماعية للحركات السياسية-الإسلامية والأنماط الطبقية لرجال الأعمال والعمال المنظمين⁽⁷⁸⁾. وي طرح التجديد -Resurgence الذي خبرته مجموعة الإسلام الراديكالي السودانية «الجبهة الإسلامية القومية» والذي اتضح ارتباطه المباشر بالحرب الأهلية في الجنوب منذ سبتمبر 1958م، بعض الأسئلة المهمة والملحة حول التداخل بين الأفريقيانية Africanism والإسلام السياسي. وتعتبر ديناميكية الصراع بينهما غير مألوفة. فبالرغم من اندياح الإسلام في معظم أفريقيا ببطء وتداخله مع المؤسسات المحلية التقليدية خلال قرون من الزمان في إطار عملية سلمية كبيرة، إلا أن بعض النقاط المهمة قد نتجت من ديناميكية هذه العملية وأدت الى خلق الصراعات. ومثال لذلك حركة عثمان دان فوديو الجهادية والحركة المهدية في السودان. فقد اعتمدت هذه الحركات على وعي ال discrepancy بين المحتوى الحقيقي لرسالة الإسلام والممارسة عن طريق التعود للسكان الأفريقيين، الذين هم لحد كبير مسلمين إسماءً أو افتراضاً nominally. لقد تداخلت هذه الحركات مع القوى المحلية لتخلق شكلاً جديداً للعمل الإسلامي observance. ويوجد إحساس بأن للصراع الحالي في السودان مظاهر روائية باعتبار عملية تطور الإسلام في السودان ليست أحادية الجانب تعمل لتتصادم ثقافتين متكارهتين مرتا بتجربة إعادة التجديد. ويعتبر دخول الثقافة كعامل خارجي ديناميكي تطوراً جديداً ومهماً لارتباطه بالعوامل الداخلية المتطورة⁽⁷⁹⁾.

ظل إقليم دارفور بولاياته الخمسة الحالية وحتى عام 1994 وحدة سياسية وإدارية منفردة ومتكاملة منذ تأسيس ممكلة الكيرا في القرن السابع عشر الميلادي⁽⁸⁰⁾. ويعتبر إطار عمل كولير-هوفلر Collier-Hoefler الفرصة الإقتصادية المتمردة بمثابة العامل المسبب للصراع المدني أو الأهلي. وقد طبق هذا الإطار في أفريقيا إلا أنه لم يوفر الأدوات الكافية لتحليل الأحوال الكامنة التي أدت للتمرد insurgency في السودان. وعليه، فليس الفرصة الإقتصادية المتمردة هي في الأساس وراء التمرد في جنوب السودان وفي دارفور بل هي عدم العدالة grievance الإقتصادية-الاجتماعية النابعة من التهميش السياسي المفروض ثقافياً وإقليمياً. ومن الممكن أن يفتح هذا باباً لفهم هذا الصراع وليس الإقتصار على الأجندة الإقتصادية للتحليل فقط⁽⁸¹⁾. وقد حدث تحول سياسي مهم في تركيبة الدولة وفي علاقات القوة حيث وضعت نهاية للهيمنة التاريخية السياسية

المقتصرة على الشمال دون غيره عقب اتفاقية السلام الشامل بين الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان في 2005م⁽⁸²⁾. وفي العادة إما يحدث تطبيق جزئي أو انتهاك لهذه الاتفاقيات من أحد طرفي الإتفاف⁽⁸³⁾. إن محاولة تعريف وتمييز العلاقة بين الجبهة الإسلامية القومية والأحزاب العلمانية sectarian and secular parties في السودان يجب أن يبدأ بتقييم أثر الإسلام على المشهد السياسي السوداني منذ الأيام الأولى التي سيطرت فيها المجموعات الإسلامية المستعربة على مراكز القوة في وسط السودان⁽⁸⁴⁾.

نُشر الكتاب الأسود سراً في السودان وأحدث تأثيراً كبيراً على الحوار السياسي. إدعى الكتاب سعيه للتعريف بأنماط السيطرة السياسية لسكان شمال السودان في فترة ما بعد خروج الإستعمار. وهي نفس الرؤية التي يتبناها العديد من الحركات المتمردة في السودان التي تحارب ليس فقط نتيجة للتمييز العرقي أو الديني، ولكن بسبب التهميش الذي أغفل تنمية سكان الأقاليم الهامشية⁽⁸⁵⁾. وفي العادة تؤثر أحداث العنف داخل المجموعات على الأفكار السياسية تجاه الأعضاء خارج المجموعة. ويعمق العنف من الكراهية ويقلل إمكانيات دعم التفاهم وقبول التنازلات، بينما يشجع التوسط والتلاحم على منع الصراع. ومن الممكن أن يوجب العنف من الكراهية تجاه المجموعات الخارجية حسب ما وفرته نتائج دراسة في الخرطوم الكبرى في عامي 2010م و 2011م حيث يزيد العنف السياسي من حدة التوجهات السلبية للأفراد داخل المجموعة ويجعلهم يقبلون concede بالانفصال لتفادي العيش جنباً لجنب مع أعضاء من خارج المجموعة⁽⁸⁶⁾. وخلال العقدين الأخيرين تغير تركيز الصراع في السودان من الاحتجاج ضد التهميش السياسي والصراع الإقتصادي والسيطرة الثقافية للشمال إلى صدام بين الرؤى المتنافسة.

لا يغفل أحد تأثير الجانب القبلي في العمل السياسي في السودان. ففي العادة يتم إعادة إنتاج القبلية في السودان بحكم تمدد pervade المنطق «القبلي» عبر الممارسة السياسية منذ الغزو التركي في عام 1821م. وقد تأكدت صعوبة ممارسة العمل السياسي بدون تأثير العامل القبلي⁽⁸⁷⁾. فقد حافظ الحكم الإستعماري بسياساته القميئة peculiar، والحكم الإستقلالي بايدولوجية بناء الشعب، والأصولية الإسلامية بايدولوجيتها الكونية جميعها بطريقة أو بأخرى على العامل القبلي كمكون أساسي للنظام السياسي. وفي كثير من الأحوال تخفي «القبلية» واجهة مادية secular façade، وقد تتوشح بثوب ديني religious guise مما قد يساعد في فهم ومعرفة حقيقة الأوضاع الحالية⁽⁸⁸⁾. ويواجه السودان أزمات محزنة في حياته السياسية منها أزمات الهوية، والوحدة الوطنية والحوكمة governability.

الخاتمة:

استعرض هذا البحث الأسس الفكرية لبعض الأحزاب السياسية السودانية وتحديات الفشل في تحقيق الحوكمة السياسية. وقد أظهر استعراض هذه الأسس وجود مصادر فكرية مختلفة ومتناقضة منها التقليدي الذي ارتبط بالأحزاب الدينية التقليدية مثل طائفتي الأنصار والختمية، ومنها العلماني الذي ارتبط بالحزب الشيوعي السوداني، ومنها الصوفي الذي ارتبط بالفكر الجمهوري، والإسلامي الأصولي الذي ارتبط بفكر الإخوان المسلمين. أثر تباين وتناقض مصادر الفكر السياسي لهذه الأحزاب السياسية في خلق الصراعات السياسية التي وصلت لمراحل متقدمة من الصراع منها الاتفاق مع المؤسسة العسكرية للاستيلاء على الحكم مثل تجربة الحزب الشيوعي السوداني في عام 1969م وتجربة الإخوان المسلمون في عام 1989م، ومن قبل

تجربة حزب الأمة في عام 1958م. لقد خلق تباين وتناقض هذه المصادر الفكرية للأحزاب السياسية السودانية، والتحديات الاقتصادية - الاجتماعية الموروثة منذ فترة الاستعمار البريطاني للبلاد في الفترة 1898-1956م، وما أوجدته السياسات التنموية للحكومات الوطنية المتعاقبة والتي فاقمت من مشاكل التنمية الإقليمية غير المتوازنة وفرض السياسات الثقافية المركزية، تحديات الفشل لتحقيق الحوكمة السياسية في السودان التي تقود لنظام سياسي مستقر ومستمر.

من الضروري أن تتضمن التوجهات السياسية المستقبلية للأحزاب السياسية السودانية بناء أطر فكرية سياسية واقعية بعيدة عن التنظير السياسي القائم على الجدليات الفلسفية المستوردة أو القائمة على خلق الخلافات المفاهيمية والتي لا تفيد في معالجة مشاكل المجتمع الاقتصادية- الاجتماعية. وبعد، فإن هذا البحث لم يتضمن جميع الأسس الفكرية للأحزاب السياسية السودانية ولا تحديات الفشل في تحقيق الحوكمة السياسية في السودان، ويمكن أن يتم هذا من خلال البحوث المستقبلية للمهتمين بمثل هذا الموضوعات البحثية.

الهوامش:

- (1) Harm De Blij.2008. The power of place: geography, destiny, and globalization's rough landscape. Oxford University Press.
- (2) Jennifer Wolch, Michael Dear.2014. The power of geography (RLE Social and Cultural Geography): how territory shapes social life. Routledge.
- (3) Michael Foucault.2007. Questions on geography. Space, knowledge and power: Foucault and geography, 173-182.
- (4) Colin Flint, Paul Diehl, et al. 2009. Conceptualizing conflict space: Toward geography of relational power and embeddedness in the analysis on interstate conflict. Anals of the Association of American Geographers 99 (5): 827-835
- (5) Jamie Peck.2003. Geography and public policy: mapping the penal state. Progress in Human Geography 27 (2):222-232.
- (6) Joe Painter.2008. Geographies of space and power. The SAGE Handbook of political geography, 57-72.
- (7) Wolfgang Zierhofer.2005. State, Power and Space. Soc. Geogr., 1, 29-36.
- (8) RoLand Marchal. The regional dimension of Sudanese politics. Head, 79.afroline.org
- (9) Mohammed Nouri El-Amin.1986. The impact of the Sudanese unionists on Sudanese communism. Middle Eastern Studies 22 (3):418-434.
- (10) Epid. Alexander Solon Cudsi. 1978. The rise of political parties in Sudan, 1936-1946. SOAS University of London
- (11) يو 2020.
- (12) John Voll.1980. Islam, Nationalism, and Communism in a traditional society: The case of the Sudan. The international journal of African historical studies 13 (1):177-179.
- (13) Alexander Solon Cudsi. 1978. The rise of political parties in Sudan, 1936-1946. SOAS University of London
- (14) Mohammed Nouri El-Amin.1996. The role of international communism in the Muslim world and in Egypt and the Sudan. British journal of Middle Eastern Studies 23 (1):29-53.
- (15) Mohammed Nouri El-Amin.1989. International communism, Egyptian Wafs party and the Sudan. British journal of Middle Eastern Studies 16 (1):27-48.
- (16) Mohammed Nouri El-Amin.1992 Was there an alliance between the Watanist (nationalist) party, communism and the white flag league in the Sudan?. British journal of Middle Eastern Studies 19 (2):177-185.

- (17) Mohammed Nouri El-Amin.1987. The role the Egyptian Communists in introducing Sudanese to Communism in the 1940s. British journal of Middle Eastern Studies 19 (4):433-454.
- (18) Walter Kolarz.1962. The impact of Communism in West Africa. International Affairs (Royal Institute of International Affairs 1944-) 38 (2):156-169.
- (19) Mohammed Nouri El-Amin.1986. The impact of the Fajr School on Sudanese communism. Sudan Notes and Records 62:1-24.
- (20) Gabriel Warburg.2013. Islam, nationalism and communism in a traditional society. Routledge.
- (21) Mohammed Nuri El-Amin.1996. The Sudanese communist movement, the first five years-1. Middle Eastern Studies 32 (3): 22-40.
- (22) Mohamad Said Al Gaddal. 1995. "The Sudanese communist party and liberal democracy: 1946-69" In: African studies in social movements and democracy/ ed. By Mahmood Mamdani and Ernest Wambadia-Wamba. Dakar: Codesria, pages 69-98.
- (23) Gabriel Warburg.2006. The Muslim Brotherhood in Sudan: From reforms to radicalism. Project of the research of Islamist movements (PRISM)
- (24) Carolyn Fluehr-Lobban. 1990. Islamization in Sudan: A critical assessment. Middle East journal 44 (4):610-623.
- (25)
- (26) Mustafe Abdelwahid. 2008. The rise of the Islamic movement on Sudan 1945-1989. Dissertation, Auburn University, Alabama.
- (27) منصور خالد يكتب عن الراحل عزيز بطران.. إرتجفت لحظة سماع نعيه كما ترتجف فروع البان. 2020
- (28) منصور خالد يكتب عن الراحل عزيز بطران.. إرتجفت لحظة سماع نعيه كما ترتجف فروع البان. 2020
- (29) Steve Howard. 2016. Modern Muslims: a Sudan memoir. Ohio University Press.
- (30) Edward Thomas. 2010. Islam's perfect stranger: the life of Mahmud Mujammed Taha, Muslim reformer of Sudan. Bloombury Publishing.
- (31) Paul J Magnarella.1982. The Republican Brothers: A reformist movement in the Sudan. The Muslim World 72 (1):14-24.
- (32) () Paul J Magnarella.1982. The Republican Brothers: A reformist movement in the Sudan. The Muslim World 72 (1):14-24.

- (33) Alic Moore-Harell.2011. Islam's Perfect-Stranger, the life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim reformer of Sudan. Middle Eastern Studies 47 (4):683-685.
- (34) Steve Howard.2016. The Republican Sisters of Sudan: Moving to the front lines of Muslim social change. Hawwa 14 (1):20-52.
- (35) Abdullahi Ahmed An-Na'm. The Islamic law of apostasy and its modern applicability: a case from the Sudan. Religion 16 (3): 197-224.
- (36) Yoshiko Kurita. 1994. The social bases of regional movements in Sudan 1960s-1980s. In K.Fukui and J. Markakis (eds), 202-216.
- (37) Abdel-Rahman E Ali Taha.1976. Nationalism and labour in the Sudan: The influence of Communism. Sudan Notes and Records 57: 81-89.
- (38) Joel Beinin, Zachary Lockman.1998. Workers on the Nile: nationalism, Islam, and Egyptian working class,1882-1954. American University in Cairo Press.
- (39) Peter Woodward.1981. Nationalism and opposition in Sudan. African Affairs 80 (320):379-388.
- (40) Elke Grawert.2008. Cross-border dynamics of violent conflict: the case of Sudan and Chad. Journal of Asian and African studies 43(6):595-614.
- (41) Abdel Ghaffar Mohamed Ahmed.2010. Sudan peace agreements: current challenges and future prospects. CMI working paper SWP 2010:1 . Michelsen Institute, Bergen.
- (42) البعد الديني لقضية جنوب السودان (1900-1989). الخرطوم: مركز الدراسات الاستراتيجية، ص 31.
- (43) «مستقبل الإسلام في السودان»، في الإسلام في السودان. الخرطوم: دار الأصال للطباعة والنشر، ص 388.
- (44) Ashraf Kamal Abdelhay.2010. The politics of writing tribal identities in the Sudan: The case of the colonial Nubal policy. Journal of multilingual and multicultural development 31 (2): 201-213.
- (45) Fatima Ahmed Ibrahim.2000. Sudanese women under repression, and the shortest way to equality. Frontline Feminisms: Women, war, and resistance, 129-39.books.google.com
- (46) George Gretton.1968. The law and the Constitution in the Sudan. The World Today 24 (8):314-323.
- (47) Mansour Khalid. 1990. The government they deserve: the role of the elite in Sudan's political evolution. Kegan Paul International, London

- (48) Gabriel Warburg.1995. Mahadism and Islamism in Sudan. International journal of Middle East Studies 27(2):219-236.
- (49) Ahmed Al Shahi. 1986. Themes from Northern Sudan. Ithaca for the British Society and Middle Eastern Studies.
- (50) Francis M Deng.2006. Sudan: A nation in turbulent search of itself. The Annals of the American Academy of political and social sciences 603 (1):155-162.
- (51) Peter Bechtold.1990. More turbulence in Sudan: a new politics this time?. Middle East Journal 44 (4):579-595.
- (52) Brian Grahamm Greg Ashworth, John Tunbridge. 2016. A geography of heritage. Routledge.
- (53) Amir Idris.2005. Conflict and politics of identity in Sudan. Springer. Books.google.com
- (54) RoLand Marchal. The regional dimension of Sudanese politics. Head, 79.afroline.org
- (55) Fatima Ahmed Ibrahim.2000. Sudanese women under repression, and the shortest way to equality. Frontline Feminisms: Women, war, and resistance, 129-39.books.google.com
- (56) Douglas Hamilton Johnson.2014. Federalism in the history of South Sudanese political thought. Rift Valley Institute. Refworld.org
- (57) Rob K Evlihan.2007. Beyond Creole nationalism? Language politics, education and the challenges of state building in post –conflict Southern Sudan. Ethnopolitics 6 (4):513-543.
- (58) Dunstan M Wai. 1981. The African –arab conflict in the Sudan. African Publishing Co. New York.
- (59) Scopas S Poggo.2002. General Ibrahim Abboud's military administration in the Sudan, 1958-1964: Implementation of the programs of islamization and arabization in the Southern Sudan. Northeastern African Studies 9 (1):67-101.
- (60) Mohamed Suliman.1998. Resource access: a major cause of armed conflict in the Sudan, The case of Nuba mountains. International workshop on community – based natural resource management, Washington DC, 10-14, 1998.
- (61) Scopas Pogge.2008.The first Sudanese civil war: Africans, Arabs, and Israelis in the southern Sudan, 1955-1972. Springer
- (62) Framcis M Deng.2011. War of visions: conflict of identities in the Sudan. Brookings Institutions Press.

- (63) Bureng GV Nyombe. 1994. The politics of language, culture, religion and race in the Sudan. *Frankfurter Afrikanistische Blatter*, 9-21.
- (64) Ashraf Abdelhay, Busi Makoni, et al. 2011. The sociolinguistics of nationalism in the Sudan: The politicization of Arabic and Arabisation of politics. *Current issues in language planning* 12 (4): 457-501.
- (65) Heather J Sharkey. 2008. Arab identity and ideology in Sudan: The politics of language, ethnicity, and race. *African Affairs* 107 (426): 21-43.
- (66) Ali Taisier M. Mathews Robert O. 1999. Civil wars and failed peace efforts in Sudan. PP. 193-220. *Africabub.org*.
- (67) Dunstan M Wai. 1981. The African – Arab conflict in Sudan. African Publishing Company, New York. *Africabib.org*
- (68) Heather J Sharkey. 2008. Arab identity and ideology in Sudan: The politics of language, ethnicity, and race. *Sfrican affairs* 107 (426): 21-43.
- (69) Fatima Ahmed Ibrahim. 2000. Sudanese women under repression, and the shortest way to equality. *Frontline Feminisms: Women, war, and resistance*, 129-39. *books.google.com*
- (70) Abdullahi A Gallab. 2008. The first Islamist republic: development and disintegration of Islamism in Sudan. Ashgate Publishing , Ltd.
- (71) Ali Bob. 1990. Islam, the state and politics in the Sudan. *Northeast African Studies*, 201-220.
- (72) Gabriel Warburg. 2003. Islam, sectarianism, and politics in Sudan since the Mahdiyya. University of Wisconsin Press,
- (73) Ann Mosely Lesch. 1995. The destruction of Civil Society in the Sudan. *Civil society in the middle east* 2: 153-191.
- (74) Giorgio Musso. 2012. Electoral politics and religious parties in Sudan: An analysis of the April 2010 election. *African conflict and peacebuilding review* 2 (1): 58-86.
- (75) Sondra Hale. 2005. Activating the Gender local: Transitional ideologies and “Women’s Culture” in Northern Sudan. *Journal of Middle East Women’s Studies* 1 (1): 29-52.
- (76) Bashir Ali. 2010. Repression of Sudanese civil society under the national Islamic front/ national congress party. *Review of African political economy* 37 (126): 437-450.
- (77) Muddathir Abdel-Rahim (ed). 1986. Sudan since independence: studies of political development since 1956. Gower, Aldershot; Brookfield, VT. *Africabib.orh*

- (78) Abdelwahab El-Afandi. 1990. 'Discovering the south': Sudanese dilemmas for Islam in Africa. *African Affairs* 89 (365): 371-389.
- (79) Yousif Takana. 2008. The politics of local boundaries and conflict in Sudan. The south Darfur case. Sudan working paper 2008:2. Michelsen Institute Bergen.
- (80) Aleksy Ylonen. 2005. Grievances and the roots of insurgencies: Southern Sudan and Darfur. *Peace, conflict, and development: Interdisciplinary Journal* 7:99-134.
- (81) Einas Ahmed. 2009. The comprehensive peace agreement and the dynamics of post-conflict political partnership in Sudan. *Africa spectrum* 44 (3):133-147.
- (82) Abdel Ghaffar Mohamed Ahmed. 2010. Sudan peace agreements: current challenges and future prospects. CMI working paper SWP 2010:1 . Michelsen Institute, Bergen.
- (83) Abdel Ghaffar M Ahmed. 2008. One against all: National Islamic Front and Sudanese sectarian and secular parties. SWP Working paper. Bergen.
- (84) Alex Cobham. 2006. Causes of conflict in Sudan: Testing the black book. *The European journal of development research* 17(3):462-480.
- (85) Bernd Berber, Phillip Roessler, Alexandra Scacco. 2014. Intergroup violence and political attitudes: evidence from a dividing Sudan. *The journal of politics* 76(3):649-665.
- (86) Mahmud El Zain. 1996. Tribe and religion in the Sudan. *Review of African political economy* 23 (70):523-529.
- (87) Mahmud El Zain. 1996. Tribe and religion in the Sudan. *Review of African political economy* 23 (70):523-529.

المراجع العربية:

- (1) تاريخ السودان. ويكيديا. مايو 2020.
- (2) حسن عبد الله الترابي. برنامج شاهد على العصر. قناة الجزيرة الإخبارية.
- (3) منصور خالد. 2020. منصور خالد يكتب عن الراحل عزيز بدران.. إرتجفت لحظة سماع نعيه كما ترتجف فروع البان.
- (4) عبد اللطيف البوني (1996)، البعد الديني لقضية جنوب السودان (1989-1900). الخرطوم: مركز الدراسات الاستراتيجية، ص 31.
- (5) الصادق المهدي (1982)، «مستقبل الإسلام في السودان»، في الإسلام في السودان. الخرطوم: دار الأصالة للطباعة والنشر، ص 388.

References:

- (1) Abdel Ghaffar M Ahmed. 2008. One against all: National Islamic Front and Sudanese sectarian and secular parties. SWP Working paper. Bergen.
- (2) Abdel Ghaffar Mohamed Ahmed. 2010. Sudan peace agreements: current challenges and future prospects. CMI working paper SWP 2010:1 . Michelsen Institute, Bergen.
- (3) Abdel-Rahman E Ali Taha. 1976. Nationalism and labour in the Sudan: The influence of Communism. Sudan Notes and Records 57: 81-89.
- (4) Abdelwahab El-Afandi. 1990. 'Discovering the south': Sudanese dilemmas for Islam in Africa. African Affairs 89 (365): 371-389.
- (5) Abdullahi A Gallab. 2008. The first Islamist republic: development and disintegration of Islamism in Sudan. Ashgate Publishing , Ltd.
- (6) Abdullahi Ahmed An-Na'm. The Islamic law of apostasy and its modern applicability: a case from the Sudan. Religion 16 (3): 197-224.
- (7) Ahmed Al Shahi. 1986. Themes from Northern Sudan. Ithaca for the British Society and Middle Eastern Studies.
- (8) Aleks Ylonen. 2005. Grievances and the roots of insurgencies: Southern Sudan and Darfur. Peace, conflict, and development: Interdisciplinary Journal 7:99-134.
- (9) Alex Cobham. 2006. Causes of conflict in Sudan: Testing the black book. The European journal of development research 17(3):462-480.
- (10) Alexander Solon Cudsi. 1978. The rise of political parties in Sudan, 1936-1946. SOAS University of London.
- (11) Ali Bob. 1990. Islam, the state and politics in the Sudan. Northeast African Studies, 201-220.

- (12) Ali Taisier M. Mathews Robert O. 1999. Civil wars and failed peace efforts in Sudan. PP. 193-220. Africabub.org.
- (13) Alic Moore-Harell. 2011. Islam's Perfect-Stranger, the life of Mahmud Muhammad Taha, Muslim reformer of Sudan. Middle Eastern Studies 47 (4):683-685.
- (14) Amir Idris. 2005. Conflict and politics of identity in Sudan. Springer. Books.google.com.
- (15) Ann Mosely Lesch. 1995. The destruction of Civil Society in the Sudan. Civil society in the middle east 2:153-191.
- (16) Ashraf Abdelhay, Busi Makoni, et al. 2011. The sociolinguistics of nationalism in the Sudan: The politicization of Arabic and Arabisation of politics. Current issues in language planning 12 (4): 457-501.
- (17) Ashraf Kamal Abdelhay. 2010. The politics of writing tribal identities in the Sudan: The case of the colonial Nubal policy. Journal of multilingual and multicultural development 31 (2): 201-213.
- (18) Bashir Ali. 2010. Repression of Sudanese civil society under the national Islamic front/national congress party. Review of African political economy 37 (126): 437-450.
- (19) Bernd Berber, Phillip Roessler, Alexandra Scacco. 2014. Intergroup violence and political attitudes: evidence from a dividing Sudan. The journal of politics 76(3):649-665.
- (20) Brian Grahamm Greg Ashworth, John Tunbridge. 2016. A geography of heritage. Routledge.
- (21) Bureng GV Nyombe. 1994. The politics of language, culture, religion and race in the Sudan. Frankfurter Afrikanistische Blatter, 9-21.
- (22) Carolyn Fluehr-Lobban. 1990. Islamization in Sudan: A critical assessment. Middle East journal 44 (4):610-623.
- (23) Douglas Hamilton Johnson. 2014. Fedealism in the history of South Sudanese political thought. Rift Valley Institute. Refworld.org
- (24) Dunstan M Wai. 1981. The African – Arab conflict in Sudan. African Publishing Company, New York. Africabib.org.
- (25) Edward Thomas. 2010. Islam's perfect stranger: the life of Mahmud Mujammed Taha, Muslim reformer of Sudan. Bloombury Publishing.
- (26) Einas Ahmed. 2009. The comprehensive peace agreement and the dynamics of post-conflict political partnership in Sudan. Africa spectrum 44 (3):133-147.

- (27) Elke Grawert.2008. Cross-border dynamics of violent conflict: the case of Sudan and Chad. *Journal of Asian and African studies* 43(6):595-614.
- (28) Fatima Ahmed Ibrahim.2000. Sudanese women under repression, and the shortest way to equality. *Frontline Feminisms: Women, war, and resistance*, 129-39.books.google.com.
- (29) Francis M Deng.2006. Sudan: A nation in turbulent search of itself. *The Annals of the American Academy of political and social sciences* 603 (1):155-162.
- (30) Francis M Deng.2011. War of visions: conflict of identities in the Sudan. *Brookings Institutions Press*.
- (31) Gabriel Warburg.1995. Mahadism and Islamism in Sudan. *International journal of Middle East Studies* 27(2):219-236.
- (32) Gabriel Warburg.2003. Islam, sectarianism, and politics in Sudan since the Mahadiyya. *Univerity of Wisconsin Press*.
- (33) Gabriel Warburg.2006. The Muslim Brotherhood in Sudan: From reforms to radicalism. *Project of the research of Islamist movements (PRISM)*.
- (34) Gabriel Warburg.2013. Islam, nationalism and communism in a traditional society. *Rutledge*.
- (35) George Gretton.1968. The law and the Constitution in the Sudan. *The World Today* 24 (8):314-323.
- (36) Giorgio Musso.2012. Electoral politics and religious parties in Sudan: An analysis of the April 2010 election. *African conflict and peacebuilding review* 2 (1):58-86.
- (37) Halvard Buhaug, Scott Gates.2002. The geography of civil war. *J. of peace research* 39 (4): 417-433.
- (38) Heather J Sharkey.2008. Arab identity and ideology in Sudan: The politics of language, ethnicity, and race. *Sfrican affairs* 107 (426):21-43.
- (39) Joel Beinin, Zachary Lockman.1998. Workers on the Nile: nationalism, Islam, and Egyptian working class,1882-1954. *American University in Cairo Press*.
- (40) John Voll.1980. Islam, Nationalism, and Communism in a traditional society: The case of the Sudan. *The international journal of African historical studies* 13 (1):177-179.
- (41) Mahmud El Zain.1996. Tribe and religion in the Sudan. *Review of African political economy* 23 (70):523-529.
- (42) Mansour Khalid. 1990. The government they deserve: the role of the elite in Sudan's political evolution. *Kegan Paul International, London*.

- (43) Mohamad Said Al Gaddal. 1995. "The Sudanese communist party and liberal democracy: 1946-69" In: African studies in social movements and democracy/ ed. By Mahmood Mamdani and Ernest Wambadia-Wamba. Dakar: Codesria, pages 69-98.
- (44) Mohamed Suliman.1998. Resource access: a major cause of armed conflict in the Sudan, The case of Nuba mountains. International workshop on community – based natural resource management, Washington DC, 10-14, 1998.
- (45) Mohammed Nouri El-Amin.1986. The impact of the Fajr School on Sudanese communism. Sudan Notes and Records 62:1-24.
- (46) Mohammed Nouri El-Amin.1986. The impact of the Sudanese unionists on Sudanese communism. Middle Eastern Studies 22 (3):418-434.
- (47) Mohammed Nouri El-Amin.1987. The role the Egyptian Communists in introducing Sudanese to Communism in the 1940s. British journal of Middle Eastern Studies 19 (4):433-454.
- (48) Mohammed Nouri El-Amin.1989. International communism, Egyptian Wafis party and the Sudan. British journal of Middle Eastern Studies 16 (1):27-48.
- (49) Mohammed Nouri El-Amin.1992 Was there an alliance between the Watanist (nationalist) party, communism and the white flag league in the Sudan?. British journal of Middle Eastern Studies 19 (2):177-185.
- (50) Mohammed Nouri El-Amin.1996. The role of international communism in the Muslim world and in Egypt and the Sudan. British journal of Middle Eastern Studies 23 (1):29-53.
- (51) Mohammed Nuri El-Amin.1996. The Sudanese communist movement, the first five years-1. Middle Eastern Studies 32 (3): 22-40.
- (52) Muddathir Abdel-Rahim (ed). 1986. Sudan since independence: studies of political development since 1956. Gower, Aldershot; Brookfield, VT.Africabib.orh.
- (53) Mustafe Abdelwahid. 2008. The rise of the Islamic movement on Sudan 1945-1989. Dissertation, Auburn University, Alabama.
- (54) Paul J Magnarella.1982. The Republican Brothers: A reformist movement in the Sudan. The Muslim World 72 (1):14-24.
- (55) Peter Bechtold.1990. More turbulence in Sudan: a new politics this time?. Middle East Journal 44 (4):579-595.
- (56) Peter Woodward.1981. Nationalism and opposition in Sudan. African Affairs 80 (320):379-388.

- (57) Richard Peet. 2007. *Geography of power: making global economic policy*. Zed Books.
- (58) Rob K Evlihan. 2007. Beyond Creole nationalism? Language politics, education and the challenges of state building in post –conflict Southern Sudan. *Ethnopolitics* 6 (4):513-543.
- (59) RoLand Marchal. The regional dimension of Sudanese politics. Head, 79.afroline.org
- (60) Sara Abbas. 2010. The Sudanese women's movement and the mobilization for the 2008 legislative quota and its aftermath. *IDS Bulletin* 41(5): 100-108.
- (61) Scopas Pogge. 2008. The first Sudanese civil war: Africans, Arabs, and Israelis in the southern Sudan, 1955-1972. Springer.
- (62) Scopas S Poggo. 2002. General Ibrahim Abboud's military administration in the Sudan, 1958-1964: Implementation of the programs of islamization and arabization in the Southern Sudan. *Northeastern African Studies* 9 (1):67-101.
- (63) Sondra Hale. 2005. Activating the Gender local: Transitional ideologies and "Womens's Culture" in Northern Sudan. *Journal of Middle East Women's Studies* 1 (1):29-52.
- (64) Steve Howard. 2016. *Modern Muslims: a Sudan memoir*. Ohio University Press.
- (65) Steve Howard. 2016. The Republican Sisters of Sudan: Moving to the front lines of Muslim social change. *Hawwa* 14 (1):20-52.
- (66) Walter Kolarz. 1962. The impact of Communism in West Africa. *International Affairs* (Royal Institute of International Affairs 1944-) 38 (2):156-169.
- (67) Yoshiko Kurita. 1994. The social bases of regional movements in Sudan 1960s-1980s. In K. Fukui and J. Markakis (eds), 202-216.
- (68) Yousif Takana. 2008. The politics of local boundaries and conflict in Sudan. The south Darfur case. Sudan working paper 2008:2. Michelson Institute Bergen.

الهجرة غير الشرعية من دول حزام الساحل الإفريقي إلى أوروبا: الكل رابح

قسم الجغرافيا- كلية الآداب - جامعة الملك فيصل
المملكة العربية السعودية

أ. د. عمر أحمد المصطفى حياتي

مستخلص:

يهدف هذا البحث لإلقاء الضوء على الهجرة غير الشرعية من منطقة حزام الساحل الإفريقي إلى دول الاتحاد الأوروبي: طرقها والمخاطرة فيها، وسياسات دول الاتحاد حيالها، والعائد منها للدولة المرسل والمهاجر نفسه والدولة المستقبلة. أعتمد في إعدادة على المنهج الاستنباطي، وجمعت بياناته من بحوث ودراسات سابقة وتقارير رسمية وكتب في مجاله بغية تحقيق أهدافه. تم تصميم نموذج لمعالجة فكرة الكل رابح في الهجرة للشركاء الثلاثة: الدولة المرسل، المهاجر، والدولة المستقبلة. وتوصل البحث إلى أن الهجرة غير الشرعية محفوفة بالمخاطر وقد تؤدي إلى فقدان الحياة، وأن دول الاتحاد بعد أن كانت متشددة تجاه الهجرة غير الشرعية إلا أنها أصبحت أكثر مرونة لحاجتها للعمالة في القطاعين الزراعي والصناعي. وأن فكرة الكل رابح في الهجرة للأطراف الثلاثة ليست متوازنة، إذ تنخفض نسبة البطالة في الدولة المرسل، وتستفيد من عائدات التحويلات المالية للمهاجرين، ويرتفع فيها مستوى معيشة ذوي المهاجرين منها. أما استفادة المهاجر فتتلخص في حصوله على عمل ودخل ثابت وتأمين صحي وخدمات جيدة وفرص تأهيل، وإدخال جزء من دخله ليستثمره حين يعود لبلده. وتستفيد الدولة المستقبلة (دول الاتحاد الأوروبي)، وهي الرابح الأكبر في هذه الموازنة، باستقبالها أيدي عاملة لم تسهم في إعدادها وهي في حاجة ماسة لها باعتبار أن مجتمعاتها تعاني من الشيخوخة، وتزيد من الطاقة الإنتاجية والاقتصاد القومي بشغلها وظائف يعف عنها المواطنون عن أدائها، وتساهم في تقليل الإنفاق على الخدمات بتسديدها للضرائب، وإثراء الجانب الثقافي.

الكلمات المفتاحية: حزام الساحل الإفريقي، دول الاتحاد الأوروبي، الهجرة غير الشرعية، الكيل بمكيالين، الكل رابح.

Illegal Migration from the African Sahel Belt Countries to Europe: Everyone Wins

Prof. Omer Ahmed El Mustafa Hayati

Abstract:

This research aims to shed light on the illegal immigration from the African Sahel Belt to the European Union Countries: its routes, risks, and the policies of European Union Countries towards it. The impact on the triangle of migration to sending country, immigrants and receiving country were also under focus in this research. Deductive approach has been adopted, Data collected from previous related research-

es, official reports and books, in order to achieve its goals. A model is designed to address the concept of “win – win” situation in migration for the three stakeholders: the sending country, immigrants, and receiving country. The research concluded that illegal immigration is fraught with dangers and may lead to the loss of life. Although the European countries were initially strict towards illegal immigration, yet, they become more flexible because of their need for labour in the agricultural and industrial sectors. The idea of “win - win” situation in immigration to the three parties is not balanced and defeated, as the unemployment rate in the sending country decreases, it benefits from the proceeds of immigrant remittances, and the standard of living of the immigrants’ families increases. As for the immigrants’ benefits, it can be summed up in obtaining a job, a stable income, health insurance, good services, training opportunities, and saving part of their income to invest when they return to their country. The receiving country, which is the biggest winner and beneficiary in this deal, receiving a workforce that did not contribute to its training and preparation and is in dire need, given that the European Union countries suffer from aging, the increased production capacity and the national economy by filling jobs that citizens pardon, and contribute to reducing expenditure on services by paying taxes and enriching the cultural aspect.

Key words: African Sahel Belt, European Union Countries, Illegal Immigration, Double Standards, Everyone is a Winner “ win – win”.

مقدمة:

شهدت دول العالم في السنوات الأخيرة انتقالا مكثفا ومنظما وآمنا لأفراد وأسر وجماعات في ظل سياسات وقوانين الهجرة التي تصدرها تلك الدولية. وليس بالضرورة أن يكون ذلك الانتقال وتلك الهجرة سلسا ومحكوما دائما بتلك القوانين طالما أن هنالك سبلا غير شرعية يسلكها المهاجرون بغية دخول دولة ما بصورة غير قانونية. الأمر الذي خلق بعدا جديدا في دراسات الهجرة التي لم تعد قائمة فقط على دوافع الهجرة في إطار عوامل الجذب والطرده، وإيجابياتها وسلبياتها، والعائد منها لدى المهاجر. بل تخطت ذلك المنحى لتفتح بابا في مجال دراسات الهجرة غير الشرعية ومكاسب كل طرف فيها: الدولة المرسلة والمهاجر نفسه والدولة المستقبلة. يهدف هذا المقال لتتبع مسارات هجرة الأفارقة غير الشرعية من دول حزام الساحل الإفريقي والعائد من الهجرة للأطراف الثلاثة سائلة الذكر. اعتمد في إعداد على المنهج الاستنباطي، وجمعت بياناته ومعلوماته من بحوث سابقة في مجاله وكتب في علم السكان وأبحاث على شبكة الانترنت.

الهجرة:

عبر التاريخ بدأ الإنسان أولى استراتيجياته للتكيف مع بيئته الطبيعية متنقلاً من مكان لآخر بحثاً عن الغذاء والأمن، فالانتقال، إذًا، ظاهرة اجتماعية مستمرة موعلة في القدم، قدم الإنسان نفسه، وإن تعددت حديثاً أهدافها واختلفت وسائلها. عرفت الأمم المتحدة الهجرة بأنها نوعاً من أنواع التحركات المكانية بين وحدة مكانية وأخرى يستلزم تغييراً في مكان الإقامة. وبالمقابل، فالمهاجر هو أي شخص ينتقل أو انتقل عبر حدود دولية أو داخل دولة بعيداً عن مكان إقامته المعتاد، بغض النظر عن الوضع القانوني له، وأسباب حركته، ومدة إقامته، ونوعها، طوعية كانت أم غير طوعية (IOM, 2021).

ظهر مفهوم الهجرة غير الشرعية «غير القانونية أو السرية» بعد ترسيم الحدود السياسية للدول وتحديد المعابر القانونية، وأصبح تجاوز الحدود الدولية بصورة غير نظامية من دولة إلى أخرى عملاً غير شرعي، ومخالفًا لأنظمة الدولة المهاجر إليها وقوانين الجنسية والإقامة فيها. فالهجرة غير الشرعية بهذا المعنى، ظاهرة عالمية تعاني منها العديد من الدول، المتقدمة منها، كالولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وأستراليا، والنامية كدول الخليج العربي ودول غربي إفريقيا.

وقد يشير مصطلح الاتجار بالبشر إلى الهجرة غير الشرعية بشكل أو بآخر، ذلك لأنه يعني «تقديم المساعدة لغير المواطنين أو غير المقيمين بشكل دائم للدخول غير الشرعي إلى بلد ما للاستفادة من الامتيازات التي يتمتع بها بشكل مباشر وغير مباشر» (برتكول باليرمو، 2000). وبناء عليه يعرف المهاجر غير الشرعي بأنه «كل شخص يدخل أو يقيم، أو يعمل خارج وطنه دون حيازة الترخيص القانوني اللازم» (Bureau In-ternational du Travail, 2004). واكتسبت الظاهرة بعداً إعلامياً سياسياً وأكاديمياً في السنوات الأخيرة، خاصة بعد تفاقم موجاتها من الدول الإفريقية إلى أوروبا عبر حوض البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي شكل رهاناً أساسياً في العلاقات بين دول شمالي إفريقيا ودول الاتحاد الأوروبي والمعروفة بالعلاقات الأقرومتوسطية (حافظ، 2013، برقوم، 2022).

بناءً على تحليل التكلفة والعائد من الهجرة (Cost Benefit Analysis) فإن المهاجر يدرس كل الخيارات الممكنة بناء على التكلفة والمنافع المتوقعة. ويعد قائمة شاملة لجميع التكاليف، مباشرة كانت أم غير مباشرة، فضلاً عن تكاليف الفرص وتكاليف المخاطر المحتملة. كما يعد قائمة أخرى تشمل الإيرادات المتوقعة، مباشرة كانت أم غير مباشرة. وعلى ضوء ذلك يتخذ قرار الهجرة مرجحاً كفة المنافع المتوقعة والفرص على كفة التكلفة والمخاطر. ولكن من ناحية أخرى، لا يشمل تحليل التكلفة والعائد، في معظم الأحيان، ما يقدمه المهاجر لدولة المهجر (المستقبل للهجرة) من قدرات ومهارات وخبرات نظير العائد من عمله، ولا ما يساهم به من موازنة في سوق العمل بها، ولا ما يساهم به في اقتصاد دولته (المرسلة للهجرة) عبر تحويلاته المالية منظمته كانت أم متقطعة، يسيرة كانت أم معتبرة. وهذا يشير إلى أن مفهوم تحليل العائد من الهجرة وتكلفتها قد يتخطى، بصورة لا تدع مجالاً للشك، عتبة استفادة المهاجر فقط من الهجرة ليشمل مستفيدين آخرين منها.

مسترشداً بكتاب العادات السبع (The Seven Habits) لستيفن كوفي (Stephan, 2013) أدخل البنك الدولي عام 2006، لأول مرة في أدبيات الهجرة، مفهوم الكل رابع في الهجرة «win - win»، منتحياً

بمفهوم الهجرة منحى غير تقليدي. منحى يركز على الجوانب الإيجابية للهجرة، ويرى أنه لا خاسر فيها، إن أمعن النظر في استفادة أطراف ثلاثة هي: الدولة المرسل، والدولة المستقبلة، المهاجر نفسه.

وعلى الرغم من أن فكرة الكل رابح في الهجرة، من حيث المبدأ تبدو إيجابية، إلا أن تقييم العائد المادي من الهجرة يظل دائماً هو المحك، باعتباره الهدف الأسمى، وله القدر المعلن في أسباب الهجرة. ومما يدل على ذلك فإن كثيراً من المهاجرين، خاصة الأفارقة، يغادرون أوطانهم هروباً من التدهور البيئي، والنزاعات القبلية، والحروب. وتصبح هجرتهم دائمة ما طاب لهم مقام فيه أمن غذائي وأمن آخر على أرواحهم. وقليل من المهاجرين تعود هجرتهم لأسباب تعليمية أو للم شمل العائلي، والغالبية العظمى منهم، خاصة الشباب، تغريه الفجوة الاقتصادية وحياة الرفاه الكبيرة الموجودة بين الدول الصناعية والمناطق الأقل تطوراً في العالم.

هذا المقال محاولة لتبيان فكرة الكل رابح في الهجرة، للأطراف الثلاثة سالف الذكر، بالتركيز على المهاجرين غير الشرعيين من دول حزام الساحل الإفريقي إلى دول الاتحاد الأوروبي.

حزام الساحل الإفريقي:

يقع في النصف الشمالي من القارة الإفريقية وينحصر بين دائرتي عرض 12 - 20 درجة شمال خط الاستواء، ويفصل بين الصحراء الكبرى شمالاً وإقليم السافانا جنوباً. ويمتد جغرافياً من السنغال على ساحل المحيط الأطلسي غرباً وحتى إريتريا على ساحل البحر الأحمر شرقاً، في مساحة قدرها 650 ألف كيلومتراً مربعاً (7000 كيلومتر طولاً و500 كيلومتر عرضاً). يمر هذا الحزام جغرافياً من الغرب للشرق بالسنغال، وموريتانيا، ومالي، وبوركينا فاسو، والنيجر، ونيجيريا، وتشاد، والسودان، وإريتريا (Ibrahim, 1984). ويتميز باضطرابات مناخية شديدة، تظهر في تباين واضح في درجات الحرارة يعكسه مدى حراري كبير. وعلى الرغم من أن معدلات الأمطار فيه تتراوح بين 100 - 600 ملم من الجنوب إلى الشمال، إلا أنها، رغم ارتفاعها في الجنوب، تتميز بتباين كبير في زمن تساقطها وفي مكانه أيضاً، الأمر الذي جعل بعض مناطق الحزام تغمرها سيول وفيضانات في الفصل المطير ومناطق أخرى كثر يضر بها جفاف في فترات متباعدة في ذات الوقت. وإلى هذا يرد تباين كثافة الغطاء النباتي في الحزام، الذي تغطي عليه شجيرات السافانا الشوكية، على مستوى درجات العرض، من حيث التوزيع والنمط.

اقتصادياً فرض هذا التباين على معظم قاطني الحزام سلوكاً حتمياً، إلى حد ما، يتصل بممارسة اقتصاد أولي (الرعي والزراعة)، يتسم بالتقليدية. تمثل ذلك في زراعة موسمية، تتم في معظم الأحيان في حيازات صغيرة، تدار بنسق اجتماعي محلي موروث، لمحاصيل تتحمل الجفاف كالذخن والذرة الرفيعة. وفي رعي تقليدي، في معظم أنحاءه، يتكيف مع عظم المساحة وتباين غنى المراعي شمالاً وجنوباً، الأمر الذي جعل الرعاة يسلكون سبلاً شتى في الوصول إلى مراعي بعيدة صيفاً وشتاءً.

منذ سبعينيات القرن الماضي شهد الحزام موجات جفاف حادة (1969 - 1973)، وفي منتصف ثمانينياته (1984). أعقبها تصحر شديد لكثير من مساحات الحزام، خاصة الشمالية منه، عزيت لأسباب طبيعية كشح الأمطار، وأخرى بشرية تمثلت في الزراعة خارج الحدود الآمنة إيكولوجياً، وقطع وحرق الأشجار لتنظيف الأرض للزراعة أو الاحتطاب، والرعي الجائر (Ibrahim, 1984). أثرت هذه الظروف سلباً على حياة الأسر

المعيشية في منطقة الحزام، وعلى الرغم من أن سكان الحزام ابتدعوا كَثْرًا من سبل المقاومة في سبيل البقاء وضحت نفسها في استراتيجيات تقليدية اعتادوا عليها من قبل وأثبتت نجاعتها، إلا أنها فشلت في تحقيق مبتغاها في جفاف عام 1984. وتحولت الهجرات من هجرات موسمية إلى المشاريع الزراعية الكبيرة إلى هجرات دائمة للمدن يشوبها تحد آخر يتصل بضعف قدرات المهاجر وضعف منافسته في سوق العمل بالمدن (Bakhit and Hayati, 1995).

دوافع الهجرة:

عانت الدول الإفريقية الواقعة في منطقة حزام الساحل الإفريقي «الدول المرسلّة»، وما يزال بعضها، من مشكلات بيئية واجتماعية واقتصادية وسياسية، كان لها الأثر الكبير في زيادة حدة معدلات الهجرة من ريفها إلى مدنها ومن ثم من مدنها إلى دول أخرى. فالجفاف الذي ضرب الحزام في منتصف ثمانينات القرن الماضي، وتصحّرت أثره مساحات رعوية وزراعية كبيرة، أفرز على المدى الطويل، فجوات غذائية ومجاعات، وحراك سكاني، ونزاعات قبلية على موارد الماء ومراع شحيحة، ونزاعات أخرى بين مزارعين ورعاة. فجر كل ذلك على المدى الطويل نزعات قبلية وظهور مليشيات مسلحة، انفرط على إثرها عقد الأمن على المستويين المحلي والإقليمي. وعلى المستوى القومي في بعض دول الحزام (مالي، النيجر، تشاد، السودان).

تطورت مستويات الصراع من بعد، في كثير من دول الحزام، من صراع على الموارد إلى مستوى آخر أكثر حدة، إذ امتد إلى صراع على السلطة، متخذًا بعدا قوميا تعقدت مجرياته. وكان لظهور الحركات المسلحة، مثل الحركة الوطنية لتحرير أزواد شمالي مالي، وبوكو حرام شمالي نيجيريا، والعدالة شمالي النيجر، والعدل والمساواة غربي السودان دور بارز في تصعيده حتى على المستوى الدولي، الذي فرض لاحقاً تدخلاً عسكرياً دولياً تحت رعاية الأمم المتحدة لوقف الاقتتال وإرساء قواعد السلام.

شهدت كثير من الدول، التي يمر بها الحزام، مناوشات مسلحة بين الحركات المسلحة وجيش الحكومات المركزية. لم تعر تلك الحكومات، في بادئ الأمر، اهتماماً كبيراً لمجريات الصراع، ولم تزد في تقييمه سوى أنه مجرد تفلّات أمنية في أطر ضيقة وأماكن محدودة. أما بالنسبة للحركات المسلحة فلأمر جد مختلف، إذ أنهم يرون أن حمل السلاح يمكنهم من استرداد حقوق مسلوقة، وتحقيق عدالة مفقودة، والتحرر من قيود حريات مكبلة. ولا غرو في أن يسموا المناطق التي يسيطرون عليها «المناطق المحررة». ويبدو أن المشكلات البيئية في حزام الساحل الإفريقي كانت اللبنة الأولى والشرارة التي فجرت الأوضاع وأدت لظهور مشكلات اجتماعية مكن من تفاقمها تركيبة قبلية سهلة الاشتعال حال شح الموارد، وتدهور الوضع الاقتصادي جراء ضعف مخرجات الأراضي الزراعية والمراعي وشح إنتاج الثروة الحيوانية أو فقدانها. ومثل هذا وذاك دعامة أساسية لصراعات سياسية محلية وإقليمية.

اعتبر تقرير الأمم المتحدة للهجرة لعام 2021 أن الصراع في إفريقيا من أهم الأسباب التي تدفع الناس إلى الهجرة عن بلدانهم بحثاً عن حياة أفضل، وقد شهد ذلك العام، قدراً كبيراً من العنف الناتج عن الصراع من أجل الموارد والسلطة أجبر الناس على الهجرة. ففي جمهورية أفريقيا الوسطى، نشب قتال في أعقاب الانتخابات الرئاسية. واستمرت النزاعات القبلية والعنف في دارفور في السودان، وشهدت جمهورية الكونغو الديمقراطية وبوركينا فاسو عنفا بواسطة جماعات مسلحة، كما تسبب الصراع المتصاعد في منطقة تغراي

الإثيوبية في نزوح وهجرات جماعية، وفي المقابل لجأ آريثيون إلى إثيوبيا. وقد أسفر كل ذلك عن نزوح مئات الآلاف من الأشخاص (الأمم المتحدة، 2012). ومن ناحية أخرى، ساهم في هذا الصراع في منطقة حزام الساحل الإفريقي نسيج اجتماعي غير متجانس عرقياً ومتنوع ثقافياً وضعيف الاندماج روحياً لتباين انتماءات سكانه دينياً. مكن من ذلك ارتفاع معدلات الأمية، وعدم نضوج الهوية السياسية. ولم تشهد مجتمعات دول الحزام تحديثاً باتجاه دولة وطنية منسجمة عرقياً وثقافياً. وقد يشكل التنافس على الثروات الطبيعية اثتلافات قبلية تزيد من حدة الصراع وعدم الاستقرار في هذه الدول.

تزامن مع مشكلة الهوية السياسية، ظهور نخب قبلية وسياسية جديدة، اعتلت مواقع قيادية تفتقر فيها إلى مشروعية وجودها، وتسعى في كثير من الأحيان لتحقيق مصالح ذاتية. كما تعاني كثير من هذه الدول أصلاً من ضعف المؤسسات، والتنظيمات الحكومية نتيجة لغياب الإرادة السياسية، أو ضعف مشروعية الدولة، أو نقص الموارد المالية، وقد يصل الأمر لانهايار كامل لأجهزة الدولة كالجيش والشرطة، الذي يؤدي بدوره إلى أوضاع لا يحكمها القانون، ولا تظهر فيها معالم للسلطة (William, 1995).

أدى كل ذلك إلى تفاقم موجات النزوح الداخلي، القسري في معظم حالاته، تجاه المدن الكبيرة (نواكشوط، لاجوس، أنجمينا، الخرطوم ... الخ). تمخض عن هذا النزوح ظهور معسكرات كبيرة حول المدن تتراوح بين ثلاثة مليون نسمة في معسكرات حول مدينة لاجوس جنوب شرقي نيجيريا، وثلاثمائة ألف نسمة حول مدينة نيالا غربي السودان، تفتقر لأدنى مقومات الحياة من ماء نقي، وتيار كهربائي، وصرف صحي، ورعاية طبية إلا قليلاً. ولقد بلغت نسبة النزوح الداخلي في إفريقيا وحدها 45% من نسبة النزوح العالمي (ولزر، 2010)، وأصبحت هذه المعسكرات لاحقاً بداية لانطلاق هجرات دولية، شرعية كانت أم غير شرعية.

جزر السعادة:

وفي المقابل تبدو دول الاتحاد الأوروبي للمهاجرين الأفارقة ملاذاً يوحى بحياة آمنة، وفرص عمل أفضل، وحياة يسودها الرفاه، ومسرحةً يخطط فيه وعبره لمستقبل ما بعد العودة لبلد المهاجر نفسه. ذلك لأنها لا تزال تقدم النموذج الأمثل لدول قائمة على المواطنة القومية، التي لا يقبل فيها تشكيل جماعي خارج النطاق القومي. والذي يؤمن على ذلك ويثبت قواعده ميثاق الحقوق الأساسية لدول للاتحاد الأوروبي، الذي بدأ العمل به في عام 2000. أكد الميثاق على تشارك دول الاتحاد في مستقبل آمن قائم على قيم الحرية، والكرامة، والمساواة، والتضامن. وعلى مبادئ الديمقراطية وتقوية حماية الحقوق الأساسية في ضوء تغيرات المجتمع، والتقدم الاجتماعي، والتطورات العلمية، والتكنولوجية. ونصت أهم فصوله على مبادئ أساسية تتمثل في: الكرامة والإنسانية والحرية والأمن والمساواة أمام القانون. وعلى حقوق كثيرة أهمها: الفكر والديانة والحرية والتعبير والصحة والتعليم، وحظر التعذيب والعقوبة أو المعاملة غير الإنسانية أو المهينة، وحق اللجوء والمملكية، وإدارة الأعمال التجارية (ميثاق الحقوق الأساسية للاتحاد الأوروبي، 2000). ومن ناحية أخرى فقد ساعد الإعلام الغربي في جذب المهاجرين والمغامرين سكان حزام الساحل الإفريقي بعكسه صورة حياة لواقع حياة مميز عبر ما تبثه وسائله، وما يرفع على الشبكات الإخبارية ومنصات قنوات التواصل الاجتماعي، من برامج وأفلام وثائقية وصور تعكس واقع الحياة في دول الاتحاد، وما تتمتع به من مزايا جاذبة تمثلت في بيئة نظيفة خضراء، وبنيات تحتية متميزة خطط لها بدقة ونفذت بعناية.

كما شجعت التحويلات المالية التي يبعث بها المهاجرون الذين وصلوا دول الاتحاد، ونجحوا في ترتيب أوضاعهم فيها، إلى ذويهم في بلدانهم. والمشاريع الصغيرة الخاصة التي أنشأها العائدون من الهجرة بفضل ما جنوه من مدخرات مالية مناسبة، وأداروا تلك المشروعات بأنفسهم. وما يعكسه المهاجرون العائدون إلى أوطانهم من صور حية لحقوق المهاجر في دول الاتحاد الأوروبي من: إشباع لحاجاتهم المادية من غذاء وكساء ومأوى ورعاية طبية وتعليم واحترام لحقوق الإنسان، وعظم فرص ملتسمو اللجوء في الحصول عليه وتحقيق، من ثم، أحلامهم. ساهم كل ذلك في رسم صورة إيجابية لدول الاتحاد الأوروبي في أذهان كثير من الشباب الأفارقة الطامحين لتغير أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، والمتطلعين لحياة أفضل، والباحثين عن الحريات، والهاربين من الضغوط السياسية والاضطهاد. كل ذلك دفعهم للهجرة فأصبحوا متهين لاغتنام أي فرصة تسنح أمامهم وتمكنهم من الوصول إلى دول الاتحاد وإن أدى ذلك للمخاطرة بأنفسهم أو أودى بحياتهم. ونسبة لقرب القارة الأوروبية من شواطئ شمال إفريقيا، وتقدمها الحضاري، وتوفر فرص العمل بها، واعتدال مناخها كان البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي معبرهم إليها (الزاندني، 2018).

المخاطرة واللجوء:

بلغ عدد المهاجرين الدوليين عام 2019، في جميع أنحاء العالم، 272 مليون شخصاً، 75% منهم في سن العمل (20 - 64 سنة)، يقيم 26% منهم في أوروبا (الأمم المتحدة، 2019). وليست كل الطرق المتخذة سبيلاً للهجرة قانونية، بالطبع، فكثير من الهجرات غير قانونية وتسلك طرقاً فيها مخاطرة بالأرواح كبيرة جداً. يسلك المهاجرون من غربي ووسط إفريقيا ومنطقة القرن الأفريقي طرقاً خطيرة مليئة بالعقبات عبر الصحراء الكبرى إلى دول المغرب العربي وليبيا أولاً، وازداد التركيز على ليبيا بشكل خاص بسبب الفراغ الأمني والسياسي فيها منذ 2011، ثم عبر المتوسط وتكون وجهتهم الأولى إلى جزر البحر الأبيض المتوسط، خاصة جزيرة لامبيدوزا الإيطالية، فدول الاتحاد الأوروبي. وطريق ثان يبدأ من السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط متجهاً نحو بحر إيجه، فتركيا، فاليونان. وآخر يبدأ من سواحل السنغال وموريتانيا والمغرب غربي إفريقيا متجهاً إلى جزر كناري فإسبانيا، وأقصرها يبدأ من دول الساحل الإفريقي مروراً بالمغرب وانتهاء في جبل طارق أو البرتغال وقد يتفرع إلى ليصل بحر الشمال لينتهي في فرنسا وبريطانيا. ومن ثم التقدم بطلب للجوء السياسي حتى بغية الحصول على حماية دولية. وتصل المخاطرة ذروتها عند تعامل المهاجر غير الشرعي مع وسطاء وشبكات تهريب منظمة، ليس له سابق معرفة بها، ولا تربطه بها أي صفة قانونية فيتم استغلاله مادياً في صفقة تفتقر إلى وضوح طريقة ومسار الرحلة وإلى أدنى مستوى من الضمانات. وتضم هذه الشبكات أشخاصاً ذوي خبرات بقوانين الهجرة والجنسية والإقامة، ولدى بعضهم خبرات عمل سابقة في البلدان التي يهربون إليها المهاجرين وفي وكالات السفر وشركات النقل البري والبحري. ويتم عادة تهريب المهاجرين عبر السفن التجارية بإدخالهم فيها دون علم وإدارة ملاحظيها أثناء عمليات الشحن والتفريغ، ويخفونهم داخل المستودعات أو قوارب النجاة، مستغلين في ذلك الممرات التي تقل فيها نقاط المراقبة من قبل حرس الحدود (المبارك، 2008). أو قوارب صيد غير مرخصة، وقد يضطر المهاجر المخاطرة بروحه في طريق يزيد عن الألف كيلومتر أملاً في الوصول إلى دول الاتحاد مستغلاً قوارب وسفن قديمة لا تصلح عادة للإبحار مسافات طويلة (ولزر، 2010).

وطرق الهجرات هذه محفوفة بالمخاطر، أبسطها نهب الأموال بواسطة الوسطاء أو عصابات الاتجار بالبشر. وقد تجبر الظروف الاقتصادية الحرجة للمهاجر على بيع بعض أعضائه لتوفير نفقات معيشتهم وتسديد ما تطلبه شبكات تهريب البشر من مبالغ مالية. وأعظمها فقدان الطريق والموت عطشاً في الصحراء. وفي كثير من الأحيان يقبض على المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين والذين انتهت فترة الإقامة الممنوحة لهم في دول شمالي إفريقيا في سبيل الوصول عبرها إلى أوروبا، وإرجاعهم إلى بلدانهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغ عدد المهاجرين المرحلين من الجزائر، التي أصبحت منطقة عبور لغيرها من دول شمالي إفريقيا، 11000 مهاجراً عام 1990 و23.171 في 2020 و27.208 في 2021. ويترك المرحلين في منطقة صحراوية حدودية بين الجزائر والنيجر، معرضين لإصابات جسدية وعنف جنسي وصدمات نفسية شديدة. كما أفاد التقرير إلى أن ما يقرب من 70% من الأشخاص الذين تلقوا الرعاية من المنظمة في المنطقة، أنهم تعرضوا للعنف وسوء المعاملة على حدود الجزائرية النيجرية والليبية النيجرية. كما تم تأكيد وفاة ما لا يقل عن 38 شخصاً في هاتين المنطقتين الحدوديتين بين عامي 2020 و2021 (أطباء بلا حدود، 2021) ويتعرض من يستطيع التسلل بحراً إلى أوروبا في طريق هجرته إلى خطر الغرق في مياه البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي وبحر الشمال. ولقد أشار تقرير منظمة أطباء بلا حدود إلى غرق 6300 شخصاً في الفترة بين 2000 - 2010 بين السواحل المغربية وجزر الكناري بينما تتحدث الأرقام الرسمية عن 1400 شخص فقط (ولز، 2010). ويعتقد أن 3030 شخصاً غرقوا بين يناير وأغسطس 2015، و937 آخرين قبالة سواحل جزر الكناري خلال العام 2020. كما أفادت المنظمة الدولية للهجرة بوفاة ما لا يقل عن 1146 شخصاً أثناء محاولتهم الوصول إلى أوروبا عن طريق البحر في الأشهر الستة الأولى من عام 2021، وهي زيادة بأكثر من الضعف مقارنة بالفترة نفسها من عام 2020 (BBC، 2020). وقد حصر مشروع المهاجرين المفقودين التابع للمنظمة الدولية للهجرة الذين لقوا حتفهم غرقاً في الفترة من 2014 إلى 2018 بلغ 30900 شخصاً من نساء ورجال وأطفال، منهم 17919 لقوا حتفهم غرقاً في البحر الأبيض المتوسط (الأمم المتحدة، 2020)، وهذا الرقم الذي يشير إلى الذين تم حصرهم فقط، وبالتأكيد هنالك أعداد كبيرة لأفراد غرقوا أو فقدوا ولم يتم حصرهم، وللذين بلغوا مقصدهم ودخلوا دول الاتحاد ولم يسجلوا كمهاجرين في سجلات تلك الدول.

مكيال الرفض والقبول:

في سبيل إيقاف سيل الهجرات غير الشرعية الوافدة إلى دول لاتحاد الأوربي، أو الحد منها على أقل تقدير، عقدت دولها لعديد من الاتفاقيات وأبرمت عدة موائيق من أجل مكافحتها، ووضعت إجراءات وضوابط مشددة تطبق بحق المهاجرين غير الشرعيين.

وتلتزم دول الاتحاد بالاتفاقيات الدولية الخاصة بالهجرة وحقوق المهجرين، كاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة لعام 2000، والتي أكدت مادتها الأولى على «تعزيز التعاون لمنع الجريمة المنظمة ومكافحتها». ونسبة لعدم فاعليتها في منع تهريب المهاجرين ألحقت ببرتكول خاص عام 2003 يكافح تهريب المهاجرين ويجرمه (التقي، 2012). كما تلتزم باتفاقيات منظمة العمل واتفاقيات الهجرة واتفاقيات حماية حقوق المهاجرين التي تؤكد على حماية جميع العمال المهاجرين وأفراد أسرهم لعام 1990، وضمان حقوقهم في السكن والتعليم والصحة والتأمين الاجتماعي وغيرها من الحقوق للحائزين منهم على وثائق رسمية وغير

الحائزين على السواء (أحمد، 2015). وعلى مستوى دول الاتحاد فقد نص أحد بنود اتفاقية شينغن (Schen-gen) التي أبرمت عام 1985 بين دول الاتحاد الأوروبي، على أن يكون تأمين حدود الدول الأعضاء من مهام الدول الواقعة على الحدود الخارجية للاتحاد، أما الحدود البينية بين الدول فيسود فيها مبدأ حرية التنقل، وألغيت مراقبة الحدود الداخلية. ضاعف هذا البند الضغط على إسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليونان لحماية حدودها الجنوبية والغربية. كما أُنم مؤتم الهجرة غير النظامية وكرامة المهاجرين الذي عقد في فرنسا في 2001 على تعزيز الإجراءات الأمنية وآليات الرقابة من قبل الدول الأعضاء على الحدود الأوروبية وإلقاء القبض على المهاجرين غير الشرعيين القادمين من أوروبا الشرقية وآسيا أو أفريقيا جنوب الصحراء ومكافحة الاتجار بالبشر. وركز على المواصلة في برامج المساعدة على المستوى المحلي في البلدان الأصلية للمهاجرين (المجلس الأوروبي، 2001). ولما لم تتمكن هذه الدول من فرض السيطرة الكاملة على حدودها ومنع تسرب المهاجرين إليها، أسست دول الاتحاد في 2005 «الوكالة الأوروبية لحماية الحدود» بغرض فرض رقابة أكثر شدة وفعالية على حدودها. وتم وضع جدر حدودية يصل ارتفاعها إلى ستة أمتار، وتوفير الآليات التي تساعد في ذلك، إذ دُعمت الوكالة بأكثر من عشرين طائرة، وثلاثين مروحية، وأكثر من مائة باخرة، فضلاً عن إنشاء مراكز إلكترونية المجهزة بتقنية عالية كالأقمار الصناعية المسمى بشبكة فرس البحر والرادارات وأجهزت الإشعار الليلي والصور الحرارية وغيرها (ولزر، 2010).

كما انتحت دول الاتحاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط منحى آخر في الحد من الهجرة مع دول شمالي إفريقيا في شراكة أوروبومتوسطية. باعتبارها دولا يفد عبرها المهاجرين غير الشرعيين وعقدت معها شراكات اقتصادية تقضي بتمرير المساعدات من الدول الأوربية نظير أن تشجع الإفريقية حقوق الإنسان والتحول الديمقراطي والتنمية المستدامة والانتقال إلى اقتصاد السوق والعمل على مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية. تمثل ذلك في حوار روما «5 + 5» عام 1990 والذي شاركت فيه من الجانب الإفريقي مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب بجانب دول الاتحاد المطلة على البحر المتوسط (اليونان وفرنسا وإسبانيا)، والذي هدف لوضع خطة متكاملة لعلاج المشاكل التي لها علاقة بالهجرة غير الشرعية. تلتها عام 2007 اتفاقيات أمنية بين ليبيا وإيطاليا، وتونس وإيطاليا، والمغرب وإسبانيا تلتها دورات تدريبية في مراقبة الحدود وحماية المهاجرين وترحيلهم لبلدانهم كخطوات احترازية للحد من الهجرة غير الشرعية. وبالرغم من تلك الاحترازات المشددة على تأمين الحدود دخل أوروبا في عام 2015 وحده 300 ألف لاجئ، و141 ألف عام 2018، و122 ألف عام 2019. ويتوقع أن يصل عدد الأفارقة في أوروبا عام 2050 إلى 480 مليون شخصاً، بينما لم يزد عددهم عن 600 ألف عام 1990 (Stephan, 2019).

يواجه المهاجرين غير الشرعيين الذين تمكنوا من الدخول إلى دول الاتحاد الأوروبي صعوبات جمة في إجراءات التقديم للجوء وأحقية الحصول عليه وينتظر كثيرون منهم أشهراً، وأحياناً أكثر من عام في معظم دول الاتحاد. ففي عام 2019 علق المجلس اليوناني للاجئين النظر فيما يزيد عن 87 ألف طلب لجوء لمدة ستة أشهر، مع وجود ما يزيد عن 45 ألف طلب مُعلق من قبل (BBC, 2020). ورغم هذا التشديد وإغلاق المنافذ أمام المهاجرين غير الشرعيين تزداد حاجة الدول الأوربية للأيدي العاملة جراء توسعها في القطاعين الزراعي والصناعي وغيرهما، وترتفع فيها نسبة كبار السن والمتقاعدين وتقل نسبة المواليد بشكل

كبير، ففي إيطاليا وألمانيا على سبيل المثال تبلغ نسبة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 عاماً 14 %، وفي فرنسا 16 %، وفي بريطانيا 18 %، وفي المقابل فإن ثلثي سكان إفريقيا من هذه الفئة العمرية. الأمر الذي فرض على دول الاتحاد الاستفادة من المهاجرين لسد النقص الحاد في الأيدي العاملة، في محاولة ألا يتعارض ذلك مع قوانين الهجرة والعمل في دول الاتحاد، الأمر الذي يفرض إعادة النظر في قوانين الهجرة والعمل المتفق عليهما بين دول الاتحاد.

نسبة لقرب شواطئها الجنوبية من إفريقيا عند مضيق جبل طارق تتعرض اسبانيا لهجرات غير شرعية مكثفة، فقد بلغ عدد الذين دخلوا أراضيها في عام 2021 أكثر من 40 ألف مهاجر عن طريق المغرب وجزر الكناري والبليار، و9 ألف آخرين دخلوا في الفترة من يناير وحتى يوليو من عام 2022. ولمواجهة النقص الحاد في العمالة والاستفادة من المهاجرين في موازنة سوق العمل في القطاع الزراعي والصناعي والخدمي فقد وافق مجلس الدولة الاسباني على مشروع المرسوم الملكي على تعديل قانون الهجرة في يوليو 2022، وتوفير فرص تدريب وتأهيل للعمالة حسب حاجة القطاع المعني (Info Mi-grants, 2020).

اتخذت السياسات تجاه المهاجرين غير الشرعيين في البرتغال ذات المنحى الذي اتخذته اسبانيا. ذلك لأنها تأثرت بمغادرة مليون ونصف من مواطنيها معظمهم من الشباب بشكل دائم أو مؤقت خلال الفترة من 2017 - 2021 جراء الأزمة الاقتصادية التي ضربت البلاد في تلك الفترة، فضلا عن انخفاض نسبة المواليد فيها، وهي الأقل في دول الاتحاد الأوروبي. أدى هذا النقص الحاد إلى أن يصرح رئيس الوزراء البرتغالي باستقبال 10 ألف مهاجر للعمل في قطاعي الزراعة والصناعة. وفي فرنسا، التي يزداد التسلسل إلى أراضيها بحكم القرب من إفريقيا، تجد السلطات صعوبة تحديد رقم فعلى لعدد للأشخاص غير المسجلين بسبب سرية طريقة دخولهم وأسلوب حياتهم، ولكن التقدير الأكثر شيوعاً الذي قدمته العديد من المنظمات الفرنسية يتراوح بين 500 و800 ألف. وفي الوقت الذي تعمل فيه الحكومة الفرنسية على تقليص عدد المهاجرين غير الشرعيين داخل حدودها، تنادي الهيئات والمنظمات الحقوقية الفرنسية بتقنين وضع المهاجرين غير الشرعيين والذين يعملون في ظروف عمل سيئة. وهي بذلك التوجه تقف في وجه اليمين المتطرف وتدعم الوقفات الاحتجاجية الداعمة لتلك المواقف. وفي ذلك تأكيد لازدواج المعايير والكيل بمكيالين، والتعامل غير العادل مع المهاجرين.

درجت الحكومة الإيطالية، لحاجتها الماسة للعمالة في القطاعين الزراعي والصناعي، على تسوية أوضاع المهاجرين عدة مرات، كان آخرها مرسوم عفو صدر في 2022 لتسوية أوضاع المهاجرين غير الشرعيين المخالفين لقانون العمل والإقامة. والقاصر على الذين وفدوا لإيطاليا قبل مارس 2020. يمنح القانون المهاجر غير الشرعي حق العمل لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد والتحول إلى إقامة دائمة. دعمت وزيرة الزراعة هذا المرسوم بحجة أنه ينهي العمل غير القانوني السائد (الأسود)، وأكدت على أن المهاجرين غير الشرعيين يعملون، وبشكل غير قانوني، في قطاع الزراعة وتربية الحيوان وصيد الأسماك والعمل المنزلي وقيادة السيارات لكبار السن وذوي الإعاقات ورعاية الأطفال. وهذا الأمر يعكس معرفة الدولة بدور المهاجر غير الشرعي وعملة في قطاعات إنتاجية وخدمية، وغض الطرف عن ملاحقتها لحاجة سوق العمل لها.

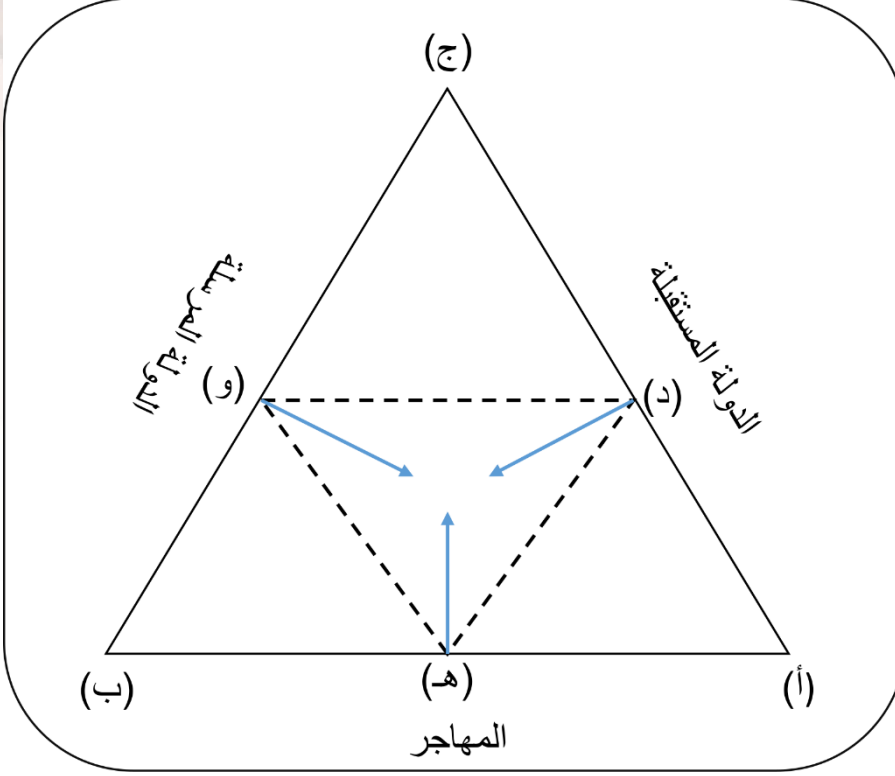
أشار معهد برلين للسكان والتنمية في ألمانيا بناء على دراسات أجراها على الوضع الوظيفي إلى إنه في نهاية عام 2019 كانت هنالك 1,4 مليون وظيفة شاغرة، وهي بالتالي بحاجة ملحة ومستمرة لأيد عاملة نسبة لأن عدد السكان فيها في تناقص مستمر، كغيرها من دول الاتحاد الأوروبي المصابة بالشيخوخة. الأمر الذي فرض عليها في مارس 2020 أن تصدر قانوناً جديداً للهجرة يمكن لليد العاملة المهاجرة إليها، المتخصصة منها وذات التكوين المهني المتوسط، من العمل أو العيش في قطاعاتها الإنتاجية والخدمية بإجراءات غير معقدة ولا تتطلب الحصول على فرصة عمل قبل التقدم للعمل، فضلا عن توفيرها لفرص لتأهيل العمالة الوافدة بشكل مستدام. ويتوقع أن تستقطب ألمانيا 25.000 عامل مختص سنوياً. وإن مثل هذه القوانين، وإن كانت ايجابية بالنسبة لحاجة سوق العمل ويُرحب لتحريك عجلة الإنتاج، إلا أنها لا تتفق وقوانين الاتحاد الأوروبي الخاصة بالهجرة، وغير مُرحب بها من قبل المواطنين. تواجه القوانين التي تتساهل مع العمالة الوافدة، بصورة شرعية أو غير شرعية، معارضة داخلية من مواطني دول الاتحاد الأوروبي، ويمارس المواطنون وبعض القنوات الفضائية اليمينية عبر برامجها الموجهة ضغوطا على صناع القرار بإعادة المهاجرين غير النظاميين إلى بلدانهم الأصلية. وما يعقد الأمر ويزيده سوء أنه لا توجد بيانات واضحة عن أعدادهم نسبة لأن كثير منهم دخلوا متسللين وغير مسجلين في سجلات الهجرة.

ووفقا لاستطلاع أجرته مؤسسة يوجوف عام 2018 حول رضا مواطنو دول الاتحاد الأوروبي عن قبول مزيد من المهاجرين، فإن نسبة عالية سكان الدول التي شملها الاستطلاع قد أبدوا معارضتهم لاستقبال المزيد من المهاجرين، ورغمًا عن حاجة سوق العمل إليهم، ففي ألمانيا بلغت 72%، والدنمارك 65%، وفنلندا 64%، والسويد 60%، والنرويج 52% (Wikipedia, 2021).

مثلث مكاسب الهجرة:

لتوضيح مكاسب الهجرة للشركاء الثلاثة: المهاجر والدولة المرسله والدولة المستقبلة تم تصميم الشكل أدناه. حيث يمثل الضلع «أ-ب» المهاجر، والضلع «ب - ج» الدولة المرسله، والضلع «ج- د» الدولة المستقبلة. وتم تحديد المستوى المثالي لمكتسبات المهاجر بالضلع «هـ - و» ولمكتسبات الدولة المرسله بالضلع «و- د» ولمكتسبات الدولة المستقبلة بالضلع «د - هـ». وبالتالي يصبح المثلث «د هـ و» المكتسبات المثلى للشركاء الثلاثة، والذي من المستحيل أن يتحقق بنسبة 100%. وذلك لعدة عوامل متداخلة تؤثر على كل شريك. وفيما يلي استعراض لذلك:

شكل يبين مكاسب الهجرة للشركاء الثلاثة



المصدر: عمل الباحث 2023

أولاً: ضلع المهاجر:

يشير الضلع «أ - ب» في الشكل رقم «1» على مكتسبات المهاجر، وتوجهه مكتسباته في اتجاه السهم المتجه نحو الضلع «د - و». وعلى الرغم من أن الروائي العالمي التنزاني الأصل عبد الرزاق قرنح، الفائز بجائزة نوبل للأدب لعام 2021، يرى أن الوافدين من أفريقيا إلى أوروبا ثروة بشرية ثمينة «لا يأتون فارغي الأيدي» (Aljazeera, 2021)، فإن عدد كبير من مهاجري حزام الساحل الإفريقي غير الشرعيين، الذين فروا من مناطق صراع قبلي، أو من مناطق ريفية يفتقرون لمهارات عالية بمعايير الاتحاد الأوروبي، وينخرطون في وظائف عمالية تتطلب مهارات متدنية في ظروف عمل سيئة وبأجور منخفضة في جميع دول الاتحاد. تتمثل في نشاطات زراعية موسمية (جني محاصيل) أو عمالة مؤقتة وغير شرعية تنخرط في القطاع الصناعي وفي عمليات الشحن والتفريغ وغيرها. وعلى الرغم من مساهمتهم الواضحة في سوق العمل في وظائف عمالية، إلا أنهم يصنفون وفقاً لكابل (Chapple et al, 2010) مجموعة ضعيفة، أو بعبارة أخرى هشّة ومعرضة للآزمات الاقتصادية والاجتماعية (Vulnerable). وذلك اعتماداً على معايير عدة أهمها:

مجال العمل: يعمل معظمهم في اقتصاد غير رسمي أو غير قانوني.

ضعف الأجر: يتقاضى المهاجر أجراً أقل من المواطن نظير ذات العمل والجهد.

الحماية: يفتقرون لسبل الحصول على الحماية الاجتماعية الأساسية وحقوق العمال كغيرهم من العمال المهاجرين الشرعيين كالتأمين الصحي والعلاج على سبيل المثال، وكثيراً ما يكونوا ضحايا للاستغلال والعمل تحت شروط مجحفة. **القدرة على المنافسة:** نسبة عالية من العمال المهاجرين يعملون من أجل البقاء (الحصول على الغذاء).

يظهر هذا الاستضعاف بشكل جلي في الأجور، أسبوعية كانت أم شهرية. ويصل الفرق في قيمة الأجر بالساعة في الدول المستقبلية إلى 29,6% في إيطاليا، و28,3% في البرتغال، و27,3% لوكسمبورج، و21,2% في اليونان، و19,9% في هولندا، و12,7% في بلجيكا (UN, 2020). ورغم أن ذلك فإن ما يحصلون عليه من أجور في دول الاتحاد الأوروبي يعتبر عالياً جداً إذا ما قورنت بأجور نظرائهم الذين يؤدون ذات الأعمال في بلدانهم (الحضري، 2021). ويمكن تلخيص المكاسب التي يحصل عليها المهاجر في النقاط التالية:

ويعتبر الأجر الذي يتقاضاه المهاجر من أهم المكاسب التي يسعى المهاجر لتحقيقها، وعبرها يستطيع أن يدخر بعضاً من دخله وتحقيق طموحات أخرى أكثر أهمية، ألا وهي مرحلة ما بعد الهجرة. يكسب المهاجر لغة جديدة، وعبرها ثقافة أخرى. مستفيداً من الدورات المجانية التي تعقدتها دول الاتحاد وبعض المنظمات الحقوقية والكنائس للوافدين الجدد إليها. ومن ثم يستطيع التكيف مع المجتمع الجديد، وفهم قوانين العمل فيه، ويكتسب قدرة على التفاوض والدفاع عن حقوقه.

يجد المهاجر فرصة، في دول الاتحاد الأوروبي، لممارسة طابع حياة منظم ودقيق لم يألفه من قبل، ويتعامل مع نظام دولة وضوابط مجتمع جديدة عليه، كالالتزام بالقوانين العامة، واحترام الطقوس الاجتماعية، وممارسة مفهوم الحرية وحقوق الآخر، وإدارة الوقت، واحترام العمل، وغيرها. وحتماً سينعكس كل ذلك إيجاباً على المهاجر نفسه، ويساعده ذلك في إدارة ذاته وتنظيم أسلوب حياته في المقام الأول، ولاحقاً إدارة المنشأة التي يخطط لها بعد العودة لبلاده.

يحصل المهاجر الذي يجد فرصة عمل على مستوى تدريبي عال في مجال عمله، وبالتالي يحصل على خبرات ومهارات أعلى مما كان يتمتع به من قبل. وبهذه المهارات تقل نسبة الهشاشة أو التعرض للآزمات (Vulnerability) لديه طالما أنه بهذا القدرات المكتسبة يكون باستطاعته المنافسة للعمل، في مؤسسات أخرى شبيهة، بقدرات أعلى حال فقدته لوظيفة وجد فيها فرصة تدريب. وفي ذات الوقت يساعده ذلك التدريب وتلك الخبرات على خلق تصور جديد لفكرة منشأة أو مشروع اقتصادي صغير كان حلماً يراوده قبل الهجرة.

يحصل أبناء المهاجرين الذين يقيمون مع ذويهم في دول المهجر تعليماً متقدماً من حيث إعداد المناهج وطرائق التدريس والبيئة المدرسية وأساتذة ومشرّفين اجتماعيين أكفاء مقارنة بوضع التعليم في الدول المهاجر منها. الأمر الذي يجعلهم أكثر قدرة على تحقيق الذات إن طالت غربتهم مع ذويهم، وأقوى قدرات تنافسية إن رجعوا إلى بلدانهم. وفي المقابل فإن العقبات التي يتعرض لها المهاجر من استغلال في سوق العمل والمتمثل في ضعف حقوقه وقلة العائد من عمله، وطول ساعات اليوم العملي، وضعف التدريب. نسبة لوجوده غير الشرعي. فضلاً عن عدم الاندماج في المجتمع الجديد من حيث اللغة وطابع الحياة. الأمر الذي

يطيل أمد الهجرة، والذي يعد عاملاً سلبياً من وجهة النظر الاقتصادية. يؤثر كل ذلك، على مكتسبات المهاجر وفي هذه الحالة لا تصل مكتسباته لخط المكتسبات الأمل «هـ - و» وعندئذ تكون مكتسبات الدولة المرسله أقل أيضاً، ويعلو كعب مكتسبات الدولة المستقبلة.

ثانياً: الدولة المرسله:

يشير الضلع «ب - ج» في الشكل رقم «1» على مكتسبات الدولة المرسله، وتتجه مكتسباتها في اتجاه السهم المتجه نحو الضلع «و - د»، والذي يمثل أعلى مكتسباتها. ومما لا شك فيه فإن لهجرة الأفارقة لدول الاتحاد الأوربي أبعاد ايجابية. ولقد أظهر تقرير الصندوق الدولي للتنمية الفلاحية أن المهاجرين الأفارقة يساهمون بشكل كبير في التنمية ببلدانهم الأصلية من خلال التحويلات المالية. ففي الوقت الذي فيه لا تفرض دول الاتحاد الأوربي ضرائباً على هذه التحويلات، والتي عادة ترسل عن طريق البريد أو ويستيرن يونيون (Western Union)، تستخلص منها الدول الإفريقية التي ينتمي إليها المهاجرين حوالي 10 بالمائة. وبالطبع تزداد أهمية هذه النسبة للنتاج المحلي كلما زاد المبلغ. ولقد بلغت تحويلات الأفارقة من دول الاتحاد الأوربي أكثر من 60 مليار دولار في 2016. وفي عام 2017 تم تحويل 41 مليار دولار إلى بلدانهم الأصلية (Info Migrants, 2020). وتحتل نيجيريا المرتبة الأولى بحوالي 19 مليار دولار، وغانا 2 مليار دولار. مع الوضع في الاعتبار عدد سكان الدولتين ونسبة المهاجرين من كل منهما. ويمكن تلخيص مكاسب دول حزام الساحل الإفريقي من المهاجرين في النقاط التالية:

على الرغم إن بعض تحويلات المهاجرين الأفارقة لذويهم تسلك طرقاً غير نظامية، إلا أن التحويلات نظامية كانت أم غير نظامية، تساهم بصورة واضحة في اقتصاديات الدول المرسله، فتقلل من الحد الأدنى للفقر، وترفع مستوى التنمية.

تشكل تحويلات المهاجرين أهمية كبيرة بالنسبة لاقتصاد بعض الدول، ففي نيجيريا ومالي، تشكل ما يصل إلى 15 % من الناتج المحلي الإجمالي.

يتلقى ذوو المهاجرين في بلدانهم بحزام الساحل الإفريقي تحويلات مالية خالية من الضريبة من قبل دول الاتحاد الأوربي، تساعد في رفع مستوى معيشتهم، وتفتح لهم مجال استثمار يواكب طاقة ومجال السوق المحلي. يساهم المهاجرون العائدون لبلدانهم في إدخال مشاريع خدمية جديدة، وتحسين أساليب إدارة المنشآت الصغيرة بحكم احتكاكهم بأساليب وإجراءات إدارية اكتسبوها في المهجر، فيطبقونها، ومن ثم، تحسين مخرجات مؤسساتهم. وفي ذات الوقت يرفعون من مستوى المنافسة.

من أهم المكاسب والآثار الإيجابية لهجرة أعداد كبيرة من الشباب من دول حزام الساحل الإفريقي إلى دول الاتحاد الأوربي تخفيف من معدل البطالة، وهذا بدوره ينعكس إيجاباً على زيادة دخل العمال فيها. وبالمقابل فإن الدول المرسله أو المهاجر منها تفقد سواعداً إنتاجية شبابية من عمال وفنيين مؤهلين، وخبراء، وتتأثر الأسر ببعدها أو بعض أفرادها لفترة طويلة، وربما تواجه نقصاً في الأيدي العاملة. فضلاً عن تعثر المهاجرين في دول المهجر، وضعف تحويلاتهم، أو أن هجرة أغلبهم كانت منذ البدء بهدف عدم العودة للوراء «استيطانية»، وبغية الحصول على ذلك يكون زواج المهاجر من شريك في الدولة المستقبلة خيار بعضهم. ويؤثر كل ذلك بالطبع على مكتسبات الدولة المرسله وفي هذه الحالة لا تصل مكتسباتها لخط المكتسبات الأمل «و - د» وعندئذ تزداد مكتسبات المهاجر والدولة المستقبلة على مكتسبات الدولة المرسله.

ثالثاً: ضلع الدولة المستقبلية:

يشير الضلع «ج - أ» في الشكل رقم «1» على مكتسبات الدولة المستقبلية، وتتجه مكتسباتها في اتجاه السهم المتجه نحو الضلع «د - هـ»، والذي يمثل أعلى مكتسباتها. ونسبة لأن مؤسسات القطاع الخاص في دول الاتحاد الأوروبي تعمل من أجل تحقيق عائد ربحي عال فإن وضع الضعف الذي يسيطر، في كثير من الأحيان، على المهاجر غير الشرعي (Vulnerable Migrant)، وفق معايير حددت أعلاه، يساعد تلك المؤسسات، بشكل أو بآخر، في ذلك المنحى وتحقيق المراد. ذلك لأنها تعمل على زيادة الطلب على تقنين وضع المهاجرين غير الشرعيين وقبول اللاجئين لحاجتها لهم في سوق العمل. وتضغط بالتالي على صانعي القرار السياسي وتدفعهم لقبول عدد مقدر من المهاجرين غير الشرعيين بما يتفق وحاجة سوق العمل في قطاعات اقتصادية عدة أهمها الزراعي والصناعي. وتشير لغة الأرقام إلى أن معظم المهاجرين غير الشرعيين يجدون فرصاً للعمل في دول الاتحاد، سواء كانت شاغرة أصلاً أو تنافسوا عليها مع عمال محليين. الأمر الذي يؤكد حاجة السوق إليهم، ففي إيطاليا، على سبيل المثال لا الحصر، يستوعب القطاع الزراعي وحده بين 450-500 ألف عامل مهاجر، خاصة في جنوبها، إذ تعتبر صقلية ثالث أكبر منتج للخضر في أوروبا، أي حوالي نصف إجمالي قوتها العاملة. وفي ألمانيا أفاد المكتب الاتحادي للهجرة واللاجئين عام 2020 بأن 49% من المهاجرين استطاعوا العثور على عمل ثابت في غضون خمس سنوات من وصولهم، بعد أن أجاد 44% منهم اللغة الألمانية بدرجة «جيدة» و«جيدة جداً» (BBC, 2020). وفي إطار تمتع المهاجرين غير الشرعيين بالخدمات الاجتماعية المتاحة في دول الاتحاد، فإنهم يدفعون قدرأ أقل من الضرائب من أولئك الذين يعملون بشكل قانوني، وبالتالي فإنهم لا يتمتعون بالخدمات بنفس الدرجة التي يتمتع بها غيرهم. ولكنهم في كثير من الأحيان لا يطالبون بها لجهلهم بها أو لصعوبة الوصول إليها. وهذا يعني أن الخسائر المالية الناتجة عن انخفاض الإيرادات الضريبية يجب تعويضها من خلال المدخرات الناتجة عن خفض الإنفاق العام (Chapple et al, 2010) ويبدو واضحاً تأثير المهاجرين غير الشرعيين على اقتصاد دول الاتحاد الأوروبي رغماً عن وصولهم إلى الخدمات العامة دون دفع نصيبهم العادل في الضرائب. ولكن يجب تدارك تقصيرهم في دفع الضرائب بعدم حصولهم على خدمات اجتماعية كاملة أسوة بغيرهم. ومهما كان تقييم الأمر اقتصادياً فإن دول الاتحاد الأوروبي باعتبارها دولاً مستقبلية تستفيد من مساهمة المهاجرين في اقتصادها، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على تقديم خدمات أفضل، ويسهم ذلك بشكل مباشر في تخفيف العبء على شركات التأمين. وحسب دراسة شركة تشنكير للتأمين الصحي، فإن المهاجرين قد خففوا من خلال مساهماتهم من أعباء شركات التأمين الصحي منذ 2012 بثمانية مليارات يورو (Info Migrants, 2020).

بناء على ما تقدم يمكن تلخيص مكاسب دول الاتحاد الأوروبي باعتبارها دولاً مستقبلية للمهاجرين في

النقاط التالية:

تستفيد دول الاتحاد الأوروبي من توفر عمالة وافدة، بعضها تقنية ماهرة في مجالاتها، لم تبذل دول الاتحاد جهداً في إعدادها وتأهيلها في معظم الأحيان، وتسد هذه العمالة عجزاً كبيراً في سوق العمل خاصة في القطاعين الزراعي والصناعي.

بقاء بعض الشركات التي لا يرغب مواطنو الاتحاد في العمل بها لأسباب اجتماعية أو لانخفاض الأجور فيها في سوق العمل. إذ أصبحت هذه الشركات تعتمد على المهاجرين وتوظفهم لقبولهم أجوراً

منخفضة ليقينهم بضعف مهاراتهم. وتسكب بذلك فوائد اقتصادية مهمة تبقيها منافسة في سوق العمل. يساهم المهاجرون في زيادة عدد سكان دول الاتحاد الأوروبي وحل مشكلة ارتفاع نسبة الشيخوخة بين السكان في دول الاتحاد التي تواجه مشكلة انخفاض معدل المواليد، وزيادة معدل المسنين، وبالتالي يعوض المهاجرون من الشباب النقص في القوى العاملة. يشغل المهاجرون الوظائف الشاغرة المتاحة، وتلك التي يقل إقبال المواطنون عليها. ويحسنون القدرة الإنتاجية، ويحافظون على النمو الاقتصادي، ويدفعون عجلة التقدم الصناعي والتنمية الشاملة. يساهم المهاجرون في الخزينة العامة لدول الاتحاد بالإنتاج تارة وبدفع الضرائب تارة أخرى، وبالتالي يقللون من حجم الإنفاق الحكومي على الرعاية الصحية والاجتماعية ونسبة الإعالة، والتي ترتفع طرديا مع نسبة الشيخوخة في المجتمع. ويقل بالتالي الضغط على خدمات ومرافق الرعاية الاجتماعية والصحية. يساهم المهاجرون الأفارقة في توسيع دائرة المجالات الثقافية لدول الاتحاد بإدخال رموز ثقافات افريقية متعددة تطفو ملامحها في المظهر العام أو الملبس والفنون الموسيقية والرياضة وغيرها، فتسهم بخلق مجتمع متعدد الثقافات، منفتح، إلى حد ما، على الآخر. ومن زاوية أخرى قد يؤثر العدد الكبير من طالبي اللجوء ومن المهاجرين غير الشرعيين على زيادة صرف الدولة المستقبلية على الخدمات الصحية والاجتماعية (معسكرات اللجوء، والإسكان، والمعونات المالية الشهرية لغير العاملين) والتعليمية والأمنية وغيرها. ومن ناحية أخرى تؤثر تحويلاته المهاجرين، على قتلها أحيانا، على اقتصاد الدولة المستقبلية والتي تصب في مكاسب المهاجر نفسه والدول المرسله. ومهما يكن الأمر فإن الدولة المستقبلية هي دائما المستفيد الأول.

خاتمة:

يبدو مما أن سياسات الهجرة في دول الاتحاد الأوروبي في طريقها إلى أن تكون أكثر مرونة وواقعية تجاه الهجرة غير الشرعية لحاجتها لليد العاملة التي تفتقر إليها لضعف نسبة المواليد فيها وارتفاع نسبة كبار السن. وإن فكرة الكل رابح في الهجرة منطقية إلى حد ما من ناحية نظرية، نسبة لأن الأطراف الثلاثة مستفيدة منها. ومهما غالينا في مكاسب الأطراف الثلاثة فهي في نهاية المطاف لن تكون متكافئة، وقد تغلب مكاسب طرف عن الآخر لأسباب عدة أهمها رؤية طرف الهجرة الأول نفسه (المهاجر) لهدف الهجرة، فكلما كانت استيطانية بلا رجعة ضعفت حينئذ مكاسب الطرف الثاني (الدولة المرسله) والتي خسرت في البدء رأس مال بشري. وقد تزيد مكاسب المهاجر على مكاسب الطرف الثالث في فترة ما قبل الحصول على عمل. وإن كانت بهدف الرجوع بعد تحقيق هدف معين، مادي على سبيل المثال، فإن نجاح مشروعها بالنسبة للطرفين الثاني والثالث مشوب بالمحاذير والعقبات، كالمخاطرة بالنفس في سبيل الوصول إلى دولة المهجر، والضغط النفسية التي يتعرض لها المهاجر فيها جراء تعلم لغة جديدة، والاندماج في المجتمع، والحصول على عمل يناسب قدراته. وفي هذه الحالة تقل مكاسب الأطراف الثلاثة. وفي معظم الحالات تأتي مكاسب الدولة المستقبلية دائما في المقدمة رغما عما قد تعانيه من مشكلات اندماج المهاجر في المجتمع الجديد، وتكاليف الخدمات والمعسكرات والتدريب وغير ذلك. وبصورة عامة فإن الهجرة المصنفة نظريا غير شرعية، هي بطبيعة الحال، تقنن بشكل أو بآخر للحاجة الماسة لها في دول الاتحاد الأوروبي أو بمسمى آخر الدول المستقبلية.

المراجع العربية:

- (1) أحمد، عمر يحيى (2015)، الهجرة غير الشرعية في القانون الدولي، مدونة دراسات الهجرة.
- (2) أطباء بلا حدود (2021)، التقرير الدولي عن أنشطة أطباء بلا حدود.
- (3) برقوم، مريم (2022)، الشراكة الأورومتوسطية وأثرها على المبادرات التجارية بين دول شمال إفريقيا والاتحادات الأوروبية خلال الفترة 2003-2017، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، مجلد 8، العدد 2.
- (4) التقي، سالم إبراهيم (2012)، جرائم الاتجار بالبشر واستراتيجيات مكافحتها على الصعيدين الدولي والإقليمي، دار المتحدة للطباعة، الطبعة الأولى.
- (5) الحضري، يسين عبد الله الطيب (2021)، جغرافية السكان: مفاهيم واتجاهات، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض.
- (6) الأمم المتحدة (2020)، تقرير الهجرة في العالم، المنظمة الدولية للهجرة، جنيف، سويسرا.
- (7) حافظ، سحر مصطفى (2013)، الهجرة غير الشرعية: المفهوم، الحجم، والمواجهة التشريعية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، جمهورية مصر العربية.
- (8) الزاندي، خليفة صالح (2018)، الهجرة الإفريقية غير الشرعية إلى أوروبا من منظور القانون الدولي والفقه الإسلامي: دراسة حالة ليبيا 2013-2018.
- (9) المبارك، ياسر عوض الكريم (2008)، الهجرة غير المشروعة والجريمة، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- (10) ولزر، هارالد (2010)، حروب المناخ، ترجمة نبيل شبيب، دار السيد للنشر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الطبعة الأولى، الرياض.

المراجع الأجنبية:

- (1) Bakhit, A.H., Hayati, O. (1995), The Hadendowa Salif: Successes and failures of indigenous cultural institutions in managing the food system. GeoJournal 36, 87-92
- (2) Bureau International du Travail (2004), Une Approach Equitable Pour les Travailleurs Migrants dans une economie Mondiales, conference Internationale, Geneve
- (3) Ibrahim, Fouad, (1984), Ecological imbalance in the Republic of the Sudan - with reference to desertification in Darfur, Druckhaus Bayreuth Verlagsgesellschaft, Bayreuther geowissenschaftliche Arbeiten, Vol.6.
- (4) ILO. 2021. Global Wage Report 2019/20. Wages and Income Inequality, Geneva
- (5) Stephen, Smith (2019), the Scramble for Europe: Young Africa on its Way to the Old Continent, Cambridge, UK, Polity Press.
- (6) The Charter of Fundamental Rights of the European Union, European Parliament, 2000 Official Journal of the European Communities.

- (7) United Nation, International Labor Organization “ILO” (2020), The migrant pay gap: Understanding wage differences between migrants and nationals
- (8) United Nation, International Organization for Migration (2021), Annual Report, C/113/INF/1/Rev.1
- (9) William, Zartman (1995), Introduction: Posing the Problem of State Collapse in: Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority Boulder. Websites
- (1) <https://www.bbc.com/arabic/world>.
- (2) <https://www.dw.com/ar>.
- (3) <https://www.msf.org/ar>.
- (4) <https://www.alkhaleej.ae>.
- (5) <https://www.infomigrants.net/ar/post>
- (6) <https://arabic.rt.com/society>.
- (7) <https://news.un.org/ar/story/2021/12/1090692>
- (8) Info migrants (2020).<https://www.dw.com/arA>
- (9) <https://www.migrationdataportal.org>
- (10) <https://ar.m.wikipedia.org/wiki>

حاضر ومستقبل العلوم الاجتماعية الحديثة

جامعة الخرطوم

أ.د. إدريس سالم الحسن

مستخلص :

يناقش المقال واقع ومستقبل العلوم الاجتماعية و علاقته بالتحويلات والتغيرات الاجتماعية في راهن تاريخ البشرية عامة وتاريخ الأمة العربية والإسلامية خاصة. و يهدف المقال لعرض بعض القضايا الهامة والمؤشرات التي يمكن أن تسهم في استجلاء زواياها الغامضة، وتقديم رؤوس أقلام لمسارات بحثية تساعد في طرح مقترحات للحلول الممكنة. وهذا ما هدف إليه هذا المقال منطلقاً من مقولات أساسية . اولها ان العلوم الاجتماعية المعاصرة غربية المنشأ. و ثانيها ان ازمات العلوم الاجتماعية المعاصرة هي مشكلات هيكلية جذرية وليست مشكلات عارضة، وعليه فإن الحل يكمن في أن يكون جذرياً وليس مجرد إصلاح أو تعديلات جزئية. وثانيها، أن أزمة العلوم الاجتماعية المعاصرة هي جزء لا يتجزأ من الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يمر بها العالم الآن. وإن العلاقة بين هذا العالم المأزوم والعلوم الاجتماعية علاقة جدلية معقدة مدارها إطار معرفي/تاريخي واحد منبعث من رؤية كونية واحدة هي المشروع الغربي للحدثة. و لتحقيق ذلك يتبع المقال منهجاً تاريخياً معرفياً، فلسفياً خاص بالإنسان و الطبيعة و ما فوق الطبيعي . و يبين المقال أوجه قصور و تناقضات مشروع العلوم الاجتماعية الغربي و عدم صلاحيته للمجتمع الإنساني عامة، و خاصة العربي / الاسلامي. ويقترح المقال إيجاد مشروعات أكثر صلاحية لمستقبل الإنسان وأهمية وجود مشروع انساني/عربي/إسلامي بديلاً للمشروع الغربي الحدائي، تعيد للإنسان و للعرب والمسلمين وجودهم و ارثهم الحضاري العريق بالنظر للعلاقة بين البعد الإنساني والبعد الطبيعي والبعد الديني الإلهي بصورة متوازنة تحفظ للمشروع جانبه الإنساني و المادي والروحي من خلال مشروع رؤية كونية جديدة تتجاوز الواقع الراهن المأزوم ، ومن ثم ضرورة أن يستدعي هذا إيجاد مرتكزات فلسفية جديدة لتأسيس علوم جديدة (أو علم موحد لدراسة الإنسان والمجتمع) بنظريات ومفاهيم ومفردات جذرية باستخدام منهجية وطرق بحثية جديدة، وفي هذا يتم مناقشة كيف يمكن لمثل هذا المشروع وهذه العلوم الجديدة أن تتسع لتشمل البشرية جمعاء وتسهم فيها وتسهم معها الحضارات الأخرى (كما حدث من قبل في الحضارة العربية/الإسلامية) ولا يكون منعزلاً أو استقصائياً. و يختم المقال بمثالين يلقيان الضوء على مثل هذه القضايا ، وهما المفكران الإسلاميان البيروني وابن خلدون.

In the name of God, the most gracious, the most merciful

The present and future of the social sciences

Prof. Idris Salem Al Hasan

This article deals with the reality and future of the social sciences by discussing the social transformations and changes in knowledge in the general history of mankind and the Arab and Islamic

nation in particular. It aims to shed light on some particulars and indicators that can help clarify ambiguous issues so as to find basic solutions for the current problems of contemporary social sciences. The main points of the article's argument are the following. First, contemporary social sciences are of Western origin. The second is that the crises of contemporary social sciences are structural and radical. Therefore, any serious attempted solution must be radical and not just a partial reform or modification only. Second, the crisis of contemporary social sciences is embedded in the economic, political, and social changes that the whole world is experiencing. The relationship between this troubled world and the social sciences is a complex dialectical one that could only be explained by the fact that the present social sciences are encompassed in one epistemological/historical framework emanating from a single global vision, which is the Western project of modernity. To achieve this, the article adopts a holistic historical, epistemological, and philosophical approach to humans, nature, and the supernatural. The article shows the shortcomings and contradictions of the Western social sciences cognitive project and its unsuitable scientific validity for human society in general and the Arab/Islamic world in particular. Therefore the article suggests finding more effective cognitive projects for the human future and the importance of having a human/Arab/Islamic project completely different from the Western one. The new project's difference is to be built on the Arabs and Muslims rich civilizational heritage which takes into account the relationships between and dimensions of the natural, the human, and the divine through a new world vision that transcends the current problems of the western vision. This requires new philosophical underpinnings to establish new sciences (or a unified science for humans and society) with radical theories, concepts, and vocabulary and using new research methodologies. The article discusses how this project and these new sciences can expand to include, contribute to, and share with other civilizations (as happened before in Arab/Islamic civilization) and not to be exclusive. or investigative. The article concludes with an example that sheds light on such matters; namely, that of the Islamic thinkers Al-Biruni and Ibn Khaldun.

مقدمة:

أبدأ أولاً فأقول إن الاشكاليات التي طرحت علي للإجابة عنها في هذه الورقة حول واقع ومستقبل العلوم الاجتماعية من جهة وحول علاقتها بالتحويلات والتغيرات الاجتماعية من جهة أخرى أسئلة مهمة وفي وقتها المناسب في هذه المرحلة المصيرية الهامة من تاريخ البشرية عامة وتاريخ الأمة العربية والإسلامية خاصة. غير أنه من الواضح كذلك أن مثل هذه الأسئلة الكبرى لا يمكن أن يجيب عنها باحث واحد أو يمكن معالجتها في ورقة بحثية واحدة أو حتى كتاب كامل. إذن إن قصارى ما يسعى إليه الباحث هنا هو عرض لبعض القضايا الهامة والمؤشرات المتعلقة بالموضوع يمكن أن تسهم في استجلاء الزوايا الغامضة في المسألة وتقديم رؤوس أقلام لمسارات بحثية تساعد في طرح مقترحات للحلول الممكنة.

ثانياً، التشعبات والتعقيدات التي يمكن أن تنبثق أثناء معالجة الأسئلة الكبرى أعلاه لابد أن تقود الباحث بدءاً إلى النظر بالضرورة في القواعد والأسس المعرفية، وبالتالي الفلسفية، التي تقوم عليها الموضوعات قيد البحث. فلكي نعرف مثلاً ما هي وضعية العلوم الاجتماعية المعاصرة لا مناص لنا من تحديد معنى «علم» و «اجتماعي» و «معاصر»... وهكذا. وهذه كلها مسائل معرفية ذات بعد تاريخي لمعرفة كيفية النشأة والتطور حتى ندرك لماذا هي على هذا الحال الآن. ومن جهة أخرى فإن أصل العلوم الاجتماعية عنايتها بدراسة واستقصاء ظواهر في المجتمع البشري والفعل الإنساني يجعل منها قضية معرفية: كيف يمكن أن نعرف هذه الأشياء وبأي الوسائل؟ ولكل ذلك وجد الباحث أن خير وسيلة منهجية ويمكن يمكن اتباعها في مثل هذه الحالة هي علم اجتماع المعرفة والذي يبحث في كنه المعرفة وعلاقتها بالواقع الاجتماعي، وهذا ما حاولت أن تفعله هذه الورقة.

ثالثاً، تعتمد الورقة على بعض المنطلقات الأساسية والتي يمكن إجمالها في الآتي:

أن العلوم الاجتماعية المعاصرة هي غربية المنشأ.

إن الأزمان التي تمر بها العلوم الاجتماعية المعاصرة هي لمشكلات هيكلية جذرية وليست مشكلات عارضة، وعليه فإن الحل ينبغي أن يكون جذرياً وليس مجرد إصلاح أو تعديلات جزئية.

إن أزمة العلوم الاجتماعية المعاصرة هي جزء لا يتجزأ من الأزمان الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبنية التي يمر بها العالم الآن. وإن العلاقة بنية هذا العالم المأزوم والعلوم الاجتماعية علاقة جدلية معقدة كل طرف فيها يؤثر في الآخر ويتأثر به في نفس الوقت، ولكن مدار هذه العلاقة هو إطار معرفي/تاريخي واحد منبعث من رؤية كونية موحدة وهو المشروع الغربي للحداثة.

إن المشروع الغربي للحداثة والذي سنشرحه لاحقاً - يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية معرفة وواقعاً اجتماعياً من منطلق فهم فلسفي خاص للإنسان والطبيعة (مع استبعاد البعد الديني/الأخلاقي) في ظروف تاريخية خاصة بأوروبا، غير أن هذا المشروع، ولظروف تاريخية خاصة أيضاً ومتعلقة بطبيعة المشروع نفسه قد أصبح عالمياً وفرض رؤيته كمشروع أول وأخير للبشرية جمعاء عبر ميكانزمات القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية والهيمنة الإعلامية.

قادت الطبيعة الهدامة المشروع للإنسان والطبيعة وميله للهيمنة واستبعاد الآخرين غير الغربيين من المشاركة، والتناقضات الداخلية للمشروع إلى رفض له من قبل قوى داخلية ولكنه ليس مجرد رفض بل مقاومة وسعي حثيث لإنقاذ البشرية بإيجاد مشروعات أكثر صلاحية لمستقبل الإنسان من قبل الآخرين وأهمية وجود مشروع عربي/إسلامي ضمن المشروعات التي يمكن أن تطرح كبداية للمشروع الغربي الحديث، وأنه يوجد بصورة مبدئية مقومات التفكير في مثل هذا المشروع البديل يعيد للعرب والمسلمين كرامة الهوية ويجعل لهم دوراً فاعلاً وإسهاماً مقدراً في الحراك البشري القادم معتمدين في ذلك على إرث حضاري وديني ضخم ينظر للعلاقة بين البعد الإنساني والبعد الطبيعي والبعد الديني الإلهي بصورة متوازنة تحفظ للمشروع الجانب الإنساني المادي والروحي في ظل وازع أخلاقي.

إنه لا يمكن النظر لواقع علوم اجتماعية قادرة على فهم الواقع وصالحة للمستقبل إلا من خلال مشروع رؤية كونية جديدة تتجاوز الواقع الراهن المأزوم ومن ثم يستدعي هذا إيجاد مرتكزات فلسفية جديدة لتأسيس علوم جديدة (أو علم موحد لدراسة الإنسان والمجتمع) بنظريات ومفاهيم ومفردات جذرية مع استخدام منهجية وطرق بحثية جديدة كذلك (أو على الأقل الإبقاء على ما يصلح من العلوم السابقة).

تفترض النقاط السابقة إحداث تغيرات جذرية في شكل وطبيعة المؤسسات التي تستوعب هذه العلوم وتركيبتها وأهدافها وآلياتها وطرق تدريسها وشهاداتها ووسائل نشرها وجمعياتها العلمية ومجالاتها. إذ أن العلوم تقتضي وجود المؤسسة العلمية بناءً وتنظيمًا وكوادر بشرية من أساتذة وطلاب وموظفين، ووجود هيئات وجمعيات علمية ووسائل لنشر المنتج العلمي لهذه المؤسسات والهيئات ويقتضي هذا بالضرورة تصحيح رؤية العلاقة بين العلوم (المعرفة) والمجتمع الذي يحتضنها وقامت هي لفائدته وخدمته. إن المنطلقات السابقة تحدد نقاط النقاش التي سترد في هذه الورقة وتشكل عمودها الفقري. ومن ثم فإن الورقة تنقسم إلى الأقسام التالية:

أولاً، مدخل يناقش الجوانب النظرية للعلم والمعرفة ومتعلقاتها من أبعاد خاصة بالإنسان والطبيعة والإله والدين والأخلاق. ثم تعرج الورقة بعد ذلك في الجزء الثاني لاستعراض أهم ملامح الأزمة الراهنة للعلوم الاجتماعية الحديثة مبنية طبيعتها وأنها غريبة المنشأ في الأساس ضمن مشروع غربي للحدث لم يكن للآخرين من أهل الحضارات الأخرى أي إسهام فيه. وفي هذا الجزء يتعرض النقاش للأبعاد الفلسفية والتاريخية إلى قيام هذا المشروع وما من تحولات ضخمة في المجالات الاقتصادية وما من تحولات ضخمة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ويختتم الجزء بإبراز أهم ملامح المشروع الغربي الحدائي وآلياته وكيف أصبح عالمياً ومهيماً في كل أنحاء العالم ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي وبسببه تعاني البشرية متاعني من أزمان وحروب وكوارث بيئية. ويناقش الجزء قيام العلوم الاجتماعية من رحم هذا المشروع الغربي للحدث ودورها فيه وتطورها وتشعبها ومن ثم تورطها في الأزمة المعرفية الراهنة وعلاقة ذلك بأزمة المشروع الحدائي الغربي في كليته. ويخلص النقاش في هذا الجزء أنه لا مخرج للأزمة المعرفية إلا باستحداث لعلوم اجتماعية (أو علم موحد للإنسان والمجتمع) جديدة تبني على رؤية توحيدية بكون الإنسان فيها صانعاً لمعرفة هدفها إصلاح الإنسان والبيئة ومستهدية في ذلك بقيم وأخلاق منبعاها الدين ومرتكزة على إرث حضاري عريق مختلفة رؤيته الكونية من تلك التي تبناها المشروع الحدائي الغربي.

أما الجزء الثالث من الورقة فيتعلق بإمكانية تأسيس مشروع عربي إسلامي ذي مقومات تؤهله ل طرح لقبه كبديل ينشأ من داخله علم (أو علوم اجتماعية) يستطيع دراسة وتحليل الواقع العالمي والمحلي الجديدين اللذين سيحلان محل الأوضاع العالمية المتوقع لها أن تبدل جذرياً في غضون حوالي ثلاثين إلى خمسين عام من الآن وفي هذا يتم مناقشة كيف يمكن لمثل هذا المشروع وهذه العلوم الجديدة أن تتسع لتشمل البشرية جمعاء وتسهم فيها وتسهم معها الحضارات الأخرى (كما حدث من قبل في الحضارة العربية/الإسلامية) ولا يكون منعزلاً أو استقصائياً. واستعرض هذا الجزء لمثاليين يلقيان الضوء على مثل هذه القضايا وهما المفكران الإسلاميان البيروني وابن خلدون. وتنتهي الورقة بخاتمة قصيرة تستعيد أهم نقاط النقاش المتمثلة في أهمية التفكير في ما سيؤدي إليه إنهيار المشروع المعرفي/الحياتي الغربي الحداثي من مآلات وما سيحتتم من ذلك من واقع جديد يتطلب رؤية كونية جديدة تنبثق منها نظم ومؤسسات معرفية جديدة منها استعادة كرامة الإنسان وأن يكون هو القائم بأمر نفسه في شئونه الدنيوية من مجتمع وطبيعة ولكن على هدى ديني أخلاقي لصيانة نفسه وبيئته.

إن أهم ما يميّز الإنسان عن غيره من الكائنات الأشياء الأخرى في نظرنا هو خاصية الوعي، وعيه بذاته ووجوده ضمن عوالم ثلاث: (1) عالمه الإنساني كفرد وعالمه الاجتماعي. (2) عالم الطبيعة/المادة/البيئة؛ (3) عالم الروحانيات/الدين/الأخلاق. والوعي أشمل من العقل، وهو في جوانبه الحسية وغير الحسية (الشعور والوجدان) يساوي فيه البشر عمومًا دون فرق. أما العقل فهو خاصية التمييز بين الأشياء ومعرفة خواصها والعلاقات بينها وبذلك يكون العقل أداة للمعرفة في المجالات الثلاث. والإنسان بحكم قصوره البشري وعجز عقله عن إدراك الخواص الكلية للأشياء تكون معرفته جزئية وقاصرة. وبما أن معرفة الإنسان غير غريزية فهي بالضرورة مكتسبة لابد من تعلمها بوسيلة اجتماعية. وهي بهذا تزيد وتنقص وتصير عميقة أو سطحية وقد تتراجع وتندثر تبعاً لخبرة الإنسان وتجاربته ومقدراته العقلية والتعليمية والفرص المتاحة له ومدى تَجَاعُة وسائل التعليم والإطار التاريخي المجتمعي لمستوى المعرفة في مجتمعه تكون الحالة المعرفية. إذًا فيمكن للمعرفة أن تختلف من شخص لآخر ومن مجتمع لآخر، بل في المجتمع نفسه من زمن لآخر. ولأن المعرفة البشرية غير مباشرة وغير غريزية فلا يستطيع الإنسان أن يعرف إلا جزئيًا ورمزيًا ويحاول أن يفهم من خلال بحثه عن معنى. والبحث عن المعنى بدوره هو الذي يدفع الإنسان لمزيد من المعرفة. وتدور المعرفة الإنسانية حول:-

الإنسان كفرد وشخصية متميزة ذات مستويات وأبعاد مختلفة ومتباينة ومتعددة التركيب وشديدة التعقيد.

علاقات الإنسان الاجتماعية كفرد ضمن المجموعة التي يعيش فيها ومعها ابتداءً من الأسرة - في تعدد أشكالها ومستوياتها في كل مجتمع عبر الزمان والمكان.

علاقة الإنسان الاجتماعية - كعضو في جماعة - مقابل الجماعات والمجتمعات الأخرى التي تختلف عنه تنظيمًا اجتماعيًا وثقافيًا.

علاقة الإنسان مع الطبيعة من حوله في كل ما يتعلق بها من كائنات وصور متعددة ومعاني شتى ومنافع جمّة.

علاقة الإنسان مع المجهول وقوى سامية أخرى لا يستطيع - نتيجة لطبيعة الوعي نفسه - أن يدركها إلى نهاية الدنيا: إما في شكل قوى خارجية تتحكم في مصيره - طبيعية كانت أو غير طبيعية، أو مستقبل وغيب لا يمكنه التنبؤ أو السيطرة عليه، أو في معنى الحياة والموت وغيرها من مسائل العصور التي لا يتحكم فيها.

من الناحية المعرفية والعملية تدور مباحث الإنسان حول نفسه وعلاقاته مع غيره في إطار المعارف الإنسانية والاجتماعية ومحصّلتها تظهر في تنظيماته الاجتماعية في أوجهها بالطبيعة في أوجهها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. أما علاقته بالطبيعة فهي مدار مباحثه العلمية البحتة وتشكلها بواسطة الثقافة في مجال محاولاته الاستكشافية لها ولخواصها وطرق استخدامها للاستفادة منها مادياً (كمنتجات) وما يمكن أن يؤثر في مجال آخر غير مادي (كالثقافة مثلاً). أما علاقة الإنسان بالإنسان بالإنسان بالمجهول فهي محور تساؤلاته الفلسفية والدينية والأخلاقية وما ينجم عنها من أنماط وأساليب وسلوك اجتماعي وما يصحبها من تنظيمات وشعائر وطقوس ومواقف اجتماعية. ويمكن أن نستنتج من أن المعرفة مكتسبة أنها تراكمية أيضاً وهنا تبرز أهمية التراكم المعرفي في كل صورة. وتقتضي فكرة الرمزية في المعنى أن الشيء الواحد يمكن أن يكون له أكثر من معنى. فمثلاً الحجر يمكن أن يكون له عشرات المعاني، وتبعاً لذلك عشرات الطرق لفهمه واستخدامه اجتماعياً ودينياً ... الخ. ووعي الإنسان وانفصاله عن الطبيعة يعني أن الإنسان صار في مقدوره النظر من بعد للطبيعة وفهمها ومن ثم تشكيلها وتحويلها إلى أشياء لم تكن موجودة أصلاً في الطبيعة وعملية التغيير والتشكيل التي يجريها الإنسان على الطبيعة - وكذلك في بيئته الاجتماعية - تعود مرة أخرى مرتدة لتغير من علاقاته الاجتماعية وتعامله مع الطبيعة مرة أخرى. فالزراعة مثلاً ما عادت مجرد استنبات لمحصولات زراعية وإنما تبع ذلك تحولات في التشكيلات الاجتماعية التي تقوم بها الزراعة بأطوارها ومتطلباتها من حراثة وري وحصاد وتقسيم وتخزين وإعادة إنتاج. ثم أن الزراعة قد قادت إلى تحولات في الأفكار والمعتقدات والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية كذلك.

إن ما ذكرناه أعلاه يعني أن هناك علاقة معقدة بين الوعي والمعرفة من جهة وبين المستوى المعرفي (المستوى الفكري) والواقع الاجتماعي من جهة أخرى. فالمستوى المعرفي يعمل على الواقع في كل أشكاله ويعيد صياغته، بينما الواقع الاجتماعي يحدد من أطر ومحتوى المستوى المعرفي من جهة أخرى. ومع هذا الارتباط الوثيق والتفاعل الجدلي بين المستويين إلا أن لكل منهما فضاءه الخاص وديناميكات تفاعله الخاصة بين المستويين بما يجعل كل منهما حركته الذاتية. وانفصال الحركتين مع تأثيرهما المتبادل يقود إلى تغييرات نطلق عليها مصطلح التغيير الاجتماعي. وحتى نفهم طبيعة أي تغير اجتماعي لابد من وضعه في إطاره الزمني (التاريخي) والمكاني (الجغرافي) الصحيح. فالواقع المعاش - أي الحاضر - يتشكل من الماضي بكل ما فيه من تجارب وخبرات معرفية وعملية من إنتاج وتنظيم اجتماعي وعقائد وثقافة. غير أن الماضي أيضاً له وجوده المستقل الذي تحدده قضايا المجتمع الإنتاجية والتنظيمية والثقافية والعقائدية الآتية. وتمازجاً كما سيتشكل المستقبل من تفاعلات الحاضر فإن الحاضر نفسه يمكن أن يدخل في تشكيلة رؤيتنا للمستقبل. بمعنى آخر كما أن الحاضر نتاج للماضي فهو كذلك نتاج للمستقبل. أي أن الماضي والحاضر والمستقبل - الصورة الثلاثية للزمان - هو تاريخ مترابط الحلقات وذو تأثيرات متبادلة.

والإطار المكاني -الجغرافيا والبيئة الطبيعية- يحدد الحركة الاجتماعية الواقعية والمستوى المعرفي بما يفرضه من شروط موضوعية لإمكانيات الفعل الإنساني بما هو موجود من مصادر طبيعية وحدود مكانية. ونلخص من كل ما ذكرنا سابقاً إلى أن الوعي الإنسان وتحت ظروف تاريخية وطبيعية معنية ومن خلال شروط إجتماعية وواقع معاش وبواسطة عمليات وميكانزمات معينة يتقوّل هذا الوعي ويشكل في صور معرفي على المستوى الفكري والذي بدوره يتفاعل مع الواقع الاجتماعي. ولكن ما نريد أن نضيفه هنا هو أنه في لحظات تاريخية حاسمة يتحول الفكر إلى رؤية كونية شاملة تعيد النظر في كل أشكال الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية وما ينتج عنه من واقع جديد. يختلف كلياً عما سبقه من واقع غير تلك التي كان يسير فيها الواقع السابق - والرؤية الكونية من خلال تعريفها للإنسان ودوره وعلاقته بالطبيعة والبعد الروحاني /الديني /الأخلاقي تضع أهدافاً لمعنى الحياة وما ينبغي أن يسير عليه المجتمع ويفعله والأهداف والوسائل والمناهج المعرفية لتحقيقها. والمعرفة والفعل الاجتماعي مترابطان في الرؤية الكونية (وغير متطابقين كما ذكرنا) وبهما يتم التركيز على طبيعة العلاقات والتفاعل بين العوالم الثلاث: الإنسان والطبيعة/الروحاني/الأخلاقي. فإذا ما كانت الرؤية والفعل بين هذه العوالم متوازنة أدى ذلك إلى رؤية متكاملة للوجود والتعامل معه بمسؤولية. ولكن في بعض الأحيان قد تقتصر الرؤية الكونية أو الفعل الاجتماعي على جوانب دون أخرى وقد يؤدي مثل هذا الاختلال إلى عواقب وخيمة ونتائج مدمرة إما للإنسان أو الطبيعة أو كليهما. وهذا بالضبط ما حدث في الرؤية الكونية الغربية التي ركزت على البعد الطبيعي (وأعطته الأهمية) والإنساني واستبعدت العالم الروحاني/الديني/الأخلاقي فقادته البشرية بشراً وطبيعة إلى موارد الهلاك كما سنبين لاحقاً. وقبل أن نختم هذا الجزء نرى أنه من المهم القول بأن الرؤية الكونية لتصبح واقعاً فعلياً لابد لها من نظم معرفية ذوات مناهج وآليات للتعامل المعرفي مع الإنسان والطبيعة والبعد الروحاني/الديني/الأخلاقي، واستقصاء خصائص كل عالم ونقاط الترابط، والالتقاء فيما بين هذه العوالم. والمعرفة في عمومياتها غير كافية للقيام بمثل هذا الغرض. فالأمر يحتاج إلى مستوى رفيع من المعرفة يقوم على نحو من التفكير الخاص بصورة تجريدية تتطلب تكوينات وتركيبات نظرية لابد لمن يخوض فيها من استعداد عقلي وقدرة ذهنية وسعة إطلاع وتدريب على أيدي معلمين مقتدرين وفي مؤسسات علمية متخصصة للتداول في المعارف عالية المستوى وكل هذه المقومات السابقة مهمة ولازمة لتكوين معرفة نظرية تجريدية منظمة ذات منهجيات وطرق بحث مقدرة في مثل هذه الحلقة فقط يمكن أن نصف هذا النوع من المعرفة بـ «العلم». وفي يزدهر العلم لابد له من رؤية كونية متوازنة وبيئة اجتماعية وفكرية مواتية وموارد مبدولة ورعاية مبسطة من قبل الدولة والحاكمين والناقلين والمقتدرين وحرية لا تحد من الانطلاق المعرفي أو الابتعاد والابتكار. وتبعاً لهذه الأسس والقواعد تختلف طبيعة العلم ومحتواه ومناهجه وأهدافه من مجتمع لآخر ومن حضارة إلى أخرى. فمفهوم العلم في الحضارة الإسلامية - مثلاً، وكما سنبين تختلف عن المفهوم الغربي. وهنا نبه إلى الخطأ المفاهيمي عند اعتبار مفهوم علم Science في المشروع المعرفي الغربي الحديث بمفهوم علم في الحضارة الإسلامية. ففي المفهوم الغربي يرتبط العلم بالرؤية الكونية المستبعدة للدين والأخلاق والمركزة على تمجيد العقل والعقلانية وقصر محتوى العلم على تعظيم الطبيعة في صورتها المادية لإرضاء مطالب الإنسان الدنيوية/المادية ووثيقة الصلة بغرائزه الحسية في الغالب الأعم. أما

العلم في الحضارة الإسلامية فقد ارتبط مفهوم العلم بالبعد الروحاني/الديني/الأخلاقي الذي يضع له حدوداً قصوى لما يجب أن يكون عليه هدف ومحتوى العلم الصالح المفيد للإنسان وللطبيعة والتي سخرها الله للإنسان للإستفادة منها وليس امتلاكها والسيطرة عليها - فهي أمانة. والعلم ليس منسوجاً بشرياً محضاً وإنما له بعد إلهي يأتي من عند الله لمن يتصفون بأخلاق وشمائل ذاتية إيمانية ومنها التقوى. والعلم في كل الأحوال يعني المعرفة الراسخة والموثوق بها وبطرقها وبحقائق التي قادت إليها في إطار الزمان والمكان والمجتمع الذي توجد فيه وليس على وجه الإطلاق.

لا شك أن هناك العديد من الزوايا التي يمكن أن ننظر بها لتاريخ البشرية وتطورها عبر القرون. فيمكننا مثلاً أن ندرس البدايات الأولى للإنسان ونشأة الحضارات والعوامل التي أدت إلى تطورها؛ أو يمكن أن ننظر إليه كحقب تاريخية ذات سمات عامة كمرحلة الصيد والالتقاط ومن ثم الوعي والزراعة والصناعة بعدهما وأخيراً عصر المعلوماتية الذي نعيشه، كما يمكن النظر إلى تاريخ البشرية من منظور التغيرات الثقافية الكبرى كالدين والفلسفة والفكر الإنساني عموماً؛ أو قد تغير من الصراعات والحروب منطلقاً لتحليل التحولات التاريخية الكبرى. هذا كله على سبيل المثال. ولكني، ولغرض هذه الورقة، أفضل أن آخذ منحني آخر وهو دراسة العلاقة التفاعلية بين مستوى الفكر (المعرفة) والواقع المعاش وما ينتج من ذلك من تحولات تؤثر في كليهما وخاصة في تكوين وطبيعة ومحتوى وأهداف العلم بحسبانه المعبر والقائد كمسيرة التحولات والمتأثر بها في نفس ذات الوقت. ومع أن هذه العملية تصدق على كل مجتمع وفي مختلف المراحل التاريخية إلا أنني لن أختار إلا المراحل التاريخية الحاسمة ذات الوجه الحضاري الذي صبغ معظم مناطق وشعوب العالم من خلال رؤية كونية تشمل موقفاً محدداً من طبيعة العلاقة والتداخل العلاقي بين عالم الإنسان وعالم الطبيعة/المادية والعالم الروحاني/الديني/الأخلاقي مما كان له أكبر الأثر في حياة الناس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية وقاد إلى نشوء علاقات جديدة ونظم ومؤسّسات ونمط معيشي ينعكس فس شكل ونمط الفعل الاجتماعي في واقع الحياة اليومية. ولا ينطبق هذا المعيار الدقيق إلا على حالتين فقط في تاريخ البشرية وهما الحضارة العربية الإسلامية (بين القرن السابع والقرن الخامس عشر الميلادي) والحضارة الغربية في صورة مشروعهما الحدائي (من القرن السابع عشر الميلادي وإلى الآن) ومع علمنا بأن العالم يشهد ارهاصات بتغيير حضاري بنفس حجم ما أحدثته الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية (وقد ظهرت ملامح انهيارها) إلا أننا لانستطيع أن نتنبأ بما سيكون عليه وضع الشكل الحضاري القادم وما سيتولد عنه من تحولات لأن عوامل التحول لم تبلور بعد في رؤية كونية واضحة. ولكن من المؤكد أنه سيكون عالماً غير الذي نعرفه ونعيشه منذ القرن الثامن عشر الميلادي -عالم الحداثة- وهناك ثلاثة مواقف حيال الواقع الجديد الذي هو لا محالة آت: المتفائلون الذين يرون أن التحولات الهيكلية الحالية ستؤدي إلى المزيد من الحرية للأفراد والجماعات والمؤسّسات على حساب القيود المكبلة وخاصة الدولة القطرية وغيرها من التنظيمات التي تحد من الحركة خارج الحدود والأطر المرسومة لها. ويعتقد هؤلاء المتفائلون بأن الأفراد والجماعات والمؤسّسات في ظل العولمة سيكون أكثر إبداعاً لأنهم سيتخطون الحدود السياسية والاجتماعية وسيلتقون في مساحات أرحب بلا قيود غير أن هذه المجموعة ترى أن كل هذا سيكون نتيجة وامتداداً للنظام الرأسمالي والذي سيظل حجر الزاوية النظام الجديد والذي لن يكون فيه سيطرة لقوة أو دولة واحدة مهيمنة وإنما ستتوزع القوة والنفوذ بين قوى وجهات متعددة.

المجموعة التي ترى بأن النظام الرأسمالي كله سيصير إلى هلاك محتوم -وبما ذلك أساسه الرأسمالي- سيؤدي إلى بزوغ نظام جديد تكون للحضارات السابقة دور كبير في تكوينه بما لها من إرث حضاري سيمكنها من وضع رؤى واضحة للسير في طريق جديد.

مجموعة تتفق مع المجموعة الثانية في أن الأزمات والمشكلات المتفاقمة للنظام الرأسمالي ستعجل بزواله بالتأكيد ولكنهم غير متأكدين من البديل الذي سيحل محله.

وعلى كل فإن الجميع متفقون على أن عالم الحداثة الذي قام على الرؤية الغربية منذ حوالي أربعة قرون وقادته أوروبا إلى نهايات القرن التاسع عشر، ثم تولت أمريكا زعامته منذ ذلك التاريخ وإلى الآن، فقد شارف نهايته، وبدأ عهد ما سماه فريد زكريا «صعود الباقين» «rise of the rest» (زكريا: 2008: 2) وخاصة في آسيا.

فما هي طبيعة هذا المشروع الغربي الحداثي؟ وما هي مشكلاته وأهم ملامح أزماته الهيكلية؟ وما علاقة ذلك بأزمة العلوم الاجتماعية الراهنة؟

ذكرنا أن الإنسان في سعيه لمعرفة العالم المادي من حوله وتسخيريه كان لابد له من معرفة عناصر البيئة الطبيعية ومكوناتها والسنن التي تحكمها، ولكنه سعى أيضاً إلى تحديد علاقته بالبيئة الاجتماعية من جهة وعلاقته بالقوى الخارقة من جهة أخرى. وقد كانت المعرفة الأولى، ورغم أوجه قصورها متكاملة حيث لم تكن هناك حواجز بين الفلسفة والدين والعلم الطبيعي محاولات التعامل مع البيئة الاجتماعية والإنسان عموماً. وتداخلت هذه العناصر مع بعضها البعض دوماً أنفصام في وحدة الكون المختلفة - اجتماعية وطبيعية وفوق طبيعية. فكانت نظرية الأخلاط الأربعة -مثلاً- وهي الماء والهواء والنار والتراب تفسر تركيبية الكون وكذلك أيضاً تفسر طبيعة الإنسان ويمكن استخدامها لغير الإنسان كذلك (الجن والأرواح الأخرى). واستمرت هذه الحالة من زمن الإغريق وإلى الحضارة الإسلامية حيث كان الأدب والفن والفلسفة والدين والعلوم كلها أجزاء من معرفة متكاملة. وعندما جاء ما يعرف بعهد النهضة في أوروبا وما تلاه من قرون حدثت تغييرات جذرية في كل أوجه حياته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية أدت إلى انقلاب كامل في الرؤية الكونية لذلك المجتمع، ومن ثم في طريقة تنظيمه لنفسه وتعامله مع الطبيعة وما فوق الطبيعي بطريق تختلف عما كان عليه الحال في العهود السابقة فما كان يعرف بالعصور الوسطى أو العصور المظلمة أو عصر الإقطاع. وظروف الانتقال إلى عالم جديد في أوروبا اتسمت بسمات معقدة قل أن تتكامل في فترة زمنية قصيرة نسبياً. فالتحول من الزراعة للتجارة، ومن ثم الصناعة، جلب معه تغييراً كاملاً في نمط المعاش ونظام الأسرة ونظام الحكم والنظام المعرفي الديني. فبدلاً من الإقطاعيين واقتنان الأرض ظهر أصحاب رؤوس الأموال والعمال، وبدلاً من المزرعة التي كانت تأوى إليه كل الأسرة جاء المصنع الذي يغيب فيه العامل لساعات طويلة عن أسرته، وبدلاً من نظام النبلاء/الملك تبلورت النظم الجمهورية أو الملكية المقدلة بعد ثورات عنيفة. وأصبح النظام الجديد يقوم على الإنتاج الصناعي والذي تختلف طبيعته عن الإنتاج الزراعي في أنه يكون للسوق بغرض زيادة الأرباح، ويحتاج إلى مواد خام قد لا تتوفر في أوروبا، كما يجب أن تكون هناك معايير أدق للجودة والتنظيم وإدارة القوى البشرية والمؤسسية. وقد تزامن هذا مع ازدياد التحضر ومعدلات الهجرة من الريف للمدينة. كل هذه العوامل تفاعلت مع بعضها في فترة ثم التحول

فيها مع ثورة علمية اعتمدت في شقها الفكري على العقلانية كمنطلق والوضعية عنهجية والتكنولوجيا كأداة للتعامل مع الطبيعة والإنسان. وقد قاد كل ذلك إلى قطيعة كاملة مع ما سبقها من عهود في أوروبا من الناحيتين الفكرية والواقع الاجتماعي فجاء واقع جديد بالمزيد من الثروة والنمو المتسارع كما جاء معه بالعديد من المشكلات الفكرية والاجتماعية. فمن الناحية الفكرية أخضع شيء لسلطان العقل واستبعاد الميتافيزيقي والديني والاعتماد على العلم في الفهم والتفسير لإدراك القوانين التي تحكم عالم الطبيعة وعالم الإنسان لتسخيرها لتحقيق المشروع الحضاري الجيد. أما في نطاق الواقع الاجتماعي فقد تبلور كل ذلك في ثلاث دوائر:

الإقتصاد - كأهم محرك للمشروع والذي يبنى على الرأسمالية الصناعية وآلية السوق.
المجتمع - والذي تقوده المدينة الصناعية وتركيبته الاجتماعية من فئات وطبقات تحكمها إلى حد كبير علاقات السوق.

الدولة - القطرية والتي حلت محل الامبراطوريات والممالك القديمة بنظم ومؤسسات وتكوينات جديدة لتبادل الحكم بطريقة ديمقراطية لمراقبة وتنظيم وضبط العلاقات الإقتصادية والاجتماعية الجديدة لضمان أهداف المشروع الحدائي الجديد من تقدم ورفاهية.

هذا وقد كان نجاح العلم بعقلانيته وتطبيقاته التكنولوجية نجاحاً مذهباً قاد إلى تطور نظريات علمية قامت بدورها إلى مزيد من الاكتشافات والاستخدامات الصناعية والحربية ومن ثم إلى مزيد من التقدم، ولما أثبت العلم بمنهجيته الواضحة قدرة على معرفة الطبيعة والتحكم فيها بصورة معرفة شبه يقينية وبحيث استطاع المستوى الفكري أن يقود الحياة الاجتماعية، جاءت العلوم الاجتماعية على هدى ذلك النجاح والوضع المتميز الذي ناله العلم والعلماء الطبيعيون للنظر في الواقع الاجتماعي لدراسته وفهمه والوصول إلى القوانين التي تحكم حركته حتي يمكن حل مشكلاته ووضع السياسات الكفيلة بتنظيمه وإعادة ترتيب أموره. ولم يكن هناك من مناص تميز السير على هدى الطريقة العلمية لتحقيق ذلك. ومن المنطقي أن يكون أول تلك العلوم الاجتماعية ظهوراً هو علم الاقتصاد بدءاً من أوم سميث ومروراً بالإقتصاد الكلاسيكي وعلم الاقتصاد السياسي والإقتصاديون الجدد وإنهاء بكينز وما بعده. وجل النقاشات في علم الإقتصاد تدور حول مصادر الثروة وعوامل الإنتاج من بشر وموارد وعمليات الإنتاج والتوزيع والإستهلاك وعلاقة الإقتصاد بالسياسة وأثر سلوك الأفراد والجماعات في الأبعاد الإقتصادية وتأثيرات عمليات السوق في كل ذلك. وأغضب ذلك علم الاجتماع والذي حاول كونت مؤسسه في الغرب أن يجعله كمثال للعلوم الإجتماعية في استخدام العقلانية والمنهجية الوضعية والطريقة العلمية، إلا أن كونت ووجه بأن السلوك الإنساني ليس مادياً بحتاً ولا يمكن إجراء التجارب عليه أو استخدام التكنولوجيا للتعامل معه (على الأقل حتى القرن العشرين). وتبع كونت في ذلك ديركايم والذي حاول أن يجعل العلاقات الإجتماعية والتفاعل الاجتماعي أساساً لفهم المجتمع وأسس استقراره مع محاولة اتباع الطريقة العلمية بمنهجها الوضعي والمنطقي العقلاني وحيادية الباحث والتعامل مع المجتمع كـ «شيء» من مؤسسي النظرية الإجتماعية إلا أنها في الواقع أقرب إلى الإقتصاد لأول وعلم القانون والسياسة للآخر. وعلى كل، فإن الإهتمام الرئيسي لعلماء الاجتماع -فيما عدا ماركس- انصب في فهم العلاقات الإجتماعية في إطار النظام

الرأسمالي وديناميكية تفاعلاته وعوامل تغيره واستقراره منظوراً في ذلك إلى التداخل مع الإقتصاد والسياسة اللذين يتحكمان في ضبطه وتحديد شروط تقدمه وتطوره من خلال حركة السوق وزيادة الإنتاج والسيطرة على أدوات ووسائل استخدام القوة المادية والنفوذ السياسي في تحقيق الإستقرار والأمن بين الجماعات داخل الدولة أ والهيمنة على المناطق والشعوب والدول الأخرى. ولم تنشأ العلوم الأخرى وتتطور إلا في ظلال العلوم الرئيسة الثلاثة (الإقتصاد والإجتماع والعلوم السياسية). ومع أنه يبدو من التعسف القول بأن محور هذه العلوم هو الإقتصاد إلا أنه يمكن تقبل ذلك إذا وافقنا بأن كل تلك العلوم نشأت في حضان المشروع الحداثي الغربي والذي يقوم أساسه على الرأسمالية الصناعية وهدفها الرئيسي تحقيق التقدم والرفاهية عبر النمو والتنمية الإقتصادية، وأن المجتمع الرأسمالي يسعى بوعي، أو بدون وعي، للعمل بكلياته نحو ذلك الهدف - الرفاه الإقتصادي.

إن دافع ونجاح نظام الرأسمالي/الصناعي في إنجاز ملموس داخل أوروبا في المجالات العلمية/التكنولوجية والصناعية والتجارية في تنظيم الإقتصاد والمجتمع والدولة والتحكم في علاقاتها، ومن ثم في مساراتها، دعاها للبحث عن الموارد الخام لمصانعها والأسواق لمنتجاتها لضمان استمرارية مشروعها. غير أن روح المشروع الغربي بعقلانيته غير المنضبطة بأخلاق دينية ومعايير عامة لمعاني العدل في التعامل مع الآخرين وحضارة قائمة على الهيمنة والسيطرة واستغلال الإنسان والطبيعة على حد سواء - لم يتورع في استخدام القوة المفرطة التي وصلت إلى حد الإبادة الكاملة وذلك بتطوير أسلحة نارية فتاكة نتيجة لتحويل المعرفة العلمية إلى تكنولوجيا دمار لتطويع الآخرين ومواردهم الطبيعية لصالح المشروع. ولم يقنع الغربيون إلا بسلب هويات الآخرين وجعلهم يستنبطون الرؤية الغربية الحضارية عن طريق نظمه ومؤسساته التعليمية والعلمية والثقافية والمهنية ومسح عقول أبنائه النابهين حتى يكونوا من المتقلدين والخدامين للمشروع. ولأن المشروع الغربي استقصائي في طبيعته ولا يقبل أفكار ومشروعات الحضارات والشعوب غير الأوروبية فقد ابتدع طريقتين لرؤيتهم والتعامل معهم من خلال العلوم الإجتماعية التي هي أصلاً متمركزة حول الذات الأوروبية وقضاياها ومشكلاتها: الطريقة الأولى أن تضرع العلوم الإجتماعية في نظراتها الإستعلائية نظرة دونية للحضارات والفكر غير الغربي باظهارها تأخر تلك الحضارات وشعوبها عن بلوغ بشأن الحضارة الغربية والتي وصلت آخر وأقصى مراحل التطور الحضاري الإنساني وكل نظريات العلوم الإجتماعية وفي كل مجالاتها بلا استثناء تحمل في طيات نظرياتها أسساً للفوارق بين الأوروبيين وغيرهم ومقياس تقدمهم بمدى قربهم أو بعدهم عن المثال الأوروبي في فكره وعلمه ومؤسساته وفي السلوك والمقياس الحضاري عمومًا، لا بل حتى في التكوين الجسدي، وبذلك جعلهم بشرًا آخرين. أما الطريقة الثانية فهي ابتكار علوم جديدة خاصة بدراسة الآخرين والذين قسموهم إلى شعوب ذات حضارات ماضية (كالصين والهند ومركز الحضارة الإسلامية) وأخرى متأخرة ولم ترتق سلم الحضارة بعد (في أفريقيا وأمريكا وأمريكا الجنوبية وبعض مناطق آسيا وجزر المحيط الهادي). في الحلة الأولى أصبحت علوم الاستشراق هي الأداة الأولى لدراستهم؛ أما في الحالة الثانية فتكفل بذلك علم الأنثروبولوجيا والذي تجذرت أسسه النظرية والمنهجية على يد مالبينوسكي ما بعد الحرب العالمية الأولى. وفي كلتا الحالتين تم دراسة تلك الشعوب وكأنها خارج التاريخ وجامدة ولا يمكن النظر إليها إلا على أساس وظيفتها -ولذلك فإننا لا نجد

أيًا من علم الاستشراق أو الأنثروبولوجيا سادت في تلك الفترة النظرية الوظيفية؛ أما الاستشراق فقد اختلق صورًا جامدة خارج سياق التاريخ وركز على سلبياتها وعدم مقدرتها على تطوير ذاتها ولذلك اندثرت- أما العلوم الاجتماعية في نسختها الغربية فهي -كما ذكرنا- قد خصصت لدراسة وفهم وتحليل الواقع الاجتماعي الغربي وحل مشكلاته ومعالجة قضاياها الفكرية.

ومما يجدر ذكره أن العلوم الاجتماعية الغربية قد حكمت نشأتها وتطورها أمران: أنها قامت أساسًا كرد فعل للواقع الاجتماعي الجديد والذي حدث نتيجة لعوامل نشأة الرأسمالية الصناعية والثورة العلمية والثورات الاجتماعية وعمليات الهجرة وقيام المدن الصناعية والتمدن الأوروبي استعماريًا خارج أوروبا. أما على المستوى الفكري فقد شكّل العلوم الاجتماعية إلى حد كبير تأثيرها بالعلوم الطبيعية ومنهجيتها الوضعية ومحاولة مقاربتها لنجاحها في التعامل مع الطبيعة البيئية المادية من خلال العقلانية واستخدام الطريقة العلمية (الملاحظة والقياس والتكميم). وقد ثار جدل كثيف، وما زال، حول هل يمكن للعلوم الاجتماعية أن تصبح في دقة العلوم الطبيعية باستخدام نفس منهجيتها من قبلوا ذلك انطلقوا إمكانية دراسة الحيوان وسلوكه كغيره من الكائنات الحية في الطبيعة.

أما من روجوا ذلك فاعتمدوا على خصوصية السلوك الإنساني وامتلاكه للوعي والإرادة وسعيه للمشاركة من خلال منظومة المعاني. ولكن، وفي كل الأحوال، لا تزال العلوم الاجتماعية وثيقة الصلة بمحاولة تفسير السلوك الإنساني في علاقاته الاجتماعية تعاوّنًا وخصامًا داخل شبكة علاقات السوق مع تقاطعها مع شبكة علاقات الدولة وتبلورها عبر السنين في الواقع الاجتماعي المعقّد. وبانتهاء الاستعمار زالت دولة الاستشراق وتحولت الأنثروبولوجيا إلى حد كبير مندمجة مع علم الاجتماع، ومع تحولات العولمة وبروز واقع اجتماعي جديد لحق بالعلوم الاجتماعية تطورات كبيرة في التيارات النظرية وفي التنظير عمومًا، وظهر ذلك جليًا في التفرعات المختلفة والمتداخلة بحيث لم يعد كل علم له حدوده وموضوعاته السابقة. فالعولمة جعلت العالم القديم يتغير جذريًا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، والتطور التكنولوجي المذهل في مجالات الاتصال والمواصلات بحيث سقطت الحواجز في حركة رأس المال والسلعة والبشر (عدا العمالة) والثقافات. كما أن هيمنة الدولة القطرية -خاصة في الدول الضعيفة- قد وهنت بما يتعلق بسيادتها وسلطانها على شعوبها وحدودها الإقليمية. إذ أصبح العلاقة بين المحلي والعالمي جد صغيرة عبر الإنترنت والميديا الاجتماعية بحيث يمكن الوصول للإقليمي والعالمي دون عراقيل. وأصبحت هناك جماعات افتراضية تتواصل في سرعة دون حاجة للانتقال من مكانها. كما أن أزمة المناخ أوجدت واقعًا لا يمكن دراسته وفهمه من خلال علم واحد. وفي المجال الاقتصادي صارت الشركات عابرة القارات ذات سطوة ونفوذ يفوق أحيانًا سلطة الدولة القطرية أما في العلوم الطبيعية والتكنولوجيا فلم تعد يقينية وموثوقة العلم معترفًا بها بعد الاكتشافات والإنجازات الجديدة في عالم النانو-تكنولوجيا والفيزياء وعلم الأحياء بمجالاتها الجديدة في الهندسة الوراثية أصبحت الحقائق متداخلة ومتعددة المستويات. بل إن مجالًا كمجال البيئة لا يمكن البحث فيه من خلال علم واحد سواء في العلوم الاجتماعية أو الطبيعية.

وقد بين والرشتين -أهم علماء الاجتماع المعاصرين- أن علم الاجتماع -كمثال للعلوم الاجتماعية- قد فقد قدرته التنظيرية للتعامل مع الواقع الاجتماعي الجديد المعقّد إضافة إلى التشظي المعرفي على مستوى

التفريع الحاصل بحيث صار من العسير الحديث عن نظرية اجتماعية موحدة. وإنما ما يجعل استمرارية علم الاجتماع -وقد يستوي في هذا العلوم الاجتماعية الأخرى- هي قوة الدفع الذاتي المتمثلة في المؤسسات العلمية والهيئات العلمية التي توالى استثمارها في الكليات والأقسام ومنح الشهادات وإقامة المؤتمرات ونشر المجلات. أي بمعنى آخر أن واقع العلوم الاجتماعية الفعلي ليس له من سند فكري. ويقترح والرشتين إنشاء علم (أو علوم) اجتماع جديدة على أسس جديدة تستوعب التحولات الاجتماعية فكرياً وظهور الحضارات القديمة مجدداً - كالصين- على المسرح الدولي والنمور الآسيوية وتراجع الدور الأمريكي والأوروبي، وإن لم يضمن إلى الآن. ومع أن والرشتين وافق على أن العالم بصورته الراهنة سوف يزول لا محالة إلا أن البديل بالنسبة له غير واضح المعالم. وكل الذي يؤكده أن هناك اتجاهين للتغيير: إما أن يكون النظام الجديد إصلاحياً ويبقى على هيكله النظام الرأسمالي - وهذا سيكون أسوأ من النظام الرأسمالي؛ وإما أن يظهر نظام جديد يتجاوز حالة عالم الاستغلال الرأسمالي والتشردم والفقر وعدم المساواة بين الدول والشعوب. وبما أن العلوم الاجتماعية قد قامت أساساً على واقع الرأسمالية الصناعية وملحقاتها من أوضاع اقتصادية واجتماعية وسياسية، وأن العلوم الاجتماعية الغربية قد نبعت من ذلك الواقع التاريخي والغرض - تحليله وحل مشكلاته، فإن هذه العلوم ستفقد، إن لم تكن قد فقدت بعد قدرتها على دراسة وفهم حالة واقع عالمي - بل وحتى في أوروبا نفسها- أقرب للفضوى وفي سبيل تشكيل نظام جديد يختلف كلياً عن العالم الذي نعرفه الآن. فيحتاج الأمر إلى بناء معرفي جديد وعلم (أو علوم) جديدة ومختلفة في بنائها النظري ومنهجيتها عن المستخدمة الآن. وذلك لأن ما أحدثته العولمة بالطفرة العلمية والتكنولوجيا الهائلة وتأثيراته الإقتصادية والاجتماعية والسياسية بما أفرز إشكال جديد من التنظيم الاجتماعي والعمليات الاجتماعية واتجاهاتها غير الاتحادية والتي لا يمكن التنبؤ بها مما جعلها خارج الإطار المعرفي التقليدي للعلوم الاجتماعية الحديثة (Ro3anov) وفي الحقيقة فإن العلوم الاجتماعية الحديثة قد فقدت البوصلة للتعامل مع التحولات التاريخية الكبرى التي تتشكل الآن. وتبعاً لهذه الآراء فإن العلوم الاجتماعية الحديثة لم يعد في استطاعتها تحليل ما يحدث الآن نتيجة لتعدد الأحداث الواقعية على مستوى الواقع الاجتماعي فقط ولكنها فقدت الأهلية على المستوى المعرفي والفكري كذلك إذ تم دحض الأفكار المؤسسة للعلوم الاجتماعية الحديثة. فديركايم وضع أساس المجتمع حقيقة اجتماعية المجتمع حقيقة اجتماعية خارج الأفراد ويتكون من مؤسسات عقلانية يمكن دراستها وفهمها بمنهجية وضعية عقلانية. أما ماركس فقد أبان أن الصراع جزء لا يتجزأ من أي تكوين اجتماعي، وخاصة في النظام الرأسمالي، بين من يملكون ومن لا يملكون. أما فير فأرسى الضلع الثالث للعلوم الاجتماعية الحديثة من خلال طرحه ومقولاته بأن استمرارية المجتمع ممكنة ببسط الشرعية/القانونية/العقلانية وتنظيم المجتمع بالبيروقراطية العقلانية لمزيد من الكفاءة (Walierstein) وأضيف هنا أنه يمكن ملاحظة الآتي:- أولاً، كل هذه المقولات التأسيسية معنية فقط بالنظام الرأسمال/الصناعي، وثانياً، في النهاية تتمركز المقولات أيضاً في قبول منطق النظام الرأسمالي بمنطقه الاقتصادي كأهم محرك للمجتمع، وثالثاً، أن المجتمع يمكن تفسيره بواسطة العقلانية/الوضعية فقط من قبل الباحثين والعلماء وإدراك الواقع الاجتماعي كواقع عقلائي، رابعاً، أن المقولات الثلاثة تحوي ضمناً الاعتراف بأنه ما دام العلوم الاجتماعية (الاقتصاد والاجتماع والسياسة) تغطي جوانب الإنتاج (الصناعي/التجاري/الزراعي) والمجتمع المدني والدولة - وهي المكونات الأساسية للنظام الرأسمالي - فهي بذلك كافية مجتمعة ومنفردة.

غير أنه قد تم دحض الأفكار الأساسية أعلاه ليست على مستوى الواقع فقط من خلال تغيرات العولمة وغيرها (وخاصة مقاومة ورفض الشعوب الأخرى) ولكن على المستوى الفكري أيضاً من قبل مفكرين أوروبيين. فقد هدم أنور عبد الملك فكرة المركزية الأوروبية بإدخاله فكرة الحضارات الأخرى كمكوّن معرفي لا يمكن تجاهله. أما بروديل فبعد أن بين أن التكوين المعرفي الغربي يقوم على تبني فكرتين للزمن (الزمن اللانهائي وزمن الحدث) أشار أن هناك بعدين آخرين هما الزمن المتناهي ولكنه يستغرق حقب زمنية طويلة نسبياً وزمن دائري. وفكرة فرويد عن اللاوعي نسفت قاعدة العقلانية بالصورة التي يقوم عليها الفكر والدراسات الغربية والأبحاث الأخيرة في العلوم الطبيعية قد كشفت عن تعقيد الظواهر الطبيعية وتداخلها بحيث يكاد من المستحيل استخدام العلوم الطبيعية بصورتها الجامدة القديمة في دراسة وتفسير الوقائع الحديثة التي توصلت إليها الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا مؤخراً.

إذن العلوم الاجتماعية الحديثة تبعث من إرث تاريخي مغلق لا يحوي نظرة كونية تستوعب الأبعاد الإنسانية والطبيعية والميتافيزيقية/الدينية/الأخلاقية وتتعامل مع قضايا ومشكلات الغرب (أوروبا وأمريكا)، وحتى عندما تتعامل مع غيرهم يكون ذلك من موقف استعلائي/إقصائي وللهيمنة عليهم ودون اعتبار أو قبول لمشاركتهم كبشر لهم ثقافات وإرث حضاري يمكن أن يدخل المكوّن المعرفي الغربي كمساهم وشريك ولا يصلح ذلك لمشروع مستقبلي لا على المستوى ولا كأداة معرفية لخلق واقع جديد وتفسير التحولات التاريخية المرتقبة. ويتيح هذا عملية انقسام العلوم ولشعب تخصصاتها إلى حد دقيق ذابت معه كل الحدود التي تفصل بينها كعلوم ذات تركيب نظري معيّن وموضوع دراسة خاص ومنهجية مختلفة. وأريد المسار لأمرين مترابطين، أولهما نشأة الجامعات ومراكز وهيئات البحوث والجمعيات العلمية بين 1850 أو 1900 (أي خلال خمسين عام فقط). إذ لم تصبح هذه العلوم علوماً إلا بمؤسسية ونظم ومباني وأساتذة وطلاب ومهنيين وما يستصحب ذلك من مقررات وتدريب وشهادات معترف بها وقبول من جهات علمية مشرفة ومنظمات مانحة ورعاية من الدولة. والأمر الثاني، أن يكون هناك - بلغة السوق - طلب للعرض مثلاً للخريجين يستطيعون بموجه أن يصبحوا عاملة لمزيد من الإنتاج أو لتسهيل عملية الإنتاج، أو الانخراط في سلك الدولة والتي هي مؤسسة ورعاية المؤسسات العلمية من جهة والمنظمة للسوق وضابطة لحركة المجتمع لكي لا يفلت زمام الأمور وتعم الفوضى المؤدية إلى اضطراب حركة المجتمع ومن ثم حركة السوق ومن بعده النظام الرأسمالي كله. وتعددت الأقسام والكليات والمعاهد البحثية وابتدعت الأدوات المنهجية المناسبة. ولكن ينبغي أن نذكر بأن المستوى الفكري/النظري ومستوى الواقع الاجتماعي ليسا متطابقين وليس انعكاساً لبعضهما البعض وإن كانا متلازمان وبينهما حركة تأثير تبادلية وعليه يمكن أن تفسر التيارات الكبرى في النظريات الاجتماعية من وظيفة وبتبوية وما بعد التبوية وحتى ما بعد الحداثة بالصلة الوثيقة بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكبرى كالمدة الاستعماري والثورات الداخلية في أوروبا والحرب العالمية الأولى والثانية وحركات التحرر من الاستعمار إلى نهاية الثنائية القطرية وإلى المرحلة الراهنة والتي تسود فيها هيمنة القطب الواحد وما انحدرت إليه الأوضاع جرّاء ذلك من فوضى اقتصادية واجتماعية وسياسية داخل أوروبا وخارجها. ولا ننسى كذلك أن نظريات كالأنثروبولوجيا لم يحقق نجاحهما إلا لما كان يقدمانه لتبرير الواقع الاستعماري في الخارج والأوضاع السائدة في داخل أوروبا. وحتى تلك المناهضة

للاستعمار والأوضاع السائدة كانت يتم التنظير لها بمعطيات في إطار النظام الرأسمالي ووفقاً لنظمه المعرفية، وهناك فقط القليل من المحاولات من التحرر من ربة الهيمنة الفكرية الغربية مثل محاولات سمير أمين وولتر رودني وإدوار سعيد وأنور عبد الملك إما بنقد كاسح للرأسمالية، أو بتقديم مشاريع بديلة - كما فعل أنور عبد الملك.

وفي فترة الاستعمار وما لحقها من هيمنة سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية للمشروع الحدائي الغربي في معظم أرجاء المعمورة، ومن ضمنها العالم العربي، توطدت أركان بنيانه المعرفي والثقافي بمكوناته النظرية والمنهجية ونظمه التعليمية بكل هياكلها ومحتويات مقرراتها ومسميات دراجتها العلمية حتى تواكب ما تم التعارف عليه في الغرب. وأصبحت الدرجات الممنوحة في الجامعات والمؤسسات العلمية والبحثية في الغرب هي الأصل المعتمد في المجالات الأكاديمية والمهنية. فإذا ما ثارت أسئلة حول كفاءة ومقدرة الأصل في مواجهة وتفسير الواقع المتغير، فيكون من البدهي أن ينطبق ذلك على «النسخ» التي استنسخت منه. وأي محاولة لمشروع معرفي فكري متكامل إما يتم تجاهله أو محاربته بشتى الطرق والوسائل حتى يتم وأده واستئصاله. أما الحضارات الأخرى فقد وجهت إما بتجاهلها بوضعها هامش التاريخ - خارج إطار المشروع الحدائي الغربي الذي هو التاريخ - أو وضع العراقيل في سبيلها ومحاربتها. وتجمع وتراكم كل هذه الثروات في «المركز» الأوروبي - بما يسميه أنور عبد الملك بفائض القيمة التاريخي (أنور عبد الملك: تغيير العالم: ص19) - ونتيجة لطبيعة المشروع الأوروبي العدوانية وسياسة الممنهج لبقية العالم، أتاح لها المزيد من الهيمنة والسيطرة. ويمضي أنور عبد الملك ليقول ... ساهمت تقنيات الإتصالات في تكثيف نقل فيض الأفكار والنظريات والمفاهيم من «المركز» إلى «الأطراف» المختلفة، وكانت النتيجة تكريساً فريداً من نوعه عند «المركز» بلغ ذروته في تركيز صياغة النظرية الاجتماعية والاتجاهات الفكرية الحديثة عموماً بين أيدي مراكز الهيمنة الغربية، من هنا، استحال على شتى الأطراف -آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية- أن تتطور إلا وفق النهج الذي تقترحه وتفرضه فرضاً مختلف المدارس الفكرية في الغرب المهيمن [عبد الملك: تغيير العالم ص19] ولكن كل التغيرات الضخمة التي أحدثتها العولمة والعوامل الأخرى -كما ذكرنا- وتعود المعارف العلمية من تفسيرها أو التأثير فيها بطرح بقوة ضرورة قيام مشروع جديد يلبي طموحات التساؤلات الجديدة التي تطرحها البشرية في مستقبل أيامها. مشروع جماعي للبشرية كلها يعود فيه الإنسان بكامل وعيه وأبعاده الإيمانية فاعلاً بإرادة في مساره التاريخي وصانعاً لتاريخ يتسم بالإنسانية والعدالة والحرية الحققة والمساواة والعدالة دون تمييز أو إقصاء.

إذا كان هذا الوضع فما البديل؟:

تتعدد الرؤى بشأن البديل الذي يمكن أن يحل المشروع الحضاري الغربي. فمعظم الغربيين -على اختلاف آراؤهم- ينظرون للتغيير من داخل المشروع الغربي الحدائي نفسه؛ وذلك إما بتحليل واقعه -باعتبار العالم والآخرين ملحق له- ومحاولة تجاوز ما يمر به من أزمات على أنها عابرة. ومنهم من ينظر إليه بحسبان ما يواجهه هو خطر خارجي (دول - شعوب - حضارات - أيدولوجيات - جماعات متطرفة ... إلخ) ويجب مواجهتهم وحسمهم وإلا فإنهم سيدمرون الحضارة الغربية التي هي قمة التطور الإنساني ولا بديل لها. ومنهم من يرى أن ما يحدث ما هو إلا إرهاص بتحويلات كبرى أحدثها العلم والتكنولوجيا وكلها -رغب

مصاعب مخاضها الآن- ستؤدي إلى عالم أكثر اتصالاً وستنشأ فيه علاقات وتنظيمات جديدة تقرب بين الأفراد والشعوب وحل المشكلات المرحلية جميعها. ومنهم من يقترح إصلاحات هيكلية في الاقتصاد والسياسة وإضافة أبعاد أخلاقية واجتماعية تصب في تقوية المشروع الغربي ... وهكذا. أما من يقترحون مشروعات بديلة فكلهم من حضارات وشعوب غير أوربية - سمر أمين وأنور عبد الملك وعبد الوهاب المسيري وغيرهم. وكل هؤلاء يتحركون من واقع إرثهم الحضاري العريق. ويرون في علامات ضعف النظام الغربي ونذر انحلاله فرصة لتقديم الشعوب والحضارات الأخرى لمشروعاتها البديلة. وفي مقدمة هذه المشروعات مشروعاً يمكن أن يركز على مقومات الحضارة الإسلامية العربية وخاصة أنه يحضن بداخله شعوباً وثقافات متنوعة في فارس والهند وجنوب شرق آسيا والمنطقة العربية وفي أفريقيا، وحتى في أوروبا وأمريكا نفسها الآن. ويمكن لهذا المشروع أن يتكامل مع المشروعات الأخرى التي يمكن أن تطرحها الحضارات الأخرى - وخاصة الصين. إذن ما هي العناصر التي تؤخذ في الاعتبار عند النظر في طبيعة المشروعات المطروحة ومن ضمنها المشروع الإسلامي/العربي؟ وهنا أيضاً يسعفنا أنور عبد الملك باقتراح الآتي: إن أي مشروع لكي يكون ناجحاً فلا بد له من الإنطلاق من الخصوصية الحضارية لمن يقومون به. ومهمة هذه الخصوصية هي شحذ الهمم والبحث في الطاقات الكامنة في أبعادها التاريخية والاجتماعية والفكرية والروحية للانتقال مما هو ممكن لما هو واقع «أي الانتقال من الامكان إلى العمل» ص42. وتصور الخصوصية تشكل من ثلاثة مستويات: المستوى الأول ويعني باستمرارية المجتمع وفيه أربعة عوامل: إنتاج الحياة المادية في إطار جغرافي/ايكولوجي، إنتاج الحياة البيولوجية، النظام الاجتماعي، الأديان والفلسفات. أما المستوى الثاني في إطار جغرافي محدد. والمستوى الثالث يعني بالتفاعل الجدلي بين عوامل الاستمرار وعوامل التغير وهي التي تحدد الأهمية النسبية لأي من العوامل الأربعة.

إن الواقع العربي اليوم يشير إلى تشرذم وتفرق وعدم وحدة الرؤية والأهداف. وذات الشيء ينطبق على العالم الإسلامي. ورغم الثقل السمائي للمجموعتين (وفي الواقع الكتلة العربية أحد مكونات الأمة الإسلامية) والبالغ ما يقارب خمس سكان العالم ويملكون ثروات طبيعية من نفط ومعادن أخرى وثروات غابية وحيوانية، وفوق هذا وذاك -كما ذكرنا- عمقاً تاريخياً وثقافياً وحضارياً، ولكنهم غير موحد في الكلمة ولا المواقف. وعلى المستوى المعرفي/الفكري فقد أصاب المجتمع الإسلامي/العربي ما أصاب الآخرين من غير الأوروبيين من خضوع وتأثر بالمشروع الغربي. ورغم المحاولات المقدرة الت بذهلها مناهضون للسيطرة الاستعمارية حينها في كل بلاد العالم الإسلامي/العربي من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من الإصلاحيين وفترة النهضة على عهد رشيد رضا ومن تبعهم إلى مالك بن نبي وسيد قطب. ولا تنسى هنا أن المواقف الفكرية كانت تواكبها حركات جماهيرية تشكل عصب المقاومة الاجتماعية للمشروع الغربي. وقد انتظم بعضها في حركات منظمة قادتها نخب وقادة رأي يمثلون -وتبعاً لما كان عليه الأمر قبل انهيار الاتحاد السوفييتي- تيارين متعارضين: أحدهما إسلامي التوجه والآخر يساري/ليبرالي.

ويمكن إجمالي المواقف من المشروع الغربي في أربعة مواقف:

- موقف رافض ومستبعد له.

- قبوله في كلياته وأهدافه ووسائله.

- موقف يقبله جزئياً إما بالاقتراب منه بصورة من الصور.
 - موقف يتبنى فك الارتباط به دون الانعزال أو الاستقلال كلية عنه.
 الفريق الأول ينطلق مبدئياً من موقف أيولوجي على المستوى السياسي غالباً أكثر منه مستمداً من أسس فكرية واضحة المعالم. وهذا الفريق يتقسم إلى مجموعتين: فريق تقليدي لا يدرك حقيقة أبعاد المواقف التاريخية والفكرية، وفريق ترى في نظم أخرى -الاشتراكية والشيوعية- بديلاً أنجح.

نقاط:

المشروع الغربي - نابع من تجربة تاريخية/مخصوصة.
 اعطاؤه المسحة العالمية Universal كمطابق للتجربة الإنسانية عموماً.
 جعل العلم [وهو أحد جوانب المعرفة] مطابقاً للمعرفة في كليتها - وهو السبيل الوحيد للتعامل مع الواقع.
 الطبيعة العدوانية في المشروع، هدم الإنسان/الحضارات/الطبيعة والنهب/التدمير - في سبيل تحقيق هدفه: تحقيق الربحية عبر السوق (الاقتصاد) كمحرك لكل أوجه الحياة.
 استخدام القوة المجردة للهيمنة على الشعوب والحضارات الأخرى - وبعده الآخرين اقصائي/تدميري.
 المشروع الغربي يضخم نفسه ويجب الآخرين على قبول ذلك: الحرية/الديمقراطية/التصنيع/الاقتصاد.
 واقعه الحقيقي لم يكن أبداً كذلك - ضالة امكانياته ومقدراته تجعله غير قابل لأن يكون قائداً للبشرية ومثالاً لها مواقف مختلفة: منها إسلامية المعرفة
 والذين يأخذون بالمشروع في كليته فهم يناصرون الغرب ويرون في فكره ومنجزاته وديمقراطيته وحقوق إنسانه ما يطغى على كل شيء آخر فيه. وأن أسلوب الحياة في الغرب هو ما ينبغي أن نصبو إليه، وأن ما يلزم هو معرفة اللحاق بركبه والوصول إلى ما وصل إليه، وهؤلاء غالباً ذو معرفة وارتباط بالغرب أو قد استبطنوا مقولاته وادعاءاته ويرون فيه خلاصاً مما نحن فيه من وحل. كما أن بعضاً من هؤلاء ترتبط مصالحهم باستمرارية المشروع الغربي ويستفيدون من ذلك فكرياً ومعاشياً. والذين ينادون بالاقتراب والفائدة من المشروع الغربي هم أيضاً فرقاء - فمنهم من يوصل بين أخلاق الغرب ومنجزاته ومبتكراته العلمية واسباغ أخلاقيات غير أخلاقياته عليها. وبعضهم الآخر يوصل بين مواقف الغرب الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ويقبلون بعضها ويطرحون الأخريات دون أي شعور بالتناقض. ومن يتبنون فكرة فك الارتباط بالغرب يذهبون في ذلك مذاهب شتى ولكنهم يتفقون ألا مناص من التعامل معه كأمر واقع مع ضرورة محاربته والنضال ضده. فمنهم من يرى في الغرب تجربة إنسانية ينبغي دراستها والوعي بها ومحاولة تجنب أخطائها، وأنه من داخل المشروع الغربي نفسه توجد حركات وأفكار غير راضية بالواقع الحضاري والفكري مما يمكن الاستعانة بها في تشكيل أي مشروع جديد. وآخرون يرون الاعتماد على القوى الكامنة الذاتية والموارد البشرية والطبيعية والحضارية لبناء المشروع الجديد، ولكن مقومات هذه النهضة الذاتية لم تكتمل بعد، فعليه مسيرة الغرب تكتيكياً حتى تقوى شوكة المشروع الجديد. وقبل انهيار الاتحاد السوفييتي كانت الاشتراكية مطروحة كمشروع بديل. وبعضاً من هؤلاء يعتقدون أن القومية يمكن أن تكون مرتكزاً لهذا البديل. وآخرون يقدمون مشروعاً ينبعث من التراث الحضاري الإسلامي/العربي وأقوى توجهاته تأتي ممن

يوصفون بالإسلاميين وغيرهم - كأنور عبد الملك. غير أنه هناك من يقول باستحالة قيام مشروع إسلامي مستندين في ذلك على أن مثل هذا المشروع ستكون مرجعيته أيدلوجية غير عقلانية وأن الحضارة الغربية لم تنجح مؤقتاً (بل والحضارة الإسلامية في بعض عهودها) إلا بعد أن تم الفصل بين العقل والإيمان لصالح الأول. وأقوى حجج التيار الإسلامي يعتمد على مقولة أن لكل مشروع حضاري رؤاه وفلسفته التي تشع في كل أجزاء ونشاطات المشروع المعني. ومن أوائل من دعوا إلى ذلك جمال الدين الأفغاني، حيث ذكر بأن ولكن المعارف الغربية ليست مجرد علم يكتسب، ولكن وراءها رؤية فلسفية واحدة تجمعها وأنه مهما عمل المسلم على تعلمها فلن ينجح في ذلك إذا لم يدرك مغزاها، ولذلك وما إلى استخدام فلسفة صلدم لتوضيح موقفه. وقد جاره في بعض موقفه هذا مالك بن نبي. وذلك المشروع الذي تنبأه الأفغاني ومالك بن نبي كان يرمي إلى استنهاض الأمة الإسلامية وتجميع أوصالها، وبعثتها موحدة بعد أن تتخلص من الاستعمار. وقد ركز مالك بن نبي أن الفكر الذي خلّف المشروع الغربي يقوم على المادية، وأن المشروع الإسلامي يقوم على الإيمان والأخلاق. وموقف الأفغاني وبن نبي كان يعوزه الرؤية المنهجية للأسس التي يمكن أن يبنى عليها المشروع الإسلامي/ العربي. كما أن الظروف التاريخية لم تسمح حينها بقيام بعد اجتماعي يمكن أن يساند مثل هذه الدعوة، فمعظم الشعوب الإسلامية في البلدان العربية وفي آسيا وأفريقيا كانت ترنح تحت الاستعمار وقتئذ، والأفكار المحورية التي تدور حولها حركة الجماهير حينها هي النضال ضد الاستعمار والخلاص منه وليس تقديم مشروع برؤية كونية شاملة. كما أن أيام بن نبي كانت فكرة القومية العربية هي الطاغية. فعلى المستوى الفكري بالإضافة إلى أن هذا الموقف وما تلاه من تعديلات - إلى مشروع إسلامية المعرفة - فقد فشل في تقديم بناء فكري متماسك نظرياً ومنهجياً، كما ذكرنا. فهو لم يستطع أن يوضح كيف يمكن أن الاستنباط من واستقراء الإرث الحضاري الإسلامي/ العربي واستنطاق تجربته كعناصر للمشروع الجديد. ومن ناحية أخرى لا يوجد في الأفكار المنثورة عن البعث الحضاري ما يسمّى بكيفية التلاقي مع المشروعات الناهضة للحضارات الأخرى، أو حتى كيفية التفاهم والتلاقح مع المواقف الفكرية المختلفة داخل العالم الإسلامي/ العربي نفسه والتي تتفق في أهمية وجود مشروع يتجاوز المشروع الحدائي الغربي. فما الذي استجدّ منذ تلك المحاولات حتى يجعل التفكير ضرورياً ومتكاملاً في وجوب النظر مجدداً في مشروع متجاوز لمشروع الحدائة الغربي ولكنه في نفس ذات الوقت يكون متكاملًا مع المشروعات الأخرى ومقدماً اسهاماً فاعلاً مستمداً من تراث وتجربة الحضارة الإسلامية/ العربية؟ ولكي نجيب على مثل هذا التساؤل يحسن بنا إلقاء نظرة سريعة على الواقع العربي اليوم على مستوى الفكر والواقع الاجتماعي.

فلا يزال العالم الإسلامي والعالم العربي يرزخان تحت آثار ثقل وطأة الاستعمار الغربي وهيمنته (في صورته الأوربية التقليدية وامتداده الأمريكي). فحتى عام 1914 كانت أوروبا تسيطر على 84% من رقعة العالم - بما في ذلك معظم الدول والشعوب الإسلامية والعربية. وتم تقسيم تكتلاتها الحضارية في آسيا والبلدان العربية وفي أفريقيا إلى دول ذات حدود جغرافية تم وضعها حسب المصالح الاستعمارية للبلدان الأوروبية ووضع الاستعمار يده على الموارد البشرية والطبيعية ووضع الموالي والمدن الكبرى تحت تصرفه وأعاد هيكلتها لتناسب أهدافه السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أخرجها مشروعه الحدائي. ومن هذه الاستراتيجيات فإن -بالإضافة إلى القوة السياسية والعسكرية- الدخول إلى العقول وجعلها تتقبل

الوضع الاستعماري، أو على الأقل عدم التفكير في بديل له. وكان ذلك المدخل مدخلاً معرفياً عن طريق أنظمة التعليم الغربي وأهمل الثقافة المختلفة في التفكير وأسلوب الحياة. وحتى بعد ذهاب الاستعمار -وبعد المقاومة الكبيرة له- ما زالت كثير من آثاره الباقية- ومن ذلك أن كثيراً من مؤسساتنا التعليمية ما زالت مرتبطة بمراكز ومؤسسات التعليم والبحث العلمي. وما زلنا أيضاً في كثير من أوجه تفكيرنا نحو منحى المشروع الحداثي من حيث ربط العلم بالتكنولوجيا وبطها معاً بآيات السوق. فالمعرفة في الجامعات -وخاصة العلوم الاجتماعية- ما لذي يمكن أن تجلبه من مال، وهي فعلاً ما تقدمه يساوي ما يصرف عليها. وعلى أرض الواقع نجد أن معظم البلدان الإسلامية/العربية -ما عدا القليل منها في منطقة الخليج وتركيا وماليزيا مثلاً- تقبع في النصف الأسفل لمعايير التنمية مقاساً بمؤشر التنمية البشرية في تقارير برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP. فهي متأخرة في مجالات التعليم والصحة والغنى ومسائل الاجندة والحريات العامة ... إلخ. وكل عام تزيد صعوبة هذا المؤشر والذي هو فغي الغالب الأعم موضوع مقاييس الاقتراب أو الابتعاد من الحالة الاجتماعية والسياسية وخاصة الاقتصادية للدول المتقدمة (الأوروبية والأمريكية). ومنذ أعوام قلائد أدخل مؤشر الفجوة المعرفية. وقد بدأ ذلك البنك الدولي في تقريره عن ارتباط التقدم الاقتصادي (وهو المحك الرئيسي) بمدى توسع التعليم في البلد المعني مع الأخذ في الاعتبار الظروف المجتمعية والسياسية التي تساعد في ذلك أو تحد منه. وقد سارت في هذا الدرب التقارير والمؤتمرات للمنظمات العالمية الأخرى (كتقرير اليونسكو للمعرفة 2010) والعربية (تقرير التنمية الإنسانية العربي 2003، وتقرير المعرفة العربي 2009، ومؤتمرات منتدى الفكر العربي 2010 مثلاً). وهناك العديد من الكتب والدراسات (مثلاً كتب ومقالات أنطوان زحلان في المستقبل العربي) وكلها تربط بين العلم/المعرفة ومؤسسات التعليم العالي للمجتمع والدولة من خلال -في التحليل النهائي- قياس قدرتها على الإنتاج وقيمتها الاقتصادية. وفي السنوات الأخيرة أصبحت الفجوة المعرفية تكاد تقتصر على الجانب التكنولوجي - فالبلدان النامية هي التي ما زال ينتظرها طريق طويل لتحقيق التقدم التكنولوجي/الصناعي وتكنولوجيا المعلومات التي ستكون مصدر للثراء، وبالتالي لتنمية اقتصادية/اجتماعية. إن المعرفة عامة والتعليم خاصة أمران لا غنى للإنسان عنهما ليعيش حياته كإنسان من جهة، ولكي يعمر الأرض وتزيد رفاهيته من جهة أخرى. ولكن السؤال يبقى أي معرفة وأي تعليم؟ فالمعرفة القاصرة -باستبعادها للجانب الروحي والأخلاقي- والاستغلالية والاستقصائية والمنهجية لا يمكن أن تحقق ذلك. وأن التعليم -وسيلة المعرفة- الذي يكون مركزاً في العلم -في صورته الغربية- ومربوطاً بشكل أساسي ووثيق بالسوق لا يمكن أن يفي بكل حاجات الإنسان غير المادية وحاجات الإنسان غير الغربي. وإذا نظرنا إلى طبيعة المعرفة المبثوثة الآن نجدها راسخة في المركزية الغربية بكل أبعادها التاريخية وصفاتها التي ذكرناها انتهاء بما وصلت إليه باعتبارها أقصى ما يمكن أن يحققه الإنسان -كل إنسان- وباعتبارها المثال والنموذج الذي يجب أن يحتذى كقمة للحضارة. وبذلك تصير المعرفة الغربية وأسلوب الحياة في الغرب السبيل الوحيد للارتقاء بالحياة الإنسانية للخليقة جمعاء. ومراكز التعليم والبحوث الغربية للعلوم نفسها، سواء أكانت طبيعية أو اجتماعية، يتم تقليدها كقنطرة لنيل الحداثة. وهذا يفسر لنا كثرة الجامعات ومراكز ومؤسسات التعليم والبحوث في العالم العربي التي تكاد تكون نسخاً غير مكتملة -ولن تصير أبداً نسخاً مكتملة- لمثاليها الغربي. والظاهرة الثانية هي ارتباط هذه المؤسسات كفروع للجامعات الأم وتمنح الدرجات

العلمية والشهادات بإسم تلك الجامعات وتسير بمنهجها ووسائل تعليمها. والخاصية الثالثة هي أن كثيراً من المؤسسات التعليمية الناشئة -وخاصة في التعليم العالي- قد أصبحت تابعة للقطاع الخاص ومنفصلة عن رعاية الدولة (في ما عدا الإشراف على السياسات العامة) ودائرة في فلك الربحية وأهداف السوق عمومًا. أما أكثر البرامج نجاحًا في الجامعات الجديدة فهي -ولا عجب- إدارة الأعمال التي تهيء الطالب للعمل في الشركات ومؤسسات ذات الارتباط بالشبكة العالمية للإقتصاد. وتروج أيًا البرامج التدريبية التي تعني بإعداد المتدربين لكي يصيروا أكثر كفاءة في إدارة مؤسسات السوق للمجتمع المدني (التي بدورها على نمط السوق) حسب ما يتطلبه أداء وتنفيذ برامج تلك المؤسسات من دقة وبروقراطية ومهنية. والغرض من كل هذا هو الانغماس في كيف وليس لماذا. أي، القبول ضمنياً بالأهداف والوسائل للمشروع الحداثي، وأن كل ما يلزم هو امتلاك المهارة لتحقيق ذلك. وفي هذا الخضم تجد العلوم الاجتماعية نفسها متناوشة بين متطلبات السوق ومطالب المجتمع الذي يصرف عليها -إن كانت جامعاتها أو مؤسساتها حكومية- ويريد أن يرى نتائج ما بذله من مال وموارد، وبين المنافسة الشديدة من المؤسسات في القطاع الخاص والتي هي أكثر كفاءة في التأهيل والتدريب في حين أن الجامعات بطبيعتها تميل إلى إعلاء شأن المعرفة في جانبها الفكري. ولكل ما سبق تجد العلوم الاجتماعية في العالم العربي نفسها في مشقة للحفاظ على توازنها في خضم التجاذب بين متطلبات المجتمع والسوق والدولة لتبرير أهمية وجودها في وقت تتسارع في وتيرة متسارعة تتغير فيه أوضاع العالم كلية منبئة بزوغ فجر حضارة جديدة لم تشكل ملامحها بعد. في وقت ما تزال الهيكلية المؤسسية للمشروع الحداثي المعرفي قائمة تعطيه زخمًا بلا روح فالعلوم الاجتماعية بسيرها على خطى نهجها الغربي تكون عرضة لنفس مصيره ومآله الذي وصفه بعض المفكرين بالأزمة والكارثة. وهي تعمل من داخل مشروع يضمحل وبان عواره، ولكنها في نفس ذات الوقت لا تجد ما ترتكز عليه للخروج من هذه الأزمة والاستعداد لما سيأتي. وهذا لن يكون إلا تحت ظل رؤية كونية/حضارية جديدة معتمدة فيه على قواها الذاتية الكامنة في إرثها الحضاري.

إن إرث الحضارة الإسلامية العربية تختلف تمامًا عن إرث الحضارة الغربية ممثلًا في مشروعها الحداثي. فالحضارة العربية -مبتدئًا- قامت على مرتكزات روحية/فكرية كإطار للتعامل مع الإنسان والطبيعة/المادة، في حين أن الحداثة اعتمدت على مرتكز مادي هو الزراعة والصناعة والثروات الطبيعية وهذه هي القاعدة التي شكّلت نظرتها المعرفية وتعاملها مع الإنسان والطبيعة مكتفية بالعقل/العقلانية والتكنولوجيا. وفي حين أن فنان المشروع الغربي للكوابح الروحية الأخلاقية جعل منطلقه عدوانيًا واستغلاليًا، داخله وخارجه، في تعايطه للإنسان/المجتمع والطبيعة/المادة/البيئة، كانت الحضارة الإسلامية العربية أكثر رحابة في ذلك. ولم تكن الحضارة الإسلامية العربية منكفئة على ذاتها وذات مركز واحد مسيطر، فهي قد استوعبت الكثير من الحضارات الأخرى، وأعطت لكل شعب الحرية في اتباع ثقافته وغط حياته في إطار المعتدّ الواسع وتعددت مراكز إشعاعها الحضاري إلى الصين وجنوب شرق آسيا مرورًا بالمغول والهند وفارس والبلدان العربية وانتهاء بالأندلس في أوروبا. ولكل من هذه الأقاليم الشاسعة بورها الحضاري في محيطها الإقليمي بخصائصه المجتمعية والفكرية، ولكن هذا البؤر لم تكن جزرًا منعزلة بل وثيقة الترابط والتفاعل (كما يظهر من رحلات ابن بطوطة). وميزة الحضارة الإسلامية العربية أنها لم تكن اقصادية ولم تستبعد أحد،

فليس هناك آخر مطلقاً - كما في المركزية الغربية - بل إن كل شخص أو شعب يمكن أن يصبح أصيلاً داخل المشروع الحضاري الإسلامي العربي. ففي آسيا وأفريقيا جعل المد الحضاري أهل كل إقليم هم حملة ذلك المشروع حسب فهمهم وجهدهم داخل الإطار المعتقدي العريض. فعلى الواقع الاجتماعي ترى عجباً - فيما عدا الإلتزام بالشعائر الدينية - من اختلافات النظم الاجتماعية والملبس والمسكن والعادات والتقاليد والأدب والآداب والفنون، ولم يفرض نمط حضاري واحد يتبعه الجميع. وكذلك الحال على المستوى المعرفي/الفكري. فكانت مراكز العلم في خوارزم وبغداد ودمشق والقاهرة ومبكنو والقيروان وفاس وقرطبة - كل له اجتهاداته وتقاليده المعرفية ولكنها أيضاً مترابطة ينتقل العلماء وتنتقل المعارف بينهم. فكثير من العلماء غادروا بلادهم إلى مناطق وأقاليم أخرى ولكنهم قوبلوا بنفس الاحتراف والتقدير وأصبحوا علماء يشار إليهم بالبنان في مستقراتهم الجديدة (كمثال ابن خلدون). وكذلك كانت طبيعة محتوى المعرفة/العلم ووسائل تدوالها متاحة للجميع ودافعها البحث عن الحق أين وجد ونشره وبثه لمن شاء في حلقات الدروس المفتوحة ونظامها غير المغلق. وعلى المستوى الفكري/العلمي/النظري يوجد اختلاف كبير بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في مفهوم العلم. فعلى اختلاف العلماء في تفسيراتهم ورؤاهم للعلم فإنهم في الحضارة الإسلامية يجمعون على أن العلم عند الإنسان محدود وقاصر وكذلك أدواته (العقل) ذات خصائص ومقدرات متناهية لا تستطيع الإلمام بكل جوانب الوجود، وأن العلم لا يسوي شيئاً بالقياس إلى علم الله الواسع. وللعلم النافع لا بد أن يرتبط بالعمل النافع وغرضه عمارة الأرض لا تدميرها، ونفع الإنسان والمجتمع. والعلم فوق أنه حرفة وقدرات ذاتية إلا أن في النهاية هبة منم الله، وعلى المرء أن يتقرب إلى الله للمزيد من العلم وذلك باتباع أوامره وخشيته وتقواه. فالإنسان بنفسه وعقله يحتاج إلى علم الله وهديه. ولا بد للإنسان أن يسعى بكل الطرق لتحصيل العلم في إطار إيماني/أخلاقي. ولذلك كانت الحضارة الإسلامية - رغم معارفها الجمّة بأسرار العلوم والتكنولوجيا - إلا أنها لم تستنبط وتستخدم أسلحة مدمرة كالحضارة الغربية - وكل معرفة وعلم مقبولان ما دام لا يتعارضان مع أساسيات العقيدة - وهي إطار واسع يتحمل كل أشكال وأنواع العلوم والمعارف من شتى الثقافات والحضارات. وكان العلم قريباً بالفلسفة (بمعناها الإغريقي: حب الحكمة) ولذلك كان العلماء عارفون بشتى ضروب المعارف مع الإمام بمهارات أكبر في فروع مخصوصة في العلم. وهذا بعينه ما يدعو إليه كثير من العلماء الآن للخروج من مأزق العلوم الاجتماعية وذلك بالجمع بين العلم والفلسفة - أو ما يطلق عليها الآن بفلسفة العلوم.

بعد أن ترسخت الحضارة الإسلامية بعد ترجمة ودرس وهضم علوم الأولين وتحويرها للرؤية الحضارية الإسلامية (كالجاحظ والغزالي) جاء عهد أمكن معه ظهور علماء استطاعوا أن يفتحوا قارات جديدة للعلوم. والمثالان اللذان هما أقرب للعلوم الاجتماعية هما البيروني وابن خلدون. وعلى الرغم مما يقرب من الثلاثمائة عام بين وفاة البيروني ومولد ابن خلدون إلا أن أعمالهما الفكرية كانت تمثل فتحاً معرفياً للإنسانية جمعاء. ويحوي كتاب العبر في مقدمته تأثراً واضحاً بالبيروني في نظراته للتاريخ ومصدر الأخبار ونقدها وتقييمها وتأسيس علوم جديدة سعت إلى استيعاب التجربة الإنسانية في تحليلاتها الفكرية والتاريخية. ومع أن البيروني كانت له مهارات مشهود لها في العلوم الطبيعية والرياضيات إلا أن كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة» مع كتابه «الآثار الباقية عبر القرون الخالية» يعدان كتابين هامين في

النظر للقواعد المعرفية للأمم غير الإسلامية. وبهذين الكتابين أسس البيروني للمنهج المقارن في النظم المعرفية بعيداً عن التحيز والهوى والغرض. ولكي يحقق ذلك تعلم اللغة السنسكريتية ودرس الفلسفة والديانات الهندية، ولم يدمغها بالجهل أو الكفر وإنما أراد معرفة كيفية تشكل القواعد المعرفية وتتم ترجمتها إلى أرض الواقع في حياة الناس العادية في احتفالاتهم وأوجه معاشهم.

أما ابن خلدون فقد جمع بين العلم والسياسة والتصوف، وأتقن الكثير من الفنون. بيد أن ابن خلدون، وخلاًفاً للبيروني، قد أدرك أنه قد أتى بعلم جديد أطلق عليه «علم العمران». وقد تنازع فيه أهل العلوم الحديثة في مجال الاجتماع فبعضهم نسبته للتاريخ، وبعضهم أنسبهم للاقتصاد، وآخرون نسبوه لعلم الاجتماع، وهكذا. إلا أنني أرجح أن ابن خلدون قد خلّد اسمه بافتراعه لعلم يدرس الواقع الاجتماعي في تفاعلاته وتجاربته وتجلياته التاريخية/الحضارية. في البعدين الزماني والمكاني/البيئي. ومع أن ابن خلدون قد مال إلى ما يعرفه عن واقع الحال من الشعوب والمجموعات التي عايشها من عرب وعجم وبربر إلا أن تجاربته الحياتية واطلاعه الواسع قد مكنته من الوقوف على معالم الحضارات الأخرى وجوانب من أشكال الحضارة الإسلامية نفسها في الأقاليم الأخرى من العالم الإسلامي. ومع أن المنطلقين للبيروني وابن خلدون يختلفان من حيث تجاربهما الحياتية والمعرفية وأهدافهما البحثية والعلمية ومنهجيتهما في تحصيل مطلوبهما إلا أننا نلاحظ أنهما لم يكتشفا علماً لدراسة «الآخر» أو يستبعدانه أو يضعانه موضعاً دونياً. ولكنهما درسا في إطار الاختلاف الحضاري وعملا قدر جهدهما لإحقاق الحق وطلبه والاستفادة من معارف الحضارات والشعوب الأخرى في إطار الإسلامية الشاملة.

الخاتمة:

إن الكوارث والمحن التي نشهدها اليوم في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية ما هي إلا محصلة نظام معرفي وحضارة يتناقضها البعد الروحي/الأخلاقي في رؤيتها الكونية. وهي حضارة تمثلت في مشروع حضاري سمته «الحداثة» وزعمت أنه لمصلحة الإنسان، مطلق الإنسان، وخلق مجتمع متقدم ينعم بالرفاهية والحرية والسلام وفي نهاية المشروع جاءت النتائج كارثية. ولتتبع ذلك نظرت الورقة في ظروف نشأته وخصائصه المعرفية التي جاءت من وقائع تجربته التاريخية وفي تعامله مع الطبيعة والإنسان الأوروبي وغير الأوروبي كوسيلة لتحقيق المشروع الحداثي عبر آنيته الفكرية (العقلانية) والاجتماعية (السوق) والسياسية (الدولة القطرية) والتنفيذية (البيروقراطية والتكنولوجيا).

أبرزت علامات اضمحلال المشروع الحداثي وبعث القوى الأخرى التي لم تشرك في أن عالماً حضارياً جديداً يتشكل. وسيكون هذا القادم الجديد الحضارة ذات الرؤية الكونية ومشروع حضاري عالمي/إنساني هو الثالث في تاريخ البشرية بعد الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. ولكنه يختلف عنهما في أنه ولأول مرة تلتقي رؤى حضارية وكونية في لحظة تاريخية واحدة. وتتسائل الورقة عن دورنا في ذلك من خلال إسهامنا برؤية وفكر مستمد من إرثنا الحضاري الإسلامي العربي وانعكاس ذلك في إبداع جديد لعلوم جديدة تستوعب الحضارات الأخرى وعلومها دون أن ينتقص من قدر إسهامنا. علوم (علم) اجتماعية جديدة تجمع معرفياً بين الفلسفة والعلم وتتعامل مع التجربة الإنسانية في مجملها غير مقصية أو مستعلية على أحد، وتسعى لخير الإنسان وعمارة الأرض لا تدميرها.

الشعر السوداني ومعالجة القضايا المعاصرة في الأمة الإسلامية (الشيخ البرعي السوداني أنموذجاً)

كلية التربية - جامعة كسلا

أ.د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي

المستخلص:

يهدف هذا البحث للحديث عن النص الشعري ودوره في معالجة قضايا الأمة الإسلامية، وذلك باتخاذ الشيخ عبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي نموذجاً، حيث تعرض البحث للنصوص الشعرية التي استخدمها الشيخ البرعي، معالجاً بها قضايا الأمة الإسلامية المشتركة، كقضية توحيد الله جل وعلا، والتعريف بالنبي ﷺ، وغيرها من القضايا التي تربط بين السودان والعالم الإسلامي. ومن ثم تحدث البحث عن دور شعر الشيخ البرعي في تسجيل الأحداث الإسلامية المعاصرة، وتعرض لعدد منها. واستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، المتبع في مثل هذه الدراسات. وقد توصل الدراسة لعدة نتائج أهمها أن للشعر الإسلامي دور كبير في لدفاع عن الدعوة ونشرها منذ العصر الأول، وأن الشيخ البرعي في شعره تناول عدداً من القضايا المشتركة بين السودان والعالم الإسلامي، كمحاربة العادات الضارة بالمجتمع والختان الفرعوني والعزوف عن الزواج والتكالب على الدنيا والتعامل بالربا وغيرها، أن قصائده وترجمت للغات الأخرى كاللغة الإنجليزية. وأوصى الباحث بعبدة توصيات أهمها قيام مؤتمر سنوي للادباء السودانيين، وإنشاء مركز أبحاث باسم الشيخ البرعي رحمه الله لاستفادة من منهجه في نشر الدعوة وحفظ تراثه الأدبي.

الكلمات المفتاحية: الشعر - القضايا - الأمة - الإسلامية - البرعي

Sudanese poetry and addressing contemporary issues in the

(Islamic nation (Sheikh Al-Borai Al-Sudanese as a model

Prof. Haj Hamad Taj Al-Sir Haj Hamad Muhammad Al-Bouladi

Abstract:

The purpose of this research is to talk about the poetic text and its role in addressing the issues of the Islamic nation, by taking Sheikh Abd al-Rahim Muhammad Waqi Allah al-Borai as a model. The research presented the poetic texts used by Sheikh al-Borai, addressing the common issues of the Islamic nation, such as the issue of the monotheism of God Almighty, and the introduction to the Prophet. May God bless him and grant him peace, and other issues that connect Sudan and the Islamic world. Then the research talked about the role of Sheikh Al-Borai's poetry in recording contemporary Islamic events, and presented a number of them. In this study, the researcher used the descrip-

tive analytical method, which is followed in such studies practiced in such studies. The study reached several results, the most important of which is that Islamic poetry has a major role in defending the call and spreading it since the first era, and that Sheikh Al-Borai in his poetry addressed a number of common issues between Sudan and the Islamic world, such as fighting harmful customs in society, Pharaonic circumcision, abstaining from marriage, preying on the world, dealing in usury, and Other than that, his poems have been translated into other languages, such as English. The researcher recommended several recommendations, the most important of which is holding an annual conference for Sudanese writers, and establishing a research center in the name of Sheikh Al-Borai, may God have mercy on him, to benefit from his approach in spreading the call and preserving his literary heritage.

Keywords: poetry - issues - nation - Islamic - Al-Borai

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .
ثم أما بعد...

لقد اهتمت الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى بالشعر وبينت أثره في الدعوة، وأعلنت شأن الشعراء الذين يدافعون عن الدعوة، ويذبون عن نبيها، ويعلمون من شأن القيم الإسلامية السمحة، وذلك لما للشعر من أثر في البيئة التي انطلقت في رحابها الدعوة الإسلامية، وقد واكب الشعر الإسلامي الدعوة وعاش معها في كل مراحل تطورها المختلفة، وحمل الشعراء على عاتقهم عبء الدفاع عن دعوة للإسلام، والتبشير بالمبادئ والقيم والأخلاق التي دعا إليها النبي ﷺ، ونشروها في مجتمع كان الشاعر هو وسيلة الإعلام الأولى والوحيدة فيه، وكانت الأمية هي السائدة في جنباته وأركانه، فكان لهم القدح المعلى في نشر الإسلام والدفاع عنه في كل أرجاء ذلك العالم الجاهلي حتى تنور بنور الإسلام .

التعريف بالشعر الاسلامي وأثره:

وقد برز من كبار أصحاب النبي ﷺ شعراء، خاضوا معارك الدعوة والدفاع عنها، في ميادين القتال، والتعليم والإرشاد، فنظموا الشعر وانشدوه تبشيراً وإنذاراً، مما كان له تأثير في نفوس الأعداء، وأثر في معنويات الصحابة رضي الله عنهم عند الدفاع عن الدعوة بكل السبل المتاحة إذ ذاك ومنها الشعر، فكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، يقدم الصورة المثلى للشاعر الصادق مع نفسه المدافع عن مبادئ

دينه، المضحي بنفسه في سبيله، فأصبح مع إخوته من شعراء الاسلام نموذجاً يحتذى، ومثلاً يضرب، ونبراساً يهتدي به من بعده من الشعراء، وجاء بعده كثر أمثال عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث رضي الله عنهم وغيرهم. ومن قبلهم كان حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي يعتبر مدرسة متقدمة في الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتعريف بالنبي ﷺ، والذب عن آل بيته الطيبين المطهرين، وفي الرد على الكفار والمتطاولين على الدعوة، فيعرف بالدين الجديد ويبين مبادئه وينشر قواعده، ويفخر ويفتخر بالنبي - ﷺ - في كثير من أشعاره، وديوانه مليء بشتى ضروب الشعر لأنه كان قريباً من المصطفى ﷺ، فانظر إليه عندما يقول وهو يتحدث أبا سفيان بن الحارث الذي هجا رسول الله، يقول حسان بن ثابت في أبيات مشهورة: (1)

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءً
أتهجوه ولست له بكفؤ فشرُّكمَا لخيركمَا الفداء

واصبح الشعر الإسلامي ينمو ويتطور وينتشر بانتشار الدعوة، ويدافع عنها ويتبنى قضاياها في كل مراحلها، وهنا برز فحل من فحول الشعر العربي ذائع الصيت، ألا وهو كعب بن زهير الذي انشد قصيدته بانث سعاد في حضرة المصطفى ﷺ، ونال ما نال من الشهرة والعطاء بهذه القصيدة الفريدة، واغراضها التي صارت منهاجاً ومنهاجاً للشعراء من بعده الا وهي قصيدته التي يقول فيها: -- (2)

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وصارمٍ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عِنْدَ الْلقاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ

ومن ثم انتشر الشعر الإسلامي في أنحاء العالم، بعد العصر الأول وعصر بني أمية، وعندما جأت الدولية العباسية في فتراتها المختلفة، كان للشعر دوره في نشر الإسلام والتبشير بمبادئه وقيمه في المجتمعات الجديدة التي دخل إليها الدين الإسلامي، وأصبح للشعراء مكانة بارزة عند الملوك والأمراء، واجريت عليهم العطايا والجوائز والحوافز، وذاع صيتهم من بين الناس، وحتى في فترات الاختلافات المذهبية كان الشعراء هم من يقودون الجماعات العقدية المتناحرة، فالشيعة شعراء هم، وللخوارج شعراء هم، ولآل البيت من يدافع عنهم، ولبنو أمية من يتبنى آراءهم، وغير ذلك من الجماعات السياسية والفكرية. وفي الفترات المتأخرة من حياة الأمة الإسلامية، وبعد أن تقسمت الأمة لدويلات، وغزاها الأعداء، وصارت كل دولة تهتم بأمرها في معزل عن الأخريات، وظهر أثر أعداء الإسلام في داخل المسلمين، وبعد ضياع فلسطين، و ظهور الدعوات الإلحادية، والشعوبية القومية، والرأسمالية المادية، والوطنية الضيقة، انفصلت الأمة عن بعضها، وانتشرت الحروب بين بعضها البعض، فبرز شعراء كل واحد منهم يدعوا لما يعتقدونه، ويسئ إلى غيره وينتقص من قدره، فتفرقت الأمة الإسلامية إلى فرق كل واحدة ضد الأخرى، ولكن خيار الأمة وطليعتها الفكرية من شعراء، وأدباء ومفكرين من كان همهم الأمة، وجمع كلمة المسلمين، لم يقفوا مكتوفي الأيدي فدافعوا عن وحدة الأمة بالأدب والشعر، عبر كافة ضروب الأدب، وصاروا يعالجون قضايا الأمة من خلال القصيد والمديح، ويضعون رؤيتهم تحذيراً وتفيراً، أو تبشيراً وتنذيراً في ما استجد من قضايا أمتنا المعاصرة، ويؤيّنون فيها حكما لمولى جل وعلا، و يعرفون بالنبي ﷺ ومعجزاته وشمائله من خلال الشعر (المديح النبوي)، و ينظمون

الشعر في مناقب الصحابة رضي الله عنهم ومواقفهم في نشر الدعوة ، ومدحون القيم الإسلامية الفاضلة لتنتشر بين الناس ، ويدافعون عن وحدة الأمة كلها ، وينفعلون بالمستجد من قضايا الإسلام والمسلمين، ولعل الشيخ عبد الرحيم محمد وقيع الله المشهور بالبرعي رحمه الله ، هو العلامة الفارقة في الأدب والشعر والمديح الذي تناول قضايا الأمة المعاصرة ، ووضع لها العلاج ، مع أنه لم يكن شاعراً مبدعاً فقط، ولا أدبياً مفوهاً فقط، ولا كان بليغاً من أهل البلاغة فقط، بل هو صاحب مشروع نبوي شرعي الهي ، استخدم كل وسائل تحقيق هذا المشروع ، فبنى المساجد ، وأنشأ الخلاوى لتحفيظ القرآن ، وعقد الزيجات لمكافحة العنوسة ، وأقام المشاريع الزراعية ، وبنى المدارس والمعاهد الحرفية ، وكان صاحب أدب يدرس ، ونكتة لها معنى ، وقصائد سارت بذكرها الركبان ، وخطيب له مفردة خاصة ، كل ذلك سعيًا منه لغرس القيم النبوية ، ولبعث الأمة الإسلامية للرجوع للمنهج الصافي ، وحتى يصل بالأمة للتمسك بوحدها والحفاظ على دينها ، وهنا نركز على استخدامه للشعر في علاج قضايا الأمة الإسلامية عامة ، وعلاجه لمشكلاتها المعاصرة ، في نظم فريد ومعالجة رقيقة ، وعبارات عذبة ، وإشارات لطيفة .

التعريف بالشيخ عبد الرحيم البرعي وجهوده:

الإسم والمولد :- هو العالم الباهر ، والعلم الظاهر ، فريد عصره ونسيجه وحده ، الشاعر المجيد الفذ ، والخطيب المفوه الجد ، والأب المربي الجليل ، والشيخ العابد الزاهد ، والمصلح الإجتماعي الفريد ، صاحب الكلمة العذبة ، والمفردة الجميلة ، والنكتة الحاضرة الجميلة ، الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ محمد بن الشيخ وقيع الله المشهور بالبرعي ، نسبة إلى عبد الرحيم البرعي اليماني.⁽⁴⁾ ولد الشيخ عبد الرحيم البرعي بقرية الزربية في العام (1923م) و الزربية التي تبعد حوالي مائة كيلو متر شمال شرق مدينة الأبيض حاضرة ولاية شمال كردفان وهي قرية سودانية تقع في منتصف خريطة السودان الجغرافية، وتتبع لولاية شمال كردفان، و تبعد من مدينة الأبيض حوالي (100) كيلو متر ، كما تقع جنوب غرب مدينة الخرطوم وتبعد عنها بحوالي (300) كلم.⁽⁵⁾

أسرته:- والده الشيخ محمد وقيع الله ينتمي لقبيلة الكواهلة القاطنة في ضواحي مدينة المناقل بقرية (الشيخ عبود النصيح) في وسط السودان. وأمه من قبيلة الجعليين تنحدر من سلالة الشيخ سلمان العوضي بضواحي شندى شمال السودان. وقد سكنت أسرته في غرب السودان.

قرأ الشيخ البرعي القرآن على يد الشيخ ميرغنى عبد الله من أبناء الجعليين ، وبعد أن حفظه ، جلس لدراسة العلم على يد والده الشيخ محمد وقيع الله رحمه الله ، وقد كان والده عالماً بارعاً حفظ القرآن وقرأ على يد كبار علماء عصره ، وكانت تأتيه أمهات الكتب من كبرى دور النشر بالقاهرة ، وبيروت ، ودمشق وكان وقتها يطبع اسم الشخص المرسل إليه الكتاب على ظهره بماء الذهب .

بعد وفاة والده في العام (1944م) ، تولى مكان والده وخلفه في التدريس ، وعمره إحدى وعشرون عاماً . وبدأ بتطوير القرية (الزربية) وذلك ببناء مرافقها بالمواد الثابتة بدلاً من مباني (القش) البدائية التي كانت تتيحها بيئة المنطقة الرملية القاحلة ، مع بُعدها عن الأماكن الحضرية التي تتوفر فيها مواد البناء الحديثة واليد العاملة في هذا المجال ، مع الانعدام التام للماء الذي يستجلب من الآبار البدائية بالدلو ، وكذلك إنعدام المواصلات في تلك الأماكن ، فوسيلة المواصلات الوحيدة المتوفرة في ذلك الحين هي الدواب ، والتي

استخدمها الشيخ البرعي في جلب الحجارة من جبل يبعد عن الزريبة بحوالي 30 كلم لبناء المسجد ، و كانت الإبل هي الوسيلة التي يستجلب بها الشيخ مواد البناء ،والتي كان يشتريها الشيخ من الخرطوم وينقلها بالقطار إلى أم روابة ومنها بالدواب إلى الزريبة ، وهكذا وبهذه العزيمة وتلك المشقة استطاع البرعي أن يبدأ أولى الخطوات في مسيرة الدعوة والإصلاح في طريق لم يكن مفروشا بالورد،وقد صاحب هذا التطوير توسيع دائرة التعليم للرجال والنساء في خلاوي القرآن الكريم بالزريبة، وشرع الشيخ في بناء معاهد العلوم الإسلامية والمساجد في شتى مدن وقرى السودان ومنها الأبيض وام روابة وأم دم حاج أحمد وأم درمان والخرطوم ومدني والدويم وسنار وبارا والمزروب وبورسودان ونيالا وغيرها من الأماكن في السودان. ومع ذلك اهتم الشيخ أيضا بإقامة المستشفيات مثل مستشفى الزريبة التخصصي ومستشفى مجمع الخرطوم الإسلامي. وللشيخ دور كبير في مجال الإصلاح الاجتماعي من خلال إقامته عشرات المهرجانات التي تعقد فيها الزيجات الجماعية للفقراء من الشباب، حيث اقام اول زواج جماعي بالزريبة في عام 1963م بواقع 163 زيجة ، وكان المهر وقتها عشرة جنيهات للبرك وخمسة للثيب ،ومن ثم توالي قيام الزواج الجماعي الذي رعاه الشيخ حتى وصلت عدد الزيجات في اخر زواج جماعي اقامه الشيخ رحمة الله عليه(5000) زيجة ،ومنع الشيخ شرب الخمر الذي كان منتشرا في السودان عامة، وخاصة في الزواج ،ومنع قيام السوق في القرى المجاورة يوم الجمعة، ومنع عادة الإجتماع للبقاء والنياحة على الميت وهي عادة قديمة منتشرة في قرى السودان ، كما كان الشيخ يسعى في الإصلاح بين الأفراد والجماعات المتناحرة وشهد بنفسه مئات مجالس الصلح في شتى أنحاء السودان. ومع كل هذا الجهد نجد الشيخ البرعي يقرض الشعر في شتى ابوابه وفنونه، وشعره في مدح الرسول (ﷺ) و الوعظ والارشاد ومحاربة نزوح الشباب الى المدن والاغتراب وتعلم العلم وغيرها في شتى نواحي الحياة ، وقد اشتهر الشيخ البرعي بغزارة انتاجه من المدائح النبوية الشريفة التي وجدت اقبالاً واستحساناً في السودان والوطن العربي كله .⁽⁶⁾

علاقاته بأهل العلم والأدب:- للشيخ البرعي علاقات ممتدة ،زادت وتوطدت بعد قيام مسجده في الخرطوم ، ومركزه في أم درمان داخل العاصمة، مع ان مقره واستقراره الدائم كان بقريته التي صارت اليوم مدينة وهي الزريبة، فقد زاره فيها السيد محمد عثمان الميرغي زعيم الحزب الاتحادي الديمقراطي عدة مرات،وزاره فيها السيد الصادق المهدي رئيس حزب الأمة القومي ،وزاره الدكتور حسن عبد الله الترابي زعيم الاسلاميين في السودان ، وزاره الرئيس جعفر نميري والرئيس اسماعيل الازهري رحمهما الله،وزاره فيها الرئيس عمر البشير رئيس الجمهورية السابق ،ويترددعليه الشباب والشيخوخ والنساء من كل بقاع السودان مما يدل على حبه وعدم تحزبه لحزب أو جماعة معينة ،مع سلوكه للمسلك الصوفي الشرعي النبوي ،والتزامه بالمذهب المالكي في دروسه وتعليمه و معاهده، وله علاقات مع الأدباء والشعراء خاصة البروفسر عبدالله الطيب المجذوب رحمه الله وبينهما زيارات ومساجلات ادبية،وله علاقة متينة بالشاعر الفذ الراحل عبد الله الشيخ البشير شيخ شعراء السودان وله قصيدة في الشيخ البرعي،وله علاقات مع الشاعر الكبير فراج الطيب السراج رحمه الله وكان قدزار الشيخ في الزريبة عدة مرات،وله علاقات خارج السودان ومكاتبات مع الشيخ محمد بن علوي المالكي رحمه الله والشيخ حسن المشاط بالحرم المكي ،والعلامة اليمني اسماعيل الزين ،وفي الأردن تعرف الشيخ بالعلامة حازم أبوغزالة، وتعرف على الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ وغيرهم من أهل العلم و الأدب والشعر في السودان وخارجه .⁽⁷⁾

تكريمه :- (8)

لقي الشيخ البرعي كثيرا من معاني التكريم والتبجيل طوال مسيرة حياته العامرة ونال أرفع الأوسمة والأنواط من مختلف الجهات ونذكر هنا على سبيل المثال:

- وسام الدولة (وسام الجمهورية) للعلم والآداب والفنون (1991م).
 - نوط الامتياز من الطبقة الاولى من الرئيس المصري محمد حسني مبارك (1993م).
 - برقة المديح من الرئيس الليبي معمر القذافي.
 - الدكتوراة الفخرية من جامعة أم درمان الإسلامية 1986م
 - الدكتوراة الفخرية من جامعة الجزيرة 1994م
 - الدكتوراة الفخرية من جامعة النيلين 2001م
 - الدكتوراة الفخرية من جامعة كردفان 2006م
- دواوينه الشعرية:-⁽⁹⁾ للشيخ عدد لا يحصى من القصائد لم يتم حصرها وجمعها كلها نسبة لطول العهد بين بداية كتابة الشيخ للشعر في عام (1930م) وحتى وفاته في عام (2005م)، ولكن الموجود الآن من هذه القصائد ربما يزيد عن مائة ديوان شعري، وقد قام مركز (الأسباط) بجمع هذه القصائد ونشرها وتم حتى (2009م) نشر عدد من الدواوين نذكر منها على سبيل المثال :-

- أ. : بهجة الليالي والايام في مدح خير الانام، وهو اول دواوينه جمع مركز الأسباط .
- ب. : رياض الجنة و نور الدجنة الذي صدرت منه الطبعة الاولى عام 1967م وصدر الجزء الثاني 1991م والطبعة الثالثة بتحقيق عبد الرحيم الحاج أحمد (مركز الاسباط) .
- ج. : كتاب منظومة هداية المجيد في علوم الفقه والتوحيد .
- د. : ديوان مصر المؤمنة
- هـ. : ديوان ليك سلام مني
- و. : ديوان الطلع النضيد
- ز. : الجوهر الأسنى - The voice from heaven وهي مجموعة قصائد للشيخ البرعي قام بترجمها الدكتور إدريس عبدالله البنا.
- ح. : ديوان الصحابة، الناشر مركز الأسباط للإنتاج الإعلامي والنشر، الخرطوم. الطبعة الأولى 2003م جمع وتحقيق عبد الرحيم حاج أحمد.
- ط. : بوريك طبك
- ي. : وعدة دواوين مثل :-سيد هوازن - أعلام الطريق - القوم.

وفاته :- (10)

وبعد هذه الحياة الحافلة بالجهد والجهاد، انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى في يوم السبت العاشر من محرم (عاشوراء 1426هـ) الموافق 19/2/2005م، وقد ووري جثمانه الطاهر بمنطة الزربية بجوار قبر والده الشيخ محمد وقيع الله رحمهم الله جميعا. وقد نعته وسائل الإعلام المحلية والعالمية مثل الاذاعة السودانية وتلفزيون السودان، وقناة الجزيرة، وموقع الجزيرة نت، ووكالة الشرق الاوسط، وهيئة الإذاعة البريطانية، والقنوات المصرية، ومجلة الأهرام العربي، وصحيفة الاندبندت البريطانية وغيرها.

القضايا المشتركة بين السودان والعالم الإسلامي التي تناولها الشيخ البرعي:

إن الأدب الإسلامي عموماً، والشعر خاصة كان له دور كبير في ربط شعوب الأمة الإسلامية وجدانياً، وجعل احساس الشعوب بالوحدة أكثر من الحكام والتخب المتغربة، وهذه هي رسالة الاديب المسلم كما سطرها الاديب الاريب طاهر العتباتي حيث قال: (إن الأدب الإسلامي يجب أن ينغرس في هموم الواقع الذي يحياه المسلمون على المستوى الفردي و الجماعي والعالمي ، ويمكن أن يكون موضوعه أي موضوع في أي جانب من جوانب الحياة البشرية ، وكذلك الكون كله بسمائه وأرضه وأفاقه ،وبعالمه الغيب والشهادة .. كل ذلك مما يجب على الأدب الإسلامي أن يتناوله ويضرب فيه بسهم)⁽¹¹⁾. وكأني به يعني ويقصد الشيخ البرعي العالم العابد الزاهد المصلح ،الذي تناول كل هذه المعاني في شعره، رابطاً بينها وبين قضايا الأمة الاسلامية المعاصرة في مزج شفيف ،وظل خفيف وعذوبة بلاغية قل أن تجتمع لشاعر من أهل الهوى لايحمل هم دينه وأمته وأهم القضايا المشتركة بين أهل السودان و الأمة الإسلامية التي عالجهما الشيخ البرعي هي :-

1. الدعوة إلى توحيد الله جل وعلا :- وذلك لان التوحيد هو جوهر حياة المسلم ،ويعتبر من أكثر القضايا التي حدث فيها خلاف بين علماء الأمة، فصار النقاش فيها يثير خلافاً كبيراً ،فيلخصها الشيخ في سهولة ويسر ، فاذا علم الفرد والامة أن الله هو الواحد الأحد الضار النافع ،وأن مقاليد الأمور كلها بيده ، توجهت اليه الامة كلها وتوكلت عليه ،وركنت اليه دون غيره ،فانظر الى البرعي يدعوا لتوحيد الله جل وعلا ، وتنزيهه عما لا يليق به ، وإفراده بالوحدانية ، وأنه لاصحبه له ولا ولد ،ويمنع النظر لله بالعقل ويبين أن العقل يجب أن ينتهي عن الحديث في هذا الأمر فيقول:-⁽¹²⁾

أنهي النهى في صبحه وبيانه	لله عما لا يليق بذاته
هو أول هو آخر هو واحد	في ذاته أفعاله وصفاته
فالكل مفتقر إليه وحادث	وهو الغني بنص مقتضياته
لم يتخذ ولداً وصاحبة ولم	يولد تعالى الله في سبحاته

الى أن يقول :-

إرساله للرسل ليس بواجب *** بل رحمة من فضله وهباته

وفي قصيدة أخرى بعنوان (الله والكون) يقول :-⁽¹³⁾

أفتح لعينك وانظر هل ترأحدا سوى المهيمن فعالا ومختارا
إلى أن يقول-

يا أيها الملحدون استيقظوا وذروا	سوء العقائد أوهاما وأسحارا
هل كان لله في خلق السما شركا	أم في الذي كان فوق الأرض آثارا
كلا له ما فيهــــن من ملك	وكل ما كان ذا روح وأشجارا
زبر الحديد صنعتهم منه أسلحة	وكهـرباء وصاروخا وطيـارا
توبوا إلى الله قبل الموت وانتبهوا	وقدموا بوجود الله اقـارا
واستغفروا الله فالشيطان يأمركم	بالسوء بل وهو اكـم كان أمارا

2- التعريف بالنبي ﷺ والدفاع عنه وأصحابه رضي الله عنهم:- ومن القضايا التي تناولها الشيخ البرعي ففي دواوين هي مدح الحبيب المصطفى، والتعريف به ، وبشماله ، ومناقب أصحابه ، فقد أصبح الجهل بسيرة النبي ﷺ ، ودور أصحابه في الحياة من بعده ، عجيباً وغريباً ، مما أبعد الناس عن سنته ، فتجد العامة يعرفون الفنانين ، ويحفظون أسماء الأعيان ، والممثلين ولكن لا يذكرون حتى اسم نبيهم ، ولا يحفظون اسم واحد من أصحابه ، لذلك نبه الشيخ البرعي لذلك فيقول معرفاً بمقامه ﷺ:-⁽¹⁴⁾

فإن كان نوحا بالسفينة ناجيا	فياسين بالذكر الكريم حصونه
وإن كان ابراهيم فاز بخلة	فهذا حبيب الله وهو أمينه
وإن كان داوود الحديد لبوسه	فعصمة مولانا لطفه تصونه
وان ناجى موسى ربه فوق طوره	هذا نجي العرش والكل دونه
وان أحياء عيسى من يموت فأحمد	له قد بكى جذع وطال حنينه
إذا كتب الماضون تاريخ قومهم	كتبت مزايا من علا الكل دينه

وله قصائد كثيرة يمدح فيها النبي ﷺ يقول في احداها بعنوان نزه سماعك:-⁽¹⁵⁾

واسمع مديح رسول الله من نصرت	صفوفه بأمين الوحي جبريل
سادت به عرب من قبله عبدوا	يا جهل أصنامهم ذات التماثيل
ظنوا المكارم في الانساب بل حسبوا	أن الفضائل في نهب وتقتيل
به استبان سبيل الحق متضحا	امرا وحكما بتحريم وتحليل
وقام بينهم دهرنا يعلمهم	ما للطهارة من ذلك وتخليل
دامت شريعته في الكون ظاهرة	بغير نقص وتحريف وتقليل
فنعته جاء في أي الزبور كما	قد جاء في أي تورا وانجيل

ويفرد الشيخ البرعي ديوانا خاصا اسمه (ديوان الصحابة) بدأه بقصيدة (ثاني اثنين) ثم قصيدة خاصة لكل واحد من العشرة المبشرين بالجنة، ثم التعريف بأسماء المؤمنين، وقصيدة خاصة للسيدة عائشة رضي الله عنها، ثم قصيدة لكل صحابي على حدى، رضي الله عنهم يعرف بهم وبفضلهم ويتحدث عن مناقبهم، فيقول في ديوان الصحابة:-⁽¹⁶⁾

الصدیق ذو الإمامة	نفسوا مالک زمامة
لأعتق ود حمامة	وقتل صاحب الیمامة

ويقول في عثمان رضي الله عنه:-

ذو النورین خيرو واجد	جهز جيش العسرة ناجد
قانت قــــايم وساجد	جنگ الليل في المساجد

إلى أن يقول فيهم:-

قوما قال الله رحماء بينهم	يكرموا الضعاف يقضوا دينهم
قوما أكرمت للجيران تبر	نافين البخل والخوف والكبر
الينفق مثال أحد من تبر	لم يبلغ نصيف مدهم فاعتبر

وله قصائد في السيدة خديجة رضي الله عنها:-^(١٧)

ينبيك عنها بالحديث المسند	سل سيرة الحلبي بل سل مالكا
وسواهما كالترمذي وأحمد	وسل الصحيحين البخاري ومسلما
ولطيب معشرها وحسن تودد	ما زال يذكرها الرسول لخلقها
ماتت صواحبا بخير تفقد	بل كان يتحف بالهدايا بعد ما
كخديجة ذات الفخار الأمد	ما أبدل الله النبي بزوجه

٣- التذير من أطماع العدو الصهيوني:

وعلى الرغم من عدم اهتمام الشيخ البرعي رحمه الله بالسياسة، إلا أنه يعتبر قضية فلسطين هي قضية الأمة كلها، تشترك فيها كامر عقدي لا مناص منه، لأن العدو لا يطمع في فلسطين فقط، بل يريد دولة من الفرات إلى النيل، فهاهو يقول فيها:-^(١٨)

على العروبة تغزوهم على النيل	وهذه قوم اسرائيل قد ظهرت
نصرا من الله أو فتحا بتعجيل	أترجى أمة تأبى شريعتها

٤- الحرص على الصلاة المفروضة:

وهذه أبرز ما يجمع المسلمين، ويوحد كلمتهم، وقد نبه الشيخ مبكراً لظاهرة تخلي الناس عن العبادات عامة، ووالصلاة خاصة، وهي أهم الأشياء المشتركة التي تظهر قوة الأمة، لذلك أندر الشيخ البرعي ودعا لعدم تركها في الجماعة فيقول:-^(١٩)

في المسجد يا جماعة	الصلاة لاتفوتنا جماعة
كلا لي أولاد جماعة	نمشي فمرادى وجماعة

وفي قصيدة اخري بعنوان (اقم الصلاة) يقول :-^(٢٠)

عنها فلا تك إن عقلت بساهي	أقم الصلاة لوقتها يا لاهي
فيهاضمان الرزق عندالله	وامر بها ما دمت أهلك واستقم
وكذاك ركن بناء دين الله	إن الصلاة عماد دين محمد

٥- الدعوة لوحدة الأمة والتحذير من التفرقة:

ويدعو الشيخ لوحدة الأمة، ومساعدة الدول التي ينفرد بها الأعداء، ويظهر ذلك في قصيدته التي نظمها في العدوان الثلاثي على مصر عام (1956م) وما أحوج الأمة اليوم للوحدة، ومساعدة كل دولة مسلمة لأختها، وهي من أهم القضايا المشتركة بين المسلمين المطروحة الآن في الساحة فقد قال في تلك القصيدة:-^(٢١)

مدت اليها يد العدوان تكرارا	كانت لكم اسوة في جارة علمت
بسطوة أدهشت بالغرب أمصارا	لما أتها جيوش الظالمين سطت
أنالها كرما عزا وإكبارا	وجاءها النصر من عند الإله وقد

٦- علاج القضايا الاجتماعية الظاهرة:

وهناك بعض القضايا والأمراض الاجتماعية التي انتشرت في العالم الاسلامي كله، وتناولها الشيخ البرعي باعتبار أنها قضية مشتركة بين كافة أنحاء العالم الإسلامي، مثل انتشار الربا، والمسارح التمثيلية،

والسينما والإنشغال بالرياضة، والسفر للسياحة في البلاد الغربية فيقول في إحدى قصائده:-⁽²²⁾

يا من عدلتم بغي عن شريعته	قد اغتررتم بوسواس وتسويل
تعطلت بملاهيكم مساجدنا	والمسرح القومي في شغل وتشغيل
دار الرياضة قد اضاقت مساحتها	بأهلها وهي نحو الكيلوا والميل
ويهرعون لدار السينما أمما	ليدرسوا فيها إجراما بتسجيل إلى قوله
وكم أبحتم حراما والربا انتشرت	بنوكه فهي في صرف وتحويل
وكم جهلتم شهور الدين فاندurst	لتعلموا أشهراً أخرى كإبريل
للصين والهند زرتم غير مكة بل	وللولايات أيضاً والبرازيل

فانتشار السفر من أجل السياحة، وترك الحج والعمرة قضية تستحق الوقوف عندها، وتغيير هوية الأمة بتلك الأشهر العربية من محرم وصفر وربيع، بأشهر ميلاد المسيح أمر خطير تنبه ونبه له الشيخ مبكراً وهكذا.

٧- الإهتمام بقضايا العالم الاسلامي السياسية:

واهتم الشيخ البرعي بقضايا العالم الاسلامي السياسية، مثل العدوان على مصر، و حرب الخليج الثانية حيث قال في قصيدة طويلة عام (1990م) قال:-

زيل جفافنا وحرب الخليج كمان**نبق في حماك بالفوز والضمان
وعند غزوهم للعراق قال :-

بوش يبقى شربوا حميم*** واجعل عظام رميم
ويقول في قصيدة أخرى :-

الأمريكان ياسلام لا يهدموا الإسلام

٨- الآداب الاسلامية المشتركة:

تحدث الشيخ البرعي عن سلوك المسلم الذي يجب أن يسلكه في كل بلاد العالم، والصفات التي يجب أن يتحلّى بها، كالذكر والخوف من الله والإلتزام بشرعه، وغيرها من الآداب المشتركة بين المسلمين ففي قصيدة حلقات الذكر يقول:-⁽²⁴⁾

طهر جنانك بالأذكار مع فيكا	وزل بها كل عيب كامن فيكا
الذكر خير من الإنفاق من ذهب	ومن جهاد وعق عنه ناهيكا
جالس أولي الخير واستأثر مودتهم	إن لم تجدهم فذكر الله يكفيكا
فالصالحون اذا جالستهم نفعا	بين الوري وجليس سوء يؤذيكا
وقف على قدم الآداب منكسراً	مع التواضع لا تنسى مساويك
رُدّ الحقوق لأهلها على عجلٍ	حتى ولو أنّها كانت مُساويك
اعرف حقوق الذي يعلوك منزلةً	أو كان دونك أوأضحى مُساويك
واصبر على طاعة الرحمن تلقى بها	كلّ المواهب واصبر عن معاصيك
ولا تُردّ زينة الدنيا وزُخرفها	فإنها هي من احدى بلاويك
وخالف النفس والشيطان إنهما	أعدى عدو سعى دهرًا يُمنيك

واحذر هوى النفس إن النفس أمرٌ
وعش إذا ضنت الأيام مقتصدًا
بالسوء واحذر الشيطان يُغويك
واعلم بأن كثير المال يُطغيك
عليك بالكنز بعد الفقر يُغنيك

٩- الحث على تعلم اللغة العربية:

باعتبار أنها لغة القرآن، وقد لاحظ الشيخ العزوف عنها وعن تعلمها وتعليمها، مع انتشار تعلم
الغات الأخرى من انجليزية وفرنسية، ففهم الشيخ أن ضياع اللغة العربية هو ضياع لهوية الأمة، فحث على
تعلمها في نظم ميسر ولفظ سهل فقال:-(25)

علم النحو والإعراب	لغة المصطفى العربي
هيا بينا يا طلاب	علم النحو والإعراب
لا يفوتنا أول باب	من كلامنا العربي
المضارع والماضي	ثم الأمـر يا راضي
اقرأ غير إعراض	مرفوعات الأسـما صبي

أن ولن إذن مع كي	قل لام الجحود ولام كي
حتى أو والواو يا أخي	والجواب بالفـاء يا أبي
أخـوات كان معروفات	أيضـا إن والأخوات
مع ظننت فهي أداة	البـيان قل حسبـي

جمع التكسير يا سالم	والمـذكر السـالم
والمؤنث السـالم	والمبتدأ ليس غـبي
باب النعت والعطف	والتوكيد والحـذف
والمفعول به يكـفي	باب الرفع والنصب
ثم الخمسة الأسـما	والأفعـال يا أسـما
نلت حـالا به أسـمى	وقلت قـولا كالـذهب

وهكذا فقد تناول الشيخ عبد الرحيم البرعي عددا من القضايا المشتركة مع العالم الإسلامي، وهي في
دواوينه أكثر من أن تحصى أو تستقصى، مما يدل على انفعاله بقضايا الأمة الإسلامية، ومساهمته في حل
القضايا المستحدثة المعاصرة في حياة الأمة عامة، وبلاد السودان خاصة .

دور شعر البرعي في تسجيل الاحداث الاسلامية المعاصرة:

الشاعر هو لسان قومه، يدافع عن قضايا أمته، ويتفاعل مع الحياة العامة لوطنه وعالمه الذي ينتمي
إليه، ويجب أن لا يكون بمعزل عن محيطه الذي يعيش فيه، فما بالك إن كان هذا الشاعر صاحب مشروع
يهدف به لإصلاح الأمة جمعها، مع علمه أن له عقيدة مستهدفة من جهات عدة، و يفهم تماماً أن دينه يمتد

بامتداد إنتماءه ، فيعتبر كل الكون هو أرضه ، وكل فرد في الدنيا يجب أن تصله دعوة الدين الإسلامي ، وهذا هو الهدف الأسمى للأديب المسلم والغاية للأدب الإسلامي (إن الأدب الإسلامي مطالب أن ينقل لنا الروح الإسلامية في كل ما يطرحه من موضوعات ، وليختَر بعد ذلك من الموضوعات ما يشاء ، وليكن علاج هذه القضايا المطروحة من خلال المنظور الإسلامي والتصور الإسلامي الصحيح . فإذا كانت روح العمل الإسلامي الأدبي روحاً إسلامية يمكن استشعارها من خلال الاقتراب من النص الأدبي والإحساس بها في كل تفاصيله وجزئياته فإن الكون كله مجاله الواسع ، والحياة الاجتماعية بكل تفصيلاتها وبما فيها من خيرٍ وشرٍّ .. كل ذلك يمكن أن يكون موضوعاً للأدب الإسلامي)⁽²⁶⁾ ولهذا كان للشيخ البرعي رحمه الله دوراً كبيراً في تسجيل كل الأحداث التي وقعت في عصره، وشارك وضع العلاج لها وفق المنهج النبوي ، فبرزت في قصائده عدد من الأحداث التي حدثت للأمة الإسلامية، ولعل أبرز ما تناولته الشيخ هو ما شاع من فتن هذا الزمان ، فانتشر الظلم بين الناس ، وظهر السفهاء وأصبحوا هم أهل الحل والعقد ، وصارت النساء في كل أمر لهن أمر ، غناء ورقص وتبرج وغير ذلك ، وانتشر القتل في العالم والنهب ، وتناول الربا ، ونقض العهود ، وغيرها من الفتن التي نهى عنها النبي ﷺ وظهرت في زماننا وتناولها الشيخ ونبه عليه لاصلاحها حيث يقول في قصيدة طويلة:-⁽²⁷⁾

تزدو في المساء وفي البكور	بتقوى الله والعلم الضروري
ولا تشرك فإن الشرك ظلم	يحيق بكل ظلام كفور
ذر السفهاء والنسوان واحذر	ولاة الأمرع أهل الدثور

إلى أن يقول -

إله الناس إنا في زمان	مليئ بالمصائب والشرور
فشا العصيان من نهب وقتل	وأكل ربا وإدمان الخمرور
وباعوا الدين بالدنيا وضلوا	ولم يوفوا بعهد أو نذور

وفي قصيدة أخرى يتناول إنتشار شرب الخمر والمخدرات ، حتى أصبح يظهر للعيان مراكز الشفاء والإستشفاء منها ، وهذا ما حذر منه الشيخ مسبقا فها هو يقول :-⁽²⁸⁾

والساعة العظمى طلائعها بدت	كم من علامات ومن أشرط
ظهر الفساد ببرنا وبيحرنا	كم مدمن لخموره ومتعاط
وسـواه سماعون للكذب	الذي يروى من النجام والخطاط
كم آكل للسحت لما والربا	لم يخش حربا من غير مناط

وفي قصيدة أخرى يشرح حال بعض المعاصرين في بلاد المسلمين، الذين الذين رفضوا منهج النبي ﷺ، وكرهوا اتباع الحق ، فأكلوا الربا، وتركوا الزواج الشرعي واستحدثوا أنواعا من الزيجات الحرام، وصاروا يستهزؤون بالحجاج وأهل العمرة ، وينظمون رحلات سفاري للسياحة والترفيه ، فيقول :-⁽²⁹⁾

مرضت نفوس الناس حتى أنهم	كرهوا اتباع الحق والمنهاج
ركنوا إلى الدنيا وتاهوا في الذي	انساهم الأخرى على استدراج
يتهافتون على الربا بضراوة وعلى	التكـاثر منه والإنتاج

ملئت بألوان الحرام بطونهم وتزوجوا سفها بغير زواج
كم شردوا المستضعفين فأصبحوا ما بين صاد في البلاد ولاجئ
يستبشرون برحلة غربية يستهزؤون بموكب الحجاج
ومن أهم القضايا المعاصرة التي تحدث عنها الشيخ البرعي رحمه الله إنشغال الناس بالسياسة،
والتحزب لأحزاب، والتعصب لها، والانتماء لاهلها فكتب منظومته (نحن والسياسة) التي يقول فيها:-(30)
تراني لا أميل إلى السياسة ولم أصحب مدى الأيام ساسة
لعلمي أن مبدأها نفاق تموه بالبلاغة والملاسه
يبيع الدين بالدنيا ذووها لنيل العز فيها و القداسة
فمن لي باللذين يؤاذروني لتطهير البلاد من النجاسة
ومن فقر وأمراض وجهل ومن علل البواطن كالشراسة
نقيم الحكم بالقران فيها ليحفظها بتشديد الحراسة
ويوصي البرعي بعض ابنائه بلسان الناصح لهم فيقول :-

يقول دوموا على أورادكم وعلى صفائكم وعلى إيمانكم موتوا
هذا هو الفوز لا المال الكثير ولا الملك الكبير بدنينا ولا الفيتو
ولا الغواني التي تسبي لوحظها ولا القصور العوالي والتوليت
يقول دوموا على أورادكم وعلى صفائكم وعلى إيمانكم موتوا
هذا هو الفوز لا المال الكثير ولا الملك الكبير بدنينا ولا الفيتو
ولا الغواني التي تسبي لوحظها ولا القصور العوالي والتوليت
وهاهو يهتم بأمر المزارعين عندما نزلت عليهم الجوائح في الزراعة ، فوصاهم بإصلاح الحال بطلب الغيث
والإستسقاء من الله ،والحرص على الإجتهد بمحاربة الآفات عنها، وبين لهم أنه اذا تم ذلك تصبح الأسعار
رخيصة والمعيشة سهلة فقال: (31)

تصلح للزرع بالطل والأمطار زيل عنه الجراد الطير ثم الفار
تسهل المعيشة من غلا الأسعار كافة المسلمين في سائر الأقطار
وعندما ضرب الجفاف بلاد السودان في (موجة الجفاف عام 1984) قال قصيدته المشهورة :-
زيل جفافنا في سنينا المجذبات***نبق طيين تلقى طيبات
ويسجل البرعي نصيحة لكل الامة ويطلق الدعوة لمجالسة الصالحين وأهل الخير، والبعد عن مجالسة
أهل الفسق، والإبتداع في الدين، ونهاهم عن ما انتشر في زماننا من مجالسة الأجنيبيات :- (32)

فيقول سفينة القوم بسم الله مجراها
جالس أولي العلم والتقوى وكن فطنا
والكلب فاز لما جالس الصلحاء
وذكره جاء في القرآن نقرؤه
ولاتجالس غنيا فاسقا وكذاك
الأجنبية يعمي القلب رؤياها

وكاذبا وسفيها ثم مبتدعا** مجاهرا بفسوق أغضب الله وعالج الشيخ مايقوم به حجاج بيت
الله ، من تناول للطيبات وترك الزهد ، فقد لاحظ الشيخ اهتمام الحجاج وإكثارهم من الطيبات ، والإنشغال
عن العبادة فقال:-

في ولاتتبع لشهوات النفوس ودع حـب الترفه والمتاع
ولا تملاً لبطنك من طعام وفاكـهـة وألبان المراعي

وقد كتبت هذه القصيدة في المملكة العربية السعودية، في أيام الحج ، وألبان المراعي هنالك مشهورة
وقد رأى الشيخ الإسراف في تناولها فنظم هذه القصيدة وانتشرت في بلاد السودان .⁽³³⁾
ومن القضايا التي عالجها الشيخ رحمه الله ، قضايا المرأة والاحسان اليها وحفظ حقوقها ، وعدم
ظلمها في العلم والميراث ، والدعوة لإكرامها ، فقال:-⁽³⁴⁾

مهما دمت لاتظلمها والدين الحنيف علمها
من نعامك لاتحرمها وارع حـرمـتها وأكرمها

وكذلك تناول الشيخ البرعي رحمه الله ، ما ساد في العالم الإسلامي من العادات الضارة وأشهرها قضية
الختان الفرعوني المنتشر في كثير من بلاد العالم الاسلامي ومنها السودان يقول :-

بلحـــــــيل اعتنوهن بالطيـــــــب افتنوهن
في الـــــــدين متنوهن قط لاتختنـــــــوهن
قـــــــال من عندوا خبة قطعـــــــوا جريمة كبرى
تدفـــــــح دية جبرا قـــــــبال جرحوا يبرا

ومن أهم القضايا التي تطرق لها الشيخ البرعي رحمه الله، ونهض لها وقام بها هي نشر الإسلام في
بلاد الغرب وقد زار الشيخ عدد من البلدان ودعا لنشر العلم والذكر الحكيم فيها، ويعدد ويذكر اسماء الدول
بعينها والمدن بأسمائها، ويدعو المسلمين للإهتمام بذكر الله فيها ، لأن دين الله دين يسر وإذا اهتم المسلمون
بالذكر والتمسك به في كل حال ، كان ذلك سببا من اسباب انتشار الإسلام ، فها هو يقول:-⁽³⁵⁾

نذكر الله جوة لندن بابكر ليـنا صـاح ودندن
الكفوف بالعطاء يندن كي نبشر بالـــــــدين جنـدا

ويقول في قصيدة اخرى :-

نذكر الله في المانيا ثم في النمسا وفي اسبانيا
اذكر فاس وموريتانيا جوة امريكا مرة ثانية

وقد سجل البرعي بعض الأحداث التي كانت مشهورة في شعره مثل فتنة حرب جنوب السودان قال :- (36)

بحق وجوها دنقرن ساجدات وفي الدجى صنقرن
بخشوع لك القرآن قرن دمعهم على الخدين قرن
أكفينا فتنة جون قرن

والدنقر هو الركوع عند أهل السودان في عاميتهم ،والصنقر هو الجلوس ، وجون قرني هو قائد المتمردين في جنوب السودان ، وكان من أثر هذه القصيدة ان قرني سمعها من أحد الشماليين ،وعندما تقابل مع الشيخ البرعي وكان قد طلب مقابلته ، شكره وقال له أنت لم تدعوا علي ولم تسيئ إلى بل طلبت صرف الفتنة فقط. والشيخ يسجل الاحداث وعندما ضربت المجاعة بلاد السودان في عام (1988) جاء الامريكان بالاغاثة فنظم الشيخ قصيدة يحث فيها للتوجه إلى الله وطلب الغوث منه وان يغنيهم الله من اغاثة ريغن وهو الرئيس الاميركي الاسبق (رونالد ريغان) الذي جاء بالاغاثة للسودان اذا ذاك فقال:- (37)

ثبت لا نلوح غربا وتشريقا *** اغنينا بفضلك من عيوش ريقن
ويحذر أهل الاسلام من المعونة التي تأتي من بلاد الغرب فيقول :-

لاتستعينوا بغير المستعان ولا - - ترضوا المعونة ممن كان كفارا

وهاهو يسجل حدث دخول الامريكان العراق الشقيق ، فيظهر عداوته لهم ويحذر منهم فيقول :-
الأمريكان يا سلام **** لايهدموا الاسلام

ويدعوا على الرئيس الاميركي :- بوش يبقى شربوا حميم *** واجعل عظاموا مميم

وعندما نزل الزلزال ببلاد المسلمين ومنها السودان كتب قصيدة بعنوان (من هزة الارض) فقال :- (38)

متوســــــلين ليكا بالــــــساجدين ليكا
الأرض تحــــــريكا يزــــــعج لاميكا

وعندما كثرت حوادث الطائرات قال :-

في الحمى المأمـن لينا واري من أذى الطائــــرات واللواري
أمــــن البلدان من بوار زلـزة وقانــــون الطواري

فهو يسأل الله أن يواريه في البلد المأمون من الشر وهو بلاد الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) ولا يميته في طائرة أو لوري وهو العربة الكبيرة ، وأن يثبت الأمن في كل البلاد من الزلزال، وقانون الطوارئ وهو لا يطبق لا زمن الحروب والفتن .ويواصل البرعي في مواكبة الأحداث المتسارعة في عصره ،يبين الحق ويدعوا بإشارة لطيفة لعلاجها ، وها هو يشرح امراض المجتمع فيقول عندما انتشر السوق الاسود في بلاد السودان ،قال :- (39)

تمــــــر المدينة الأسود مفوش لاحمر وأســــود
للناس عموــــم لــــما فيه ســــوقا أسود

ومن القضايا المعاصرة التي عالجها الشيخ البرعي السوداني هجرة الشباب للعمل في الخارج فقال في ذلك :- (40)

ازادك من التقوى خلي اضطرابك
ويقول في أخرى :

لا تهاجـــــر تغترب
ويقول في أخرى :-

الغربة أمـــــر خطير
رزقـــــك خمير فطير

ويبين للشباب الموارد المخزونة في بلادنا حتى يمنعهم من السفر فيقول:-

رب بلدنا كبر دخلو *** من بتولوا زرعو ونخلوا

وهكذا فقد تابع الشيخ البرعي رحمه الله كل الأحداث المعاصرة في زمانه ، وتفاعل معها ونظم فيها شعرا رصينا ، يدعوا لترك القبيح منها ويحث ويحض على فعل الحسن الذي ينفع الناس ، في عبارة موجزة لا يملها من يسمعها ، ولها لحن جميل يردده المتعلم والأمي ولذلك تسنم البرعي ذروة سنام الشعراء ، فسارت بذكر قصائده الركبان ، وترجمت للغات الأخرى ، وتظل هي منهاج ومنهج اتخذ الشعر وسيلة للتربية ، وعلاج المشكلات ، والدعوة إلى الله ، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له .

دراسة نقدية مقارنة للصور البلاغية والفنية لشعر البرعي وتأثيره وتأثيره:

وعندما نتحدث عن الصور البلاغية والفنية لشعر الشيخ البرعي لابد أن نبدأ بما سطره يراع البروفسر ابراهيم القرشي استاذ النقد الادبي بجامعة الملك سعود بالرياض سابقا ووزير الثقافة السوداني السابق حيث قال في سفره (السهل الممتنع) قال : (لم يرزق شعر البرعي هذه السيورة مصادفة ولا اعتباطا، ولكن لتوافر عناصر من تجويد وغنى معجم وحرارة عاطفة و صدق محبة و شمول ثقافة ، ورهافة حس وحسن معرفة بالمتلقي ، فجاء سهلا تشدوا به صفوة الناس وعامتهم ، حتى أصبح نمطا يترنم به الحافي والمتنعل ، لانه ضرب على أوتار النفوس على اختلافها وصادف هواها).⁽⁴¹⁾

وأهم ما ميز شعر البرعي وجعله ذائع الصيت مع البلاغة والصور الجمالية الآتي :-⁽⁴²⁾

اولا:- التجديد في قالب الشعرو المفردات المستخدمة فهي سهلة خفيفة يترنم بها الامي والمتعلم.فها هو يقول :-

صلوات دوام عد ما لفت لساتك
برعي ال يكون في حماك من كل فاتك
حول بينه وبين من للحرمة فاتك

فانظر إلى صورة دوران الساتك فهي صورة صادقة من الطبيعة يعرفها كل فرد وهي من كلام العامة والخاصة.

ثانيا :- اتسامه بروح العصر والمواكبة مما ساعد بعض أهل الادب على تلحينه وانشاده بسهولة . فانظر إليه عندما غزى الامريكان العراق (حرب الخليج الثانية) قال :-

البرعي لكم صاح وضارب البوري
لتقفوا حرب الخليج يا حـــــوري

ثالثاً:- الأسلوب التعليمي غير المباشر وذلك بالإشارة دون أن يقول أفعَل ولا تفعل . مثل قوله (زاد هواي):-

يهدي وعظي اللاعب القمار **** والسكرارى وناس ود عماري

فهو يدعوا الله أن يهتدي بقصائده،لاعب (القمار) وهو الميسر،ومن يتعطى الخمر،والناس الذين يتعاطون (ود عماري) وهو التبناك الذي ينتشر عند هل السودان ،وقد تعدى الآن لبلاد أخرى بفعل انتشار السودانيين .

رابعاً :- استعمال ألفاظ خاصة باصحاب المهن وهذا مما يقرب الشقة بين الناظم وعامة الناس فهو يستعمل ألفاظ خاصة بالزراعة والطباخة والرعي والطب والميكانيكا ،والحساب وله قصيدة مشهورة باسم (البكسي) يترم بها كل من يقود سيارة في السودان،فيقول في مدح الصحابة :-

سيفهم للنفوت حد الله واتفلهم **** ضربا موبقا ما بعالجوا المرهم

وفي قصيدة مدح للمصطفى يقول (تفله للجروح انفع من المرهم) ومثل ذلك كثير جدا في دواوينه.

وشعر البرعي يقتبسه ايضا من الامثال السودانية فيصبح سهلا لاحتاج إلى شرح فما هو يقول :-

بئس المنكر فيهم أقبح **** (الجمال يمشي والكلب ينبج)

وهي صورة بليغة مشاهدة ينبغي للمسلم مراعاتها ،جاء بها الشيخ في بلاغة وسلاسة يفهما الجميع.

ومن بلاغة شعر البرعي كثرة استعمال الأعداد عنده ففي قصيدة (مصر المؤمنة)يقول :- (43)

زيل مرض الجسم في طباعوا الاربعة

بارك اسبوعنا ليوم الاربعا

وأيام السنة تسعين في أربعة

وبحورنا السبعة وانهارنا الأربعة

نسلم من اربعة ونحشر مع اربعة

وإن تفنن العلماء والأدباء في استعمال المحسنات البديعية فإنها في شعر البرعي لاتخطؤها عين،مع

مزجها بعامية سودانية في دقة متناهية ،يخاطب بها عقول الناس وقلوبهم ،على اختلاف الوانهم ومراتبهم العلمية،فانظر إليه وهو يجانس في احدي قصائده :-

انت مدحك نازل في صاد *****انت وجهك ماولى صاد

انت سهمك للكفر صاد *****انت فمك وصفوه صاد

فصاد الأولى في البيت الأول هي سورة (ص)،وصاد الثانية كلمة عامية (صد) رجع وصاد راجع ،وفي

البيت الثاني فعل ماضي من الصيد للكفار أي (أسرهم) ،والثانية من صفة الفم أنه يشبه حرف الصاد.وقيل

اشارة للصدق منه .على سبيل المجاز،وفي قصيدة اخري له مجانسة فيقول فيها وهي (يالساني):-

بأي الذكر الحكيم

سور القرآن الحكيم

لي من قاله كل حكيم

لي عند لقمان الحكيم

جنب عبدك يا حكيم

باب الحاكم والحكيم

ومما استعمله البرعي في شعره الكناية ،وهو عنده الوصل للمعنى بصورة غير مباشرة،فها هو يقول في احداها:-

طه الوسيلة الهاشمي المكي الحر الاصيلا بالحق بطل دين أهل الوسيلة
**** وأهل الوسيلة كناية عن أهل الجاهلية ،وهي الناقة أو الشاة اذا ولدت العدد الموقت لها
لاتذبح،ولحمهاولبنها حرام على النساء .ويستعمل البرعي كذلك التورية وهي في مثل قوله :- يحب أهل
المهنة
فالتخشين معنيان ،أولها الخشون وهي كناية عن العمل وعدم النعومة .والتخشين هنا مهنة النقاشة
وهي مهنة التخشين للبناء والمعمار وهي مهنة معروف.وللشيخ قصيدة كاملة كلها تورية وكناية وه قصيدة(

ابلي) وهي كناية وتورية عن سور القران الكريم قال:-

إبلي المشرفات وسمهن فاخر ينفعني درهن في اليوم الآخر
إبلنا يا معشر مية وأربعتاشر

ويستعمل الشيخ الاقتباس والتضمين من القران الكريم ،وذلك في أساليبه التعليمية فانظر إليه في
قصيدة (عرف الشذى)يقول:- يامن لنا وهب البنين وغيرهم **** فضلا و(يجعل من يشاء عقيما)
صلى عليه ثم قال لخلقه صلوا عليه وسلموا تسليما
**** وفي قصيدة اخرى يقول :-

قد أفلح المرء المزي نفسه من غيها (قد خاب من دساها)
وكل ذلك وغيره كثير اقتباس من القران ليعلم الناس،وينشر بينهم الفاظ القرآن الكريم،معلما
ومرشدواقال:-

والكلب فاز لما جالس الصلحاء ونال في جنة الفردوس أعلاها
وذكره جاء في القرآن نقرؤه****(وكلبهم باسط)في(الكهف) تلقاها
ولم يبرع الشيخ في تضمين القران والحديث والأمثال فقط ،بل نجده يدخل الفاظ بعض الاغاني
المشهورة ،ويحذر منها مثل اغنية (منعوك أهلك)وهي منتشرة في السودان بين الشباب فيحذر الشيخ وينهى
عنها وعن اصحابها بقوله :-

فارق صحبة من ضل هلك ****واحذر صحبة من قال (منعوك أهلك)

مع استخدام الشيخ للأساليب البلاغية ،والصور الواقعية،والمحسنات البديعية ، ألفاظ أهل المهن
المتعددة ،نجدته بحرا لاساحل له في العلم والتعلم،والمشاركة الإجتماعية،وحمل هم الوطن الاسلامي الكبير،مع
عدم اهمال السودان الصغير،مع بلاغة في اللفظ،وسهولة في المعاني ،مما جعل قصائده تسير بها الركبان ،وتأثر
بها الزهاد وترنم بها العباد، ورددتها الوسائط الإعلامية لكثرة الطلب عليها ،واعتزل بعض أهل الغناء مهنتهم
وعكفوا على ترديد قصائد البرعي ، وتكونت فرق خاصة من الشباب لترديد وترنيم هذه المنظومات ،ومازال
أثرها في السودان والدول المجاورة يرتفع حتى بعد وفاته رحمه الله.

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث الذي تحدثنا فيه عن النص الشعري في السودان، ودوره في معالجة القضايا الإسلامية، والاجتماعية المعاصرة التي تهم الأمة الإسلامية عامة، وذلك باتخاذ الشيخ عبد الرحيم محمد وقيع الله البرعي رحمه الله نموذجاً، حيث عرفنا بالشعر الإسلامي، ودوره في الحياة الإسلامية منذ عهد النبوة، مع بيان دوره الذي لعبه على طول حياة المسلمين حتى يومنا هذا، وعرج البحث للتعريف بالشيخ البرعي وأثره في الحياة الإسلامية في السودان، مع ترجمة له شملت كل جوانب حياته. ومن ثم عرج البحث على القضايا المشتركة بين السودان والعالم الاسلامي التي تناولها الشيخ البرعي رحمه الله في قصائده الشعرية، كقضية التوحيد وإفراد الله جل وعلا، والتعريف بالنبي ﷺ، وذكر مناقب الصحابة رضي الله عنهم، والدعوة للإهتمام بالعبادات، وغيرها من القضايا التي لاتنفصل بين السودان والعالم الإسلامي. ومن ثم تحدثت البحث عن دور شعر الشيخ البرعي في تسجيل الاحداث الاسلامية المعاصرة، وتعرض لعدد منها مع إيراد بعض الأبيات الشعرية التي تدلل على تناولها في قصائد الشيخ رحمه الله .

النتائج :

وفي خاتمة هذا البحث فقد توصل الباحث للنتائج التالية :-

- أ. أن للشعر الإسلامي دور كبير في لدفاع عن الدعوة ونشرها منذ العصر الأول ،وله الدور الطليعي في نشر مبادئ الإسلام ،والتعريف به .
- ب. تناول الشيخ البرعي في شعره عددا من القضايا المشتركة بين السودان والعالم الإسلامي ،كالتوحيد ، والدفاع عن النبي ﷺ وصحبه الكرام وبعض القضايا السياسية والاجتماعية والاخلاقية مما قربها لعامة الشعب السوداني ،في سهولة ويسر .
- ج. أن شعر البرعي اتسم بالمواكبة والمعاصرة وتسجيل الاحداث الدائرة في الساحة الاسلامية والسودانية وتناول مواضيع لها علاقة بحياة الناس الواقعية مما سهل عل العامة تداول شعره حتى سارت به الركبان .
- د. بذل البرعي جهدا كبيرا في محاربة العادات الضارة بالمجتمع ونبه عليها كالختان الفرعوني والعزوف عن الزواج والتكالب على الدنيا والتعامل بالربا و غيرها.
- هـ. تسنم الشيخ البرعي ذروة سنام الشعراء ، فسارت بقصائده الركبان ،وترجمت للغات الأخرى كاللغة الإنجليزية .
- و. اتخذ البرعي الشعر كوسيلة للتربية، وعلاج المشكلات ،والدعوة إلى الله ، ونشر المنهج الصوفي مع الدعوة للزهد وصفاء النفس ونقاء الروح .
- ز. زعميز اسلوب البرعي بالسهولة في الالفاظ ويسر المعاني وجمال الصور البلاغية مما حبيب فيه المتلقين وحفظوه.

التوصيات:

1. يوصي الباحث بقيام مؤتمر سنوي للادباء السودانيين، على أن ينعقد كل عام في ولاية يتحدث عن ادباء تلك الولاية ،على أن تكون البداية بالبرعي.
2. يوصي الباحث بقيام مراكز متخصصة للأدب الإسلامي لجمع انتاج الأدباء وترجمهم للغات الحية الاخرى في العالم.
3. انشاء مركز ابحاث باسم الشيخ البرعي رحمه الله لاستفادة من منهجه في نشر الدعوة وحفظ تراثه الأدبي، وفتحه للدارسين والباحثين، لخدمة الاسلام واجراء الدراسات العلمية حوله.

الهوامش:

- (1) ديوان حسان ص 208 - صحيح مسلم: ج4/ص 1935 ح 2490
- (2) البداية والنهاية ، ابن كثير ، 4/371-ديوانه ص 40
- (3) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني ، (160\1)
- (4) ان اهل السودان اذا كان اسم الشخص عبد الرحيم لقبوه بالبرعي ، وهي نسبة للمادح اليمني المشهور عبدالرحيم بن احمد بن علي المتوفى (803) وهو من سكان النيابتين بجبل تهامة .انظر الاعلام 343\3.
- (5) برعي السودان تأليف عبدالرحيم الحاج أحمد ص56- السهل الممتنع بروفسر ابراهيم القرشي ص13
- (6) المصدر السابق ص 6 وما بعدها
- (7) المصدر السابق ص92
- (8) المصدر السابق ص115- السهل الممتنع مصر سابق ص24
- (9) المصدر السابق ص16
- (10) المصدر السابق ص152
- (11) مجلة البيان العدد رقم (238) الروح الإسلامية في العمل الأدبي بقلم : طاهر العتباتي ص65
- (12) رياض الجنة ص22
- (13) رياض الجنة ص23
- (14) رياض الجنة ص48
- (15) ديوان الصحابة ص17 وما بعدها
- (16) الصحابة ص50
- (17) الرياض ص48
- (18) ديوان الصحابة ص17
- (19) رياض الجنة ص74
- (20) رياض الجنة ص24
- (21) المصدر السابق ص48
- (22) ديوان الصحابة ص46
- (23) رياض الجنة ص63
- (24) برعي السودان ص284
- (25) مجلة البيان ، مصدر سابق ص65
- (26) ديوان رياض الجنة ص87
- (27) المصدر السابق ص110
- (28) المصدر السابق ص127
- (29) المصدر السابق ص151

- (30) الصحابة ص 29
- (31) رياض الجنة ص 124
- (32) المصدر السابق ص 72
- (33) السهل الممتنع . بروفير القرشي ص 27
- (34) برعي السودان ص 230
- (35) المصدر السابق ص 231
- (36) المصدر السابق ص 232
- (37) المصدر السابق ص 235
- (38) نفس المصدر ص 145
- (39) نفس المصدر ص 255
- (40) السهل الممتنع ص 75
- (41) المصدر السابق ص 81
- (42) المصدر السابق ص 103

المراجع والمصادر

- (1) الاعلام، خير الدين الزركلي، ط14 - دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (1999م).
- (2) برعي السودان، جمع و تأليف عبدالرحيم الحاج أحمد، طباعة مركز الاسباط للإنتاج الإعلامي، ام درمان السودان، الطبعة الثالثة (2009م).
- (3) ديوان كعب بن زهير : تحقيق ، د. حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ببيروت 1414هـ 1994م.
- (4) النبوية لابن هشام : تحقيق مصطفى السقا وأصحابه ، مكتبة الحلبي بالقاهرة 1375هـ 1955م.
- (5) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار بيروت للطباعة والنشر 1398 هـ 1978م.
- (6) ديوان رياض الجنة و نور الدجنة، للشيخ البرعي، الذى صدرت منه الطبعة الاولى عام 1967م وصدر الجزء الثانى 1991م مركز الاسباط للإنتاج الإعلامي والنشر-الخرطوم السودان تحقيق عبدالرحيم الحاج أحمد.
- (7) ديوان الصحابة، الشيخ البرعي، تحقيق عبد الرحيم حاج احمد، طباعة مركز الاسباط للإنتاج الإعلامي، الخرطوم السودان - الطبعة الأولى (2003 م).
- (8) السهل الممتنع، حواطر وصور بلاغية في شعر البرعي الكردفاني، بروفير ابراهيم القرشي، طباعة مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، الرياض - السعودية. الطبعة الأولى (203 م - 1424 هـ).
- (9) مجلة البيان العدد رقم (238) تصدر عن المنتدى الإسلامي-معالم على طريق الأدب الإسلامي الروح الإسلامية في العمل الأدبي بقلم : طاهر العتباتي.
- (10) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني الناشر: دار الندوة العالمية عدد الأجزاء: (2) مجلد.

عوامل تكوين الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية (دراسة مسحية)

أستاذ الصحافة - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
المملكة العربية السعودية

أ.د. عبدالنبي عبدالله الطيب النوبي

مستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية من خلال تبني العناصر الستة التالية في شرح التباين في رضا الموظفين عن العمل في المؤسسات الصحفية السعودية وهي الرضا عن فرص الترقية، الرضا عن الحوافز والرواتب، الرضا عن العلاقة مع الزملاء، الرضا عن مكان العمل، الرضا عن العلاقة مع رؤساء العمل، الرضا عن المهام التي تتضمنها الوظيفة. وبمتوسطات (53.2,65.2,88.2,98.2,48.3,97.3) على التوالي. وجاءت نتائج الدراسة ولتشير إلى وجود تأثير لعوامل العمر والمؤهل العلمي على الرضا الوظيفي للعاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية بينما ليس هناك تأثير لعوامل الجنس، والخبرة والراتب الشهري ونوع العمل الذي يؤديه العامل. حيث توصل البحث إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من العمر والمؤهل العلمي في علاقتهما بالرضا الوظيفي، بينما كانت العلاقة غير دالة مع بقية العناصر.

Factors of forming occupational satisfaction with employees in the Saudi journalistic institutions (survey study)

professor Abdulnabi Abdullah Eltaib Alnobi

Abstract:

The study aimed to identify the level of occupational satisfaction with the employees in the Saudi journalistic institutions through adopting the following six factors illustrating disparity in employees' satisfaction in working for the Saudi journalistic institutions. They are: satisfaction with opportunities of promotion, satisfaction with bonuses and salaries, satisfaction with relationships with colleagues, satisfaction with job location, satisfaction with ties with the managers and satisfaction with tasks that are entailed in the job with means (3.97,3.48,2.98,2.88,2.65,2.53) respectively. The findings of the study indicated presence of factors affect the employees' occupational satisfaction in Saudi journalistic institutions such as age, academic qualification, whereas factors of gender, experience, salary and type of job do not have any effect. The researcher concluded with a relationship with statistical significance between age and academic qualification in their

relation with occupational satisfaction whereas the relationship with other factors was not significant.

Introduction

Satisfaction is attained when one gets what they expect from the institution where he works, satisfaction results in good yield due to the reason that the person who is satisfied with his job through what he receives as moral and financial gains: positive attitudes towards his job, where he feels satisfaction with different related environmental, social, economic and artistic factors (Abu shaikha, 1998, p 13). He energetically does what he ought, accepting his job and feeling happy doing it, and the reflection of this into his performance and personal life (Albukhari, 1986. P 30) satisfaction requires presence of series of factors, some of which are related with the working environment as the administration and factors related with the person himself. It is undoubtedly, the detailed factors of administration lie in of human and administrative factors, the latter as it is known made up of organizational structure and functions which can be changed and restructured so as to be more adequate and efficient in the developing environmental circumstances. As for the most important factor, which is the human that is related with the person via employees' continuous training, upskilling, fostering their sense of responsibility and self-confidence and the ability to make proper decisions within their authority, this can not be done without satisfying their occupational and personal needs which in turn foster ties of belonging to their institution, as a result attention to the human factor has increased in organizations and pioneering establishments, and is being viewed as one of their main assets for his fundamental effect on competency and efficiency, and is not just factor of production, meaning personnel as seen as investments that is achieved if they are well utilized and long-term gains for the institutions in form of improving and developing productivity. That is why, the administrations in these institutions constantly searching for methods of developing the ties with the personnel for guaranteeing labor with skills and specializations. For illustrating that domain, scientific research is the way for developing performance and belonging, this study is conducted to search methods that guarantee occupational satisfaction, factors and achieving performance with good outcomes.

مقدمة:

يتحقق الرضا حينما يتحقق ما يتوقعه الشخص من المؤسسة التي يعمل بها، فالرضا يؤدي الى انتاجية عالية الكفاءة ويعود السبب ان الشخص الراضي عن وظيفته من خلال ما يحصل عليه من عوائد مادية ومعنوية : «اتجاه ايجابي نحو الوظيفة التي يقوم بها الفرد، حيث يشعر فيها بالرضا عن مختلف العوامل البيئية والاجتماعية والاقتصادية والفنية المتعلقة بالوظيفة» (أبو شيخة، 1998، ص13) فيقبل على الوظيفة بهمة ونشاط من جهة «تقبل الفرد لعمله ومسكه به وشعوره بالسعادة لممارسته وانعكاس ذلك على أدائه وحياته الشخصية» (البخاري، 1986، ص 30). ويكون سعيدا وفرحا من جهة اخرى . يتطلب الرضا توافر سلسلة من العوامل المؤثرة في تشكيل هذا الرضا، فمنها ما يتعلق ببيئة العمل كالإدارة والمكان وما الى ذلك من عوامل ومنها ما يتعلق بذاتية الفرد نفسه.

ليس هناك مجال للشك في أن العناصر التفصيلية للإدارة تكمن في العنصرين التنظيمي والبشري؛ أما العنصر التنظيمي فيتكون كما هو معروف من الهياكل والوظائف التي يمكن تغييرها وإعادة تشكيلها بحيث لتصبح أكثر كفاءة وفعالية وملاءمة للظروف البيئية المتطورة. أما العنصر الاهم وهو البشري فيتعلق اهتمامه بالجانب الإنساني من خلال التدريب المستمر للموظفين واكتسابهم المهارات المناسبة لعملهم وتنمية الإحساس بالمسؤولية لديهم والثقة في أنفسهم والقدرة على اتخاذ القرارات المناسبة التي تقع ضمن نطاق صلاحياتهم، ولا يمكن ان يتم ذلك الا من خلال تلبية احتياجاتهم الوظيفية والشخصية والتي من شأنها تعزيز أواصر الألفة والانتماء لديهم نحو منظماتهم.

انطلاقاً من ذلك تزايد الاهتمام في المنظمات والمؤسسات الرائدة بالعنصر البشري والنظر إليه كأصل من أصولها الرئيسية لما له من تأثير جوهري على الكفاءة والفعالية، وليس كعناصر إنتاج بمعنى أن ينظر إلى الافراد كاستثمارات تتحقق إذا ما أحسن استخدامها وكعوائد طويلة الأجل للمنظمة في شكل تحسين الإنتاجية وتطويرها، لذا فإن الإدارات في هذه المنظمات تبحث وباستمرار عن طرق لتنمية العلاقات بينها وبين الأفراد العاملين لضمان استمرار القوى العاملة فيها وخاصة من ذوي المهارات والتخصصات، وبيان هذا النطاق فإن البحث العلمي هو السبيل لتحسين الأداء والانتماء، فجاءت هذه الدراسة لتبحث في السبيل الكفيلة للرضا الوظيفي وعوامله وسبل تحقيق اداء مرتفع الانتاجية.

الدراسات السابقة:

دراسة السعيد، يوسف (2013) : والمعنونة بـ «دور العلاقات العامة في تحقيق الرضا الوظيفي للعاملين في صحيفتي الأري والكويت تايمز الكويتيتين، على عينة قوامها 235 مفردة ، تركزت الدراسة حول محاور ثلاث رئيسة، دور العلاقات العامة في تحقيق الرضا الوظيفي، العوامل الداخلية في تحقيق الرضا الوظيفي والعوامل الخارجية في تحقيق الرضا الوظيفي، فقد جاءت النتائج تحت محور العلاقات في تحقيق الرضا الوظيفي جاءت فقرة رفع مستوى الالفة بين الموظفين والمحافظة عليها بالمرتبة الاولى وبمتوسط حسابي 07.4 لصحيفة الرأي، في حين جاءت الفقرة تحسين مستوى الاتصال الوظيفي الهابط والصاعد بين الموظفين والادارة بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي قدره 83.4 لصحيفة الكويت تايمز، وتحت محور العوامل الداخلية جاءت فقرة العدالة في الرواتب والاجور بالمرتبة الأولى وبمتوسط حسابي 64.4 لصحيفة الرأي، في حين جاءت

فقرة الضمان الصحي للموظفين بالمرتبة الاولى وممتوسط حسابي 82.4 لصحيفة الكويت تايمز. دراسة أبو شنب، حسين (2000): وهي بعنوان بـ «دور القائم بالاتصال في مؤسسات الإعلام الفلسطيني في مواجهة متغيرات الألفية الثالثة»، حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على ماهية القائم بالاتصال وإعداده وتدريبه ومستواه التعليمي وخبرته الإعلامية وإمكاناته العلمية والفنية، والتعرف على مدى الرضا الوظيفي، والعلاقة بين العاملين وإدارة المؤسسات الإعلامية والسياسة العامة، والعلاقة مع مصادر الأخبار والمعلومات والاستفادة من التقنيات، والصعوبات التي تواجه القائمين بالاتصال والمؤسسات الإعلامية. واعتمد الباحث على المنهج المسحي، حيث اعتمد (١٢٣) استبانة مثلت (٧٧%) من أفراد العينة التي تمت عليها الدراسة، وخلصت دراسته إلى أنها كشفت عن واقع القائم بالاتصال في المؤسسات الإعلامية الفلسطينية، وافتقاد عدد كبير للتأهيل الجامعي والعلمي والتأهيل والتدريب والإشراف والمتابعة، وعدم وضوح الخطة الإعلامية أو المهمة المنوطة به، وانعكس ذلك على الرضا الوظيفي الذي جاءت نسبته متدنية، انعكست بالتالي على حالته فمال القائمون بالاتصال إلى الإحباط وعدم المبالاة.

دراسة محمد، نبيل (2010): والمعنونة بـ «عوامل الرضا الوظيفي للقائمين بالاتصال في الصحف العراقية» على عينة قوامها 170 العاملين في الصحف العراقية. توصلت الدراسة لعدد من النتائج أبرزها «أن ما يحقق الرضا الوظيفي بالنسبة للعينة هو مدى اهتمام مؤسساتهم الإعلامية بالجوانب الإنسانية والاجتماعية للقائمين بالاتصال وبما نسبته 33.69%، وأن تحقيق الرضا الوظيفي يتم عن طريق إيمانهم بمهمة الصحافة وبما نسبته 66.68%، كما تبين أن ما نسبته 68% من القائمين بالاتصال يرون أن الأجور تمثل حافزاً لهم في تحقيق الرضا الوظيفي، كما أشارت النتائج إلى أهمية المكافأة المادية في تحقيق الرضا الوظيفي وبما نسبته 66.62%.

دراسة غالي، محرز حسين (2010): والمعنونة بـ

«أساليب تنظيم وإدارة الجهاز التحريري بالصحف المصرية وعلاقتها بالاستقلال المهني للمحررين ومدى شعورهم بالرضا الوظيفي» استهدفت الدراسة الكشف عن معدلات الرضا الوظيفي بين الصحفيين العاملين في غرف الأخبار ورصد وتوصيف وتحليل مجموعة العوامل المؤثرة في درجة شعورهم أو عدم شعورهم بالرضا الوظيفي، وتوصلت إلى أن النسبة الأكبر من الصحفيين عينة البحث يشعرون بالرضا الوظيفي (إلى حد ما)، في حين أن أقل من الثلث يشعرون بالرضا الوظيفي إلى حد كبير، وأن ثمة مجموعة من العوامل التي تؤدي إلى تزايد الشعور بالرضا الوظيفي خلال فترة الدراسة جاء في مقدمتها إدراكهم لتوافر العدالة في فرص النشر المتاحة بين الجميع، يليه إدراك المحررين وشعورهم بوجود مساحة كبيرة من الحرية في العمل تتيح لهم التعبير عن رؤاهم وتصوراتهم، ثم يأتي بعد ذلك إدراك المحررين أن الجهاز التحريري للصحيفة التي يعملون بها يتمتع بمصداقية لدى القراء، ثم إدراكهم بأن إدارة المؤسسة التي ينتمون إليها تؤمن لهم ظروفًا مادية واجتماعية مواتية، وأخيراً لوجود معايير واضحة للترقي والصعود الوظيفي.

دراسة المطيري، ريم (2009): والمعنونة بـ :

«الرضا الوظيفي لدى الصحفيات السعوديات والعوامل المؤثرة فيه» سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن مستوى الرضا الوظيفي لدى الصحفيات السعوديات من حيث محيط العمل والمهنة والممارسة

والمردود من المهنة الصحفية، وكذلك اختبار تأثير عاملي مستوى التعليم والحالة الاجتماعية على مستوى الرضا، وتوصلت إلى أن الصحفيات السعوديات يعانين من ضغوط في العمل تؤثر على رضاهن الوظيفي، وأن هناك تأثير لعوامل الحالة الاجتماعية ومحيط المهنة والمردود من المهنة على الرضا الوظيفي لديهن.

دراسة مقار، مارجریت (2005): والمعنونة بـ :

«العوامل المؤثرة على الرضا الوظيفي للقائمات بالاتصال في الصحافة المصرية» سعت هذه الدراسة إلى رصد العوامل المؤثرة على الرضا الوظيفي للصحفيات المصريات والكشف عن مستوى رأيهن عن كل عامل من العوامل المرتبطة بالعمل سواء كانت داخلية أو خارجية، وتوصلت النتائج إلى أن عامل الترقى هو العامل الوحيد من بين العوامل الداخلية الذي عبر الصحفيات عن عدم رضائهن عنه، وكانت أكثر الجوانب الفرعية إسهاماً في عدم شعورهن بعد الرضا أن بعض الذين يشغلون مواقع قيادية أقل منهن كفاءة، كما أشارت الدراسة إلى أن العائد المادي هو العامل الوحيد من بين العوامل الخارجية الذي عبرت الصحفيات عن عدم رضائهن عنه، وأظهرت الدراسة أنه كلما تقدمت القائمات بالاتصال في أعمارهن ارتفع مستوى رضائهن الوظيفي.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

دراسة: (2013) Qudah, AL-Rajhi, Tahat والمعنونة بـ :

بـ “Job satisfaction of employees of Jordan Radio and Television”

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها أن الرضا عن نوع العمل الذي يؤديه العامل جاء في المرتبة الأولى وبمتوسط حسابي 66.2 وبانحراف معياري 537.، وجاء في المرتبة الثانية الرضا عن مسؤوليات الوظيفة وبمتوسط حسابي 61.2 وبانحراف معياري 610.، وفي المرتبة الثالثة جاء الرضا عن الاعتراف والتقدير من الرؤساء. كما أشارت نتائج الدراسة إلى عدم الرضا عن الجوانب المالية، وقد احتل هذا الجانب المرتبات الأخيرة، ففي بند عدم الرضا عن الحوافز المالية جاء في المرتبة (21) قبل الأخيرة وبمتوسط حسابي 98.1 وبانحراف معياري 769.، وفي المرتبة الأخيرة جاء بند عدم الرضا عن المكافآت التشجيعية وبمتوسط حسابي 95.1 وبانحراف معياري 680. وتشير النتائج أن ما متوسطه 14.2 أشاروا إلى عدم الرضا عن فرص الانجاز الجيد وما متوسطه 08.2 عن عدم الرضا عن العدل والمساواة بين كما أشارت النتائج أن مستوى الرضا ككل كان بمتوسط حسابي 27.2، وأن أعلى قيمة للمتوسطات كانت 66.2 وهي دلالة عن عدم الرضا المرتفع عن العمل الوظيفي، في حين سجلت أدنى نسبة ما متوسطه 95.1 وهي نسبة متدنية وتحت الـ 50%.

دراسة (2010) Rhonda, Breit والمعنونة بـ :

“Towards a Theory of Journalism as practice” سعت هذه الدراسة إلى تقديم إطار نظري يفسر العلاقة بين الرضا الوظيفي وكل من ضغوط العمل والدخول المادية، وتوضح الآراء المختلفة حول التحديات التي تواجه الصحافة نتيجة التزاوج بين المؤسسات الإعلامية ورأس المال، وتنطلق هذه الدراسة من افتراض أساسي مؤداه أن هناك فرق بين ممارسة كل من العمل الصحفي وممارسة الأعمال التجارية الأخرى وممارسة العمل في المؤسسات الإعلامية في محاولة لتفسير سبب وجود وجهات النظر المختلفة بين المديرين والصحفيين حول عوامل الجودة الصحفية والرضا الوظيفي للعاملين فيها، وخلصت الدراسة إلى أن مستقبل الصحافة يعتمد على العودة إلى القيم الأخلاقية الأساسية.

والمعنونة ب: (2009) Scamble and Stead دراسة

“Study of Type and Tenure as it Pertains Job Satisfaction”

استهدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الرضا الوظيفي ومتغيرات العمر والأجور والخبرة، وأجريت الدراسة على 64 مفردة من العاملين في مراكز الإعلام التربوي، وتوصلت إلى عدم وجود علاقة بين متغيري السن والخبرة والرضا الوظيفي، بينما كانت هناك علاقة ارتباط إيجابي بين أحجام الأجور والرضا الوظيفي.

دراسة (2008) Li-Jing): والمعنونة ب:

“Factors Related to Journalists Job satisfaction, Meta analysis and path” model”

تمثلت هذه الدراسة في تحليل من المستوى الثاني لعدد من الدراسات التي اهتمت بمتغير الرضا الوظيفي لتقييم العوامل المؤثرة على الرضا، كما عملت على اختبار نموذج نظري للرضا الوظيفي من خلال تحليل تتبعي، وأظهرت أن تصورات الصحفيين للعوامل المؤثرة على مجتمعاتهم ومدى رضاهم إزاء مرتباتهم تعد عوامل أساسية للتنبؤ بالرضا الوظيفي، كما توصلت الدراسة إلى أن عامل الرضا الوظيفي يقدم مؤشراً أساسياً حول مدى رغبة الصحفيين في ترك المؤسسات التي يعملون بها أو البقاء فيها.

الدراسات السابقة أوجه الاستفادة:

تكمن الاستفادة من الدراسات السابقة في عدد من الجوانب أهمها: الاستفادة من الجوانب المنهجية للدراسات الميدانية التي نهجتها معظم هذه الدراسات، والأساليب والأدوات المستخدمة لقياس المتغيرات، والتوظيف الأمثل للأساليب الإحصائية لاستخراج النتائج، مما سيثري الدراسة ويعمق دلالاتها في إطار العلاقات المختلفة بين متغيرات الدراسة، كذلك الاستفادة في وضع أسئلة الاستبيان وفي مقارنة نتائج الدراسة بالدراسات الأخرى.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة:

تمتاز هذه الدراسة بأنها من الدراسات التي تبحث عن الرضا الوظيفي للقائمين بالاتصال في المؤسسات الصحفية السعودية من جهة، ومن جهة ثانية يمكن القول بأن هذه الدراسة تتميز عن غيرها بأن تطبيقها تتم في ظل الانتشار الواسع للمؤسسات الصحفية السعودية (كما ونوعاً).

مشكلة البحث:

شهدت السنوات الأولى من القرن الحالي تغيرات كبيرة في المؤسسات الاتصالية، لعل أهمها تمثل بزيادة كمية من جهة ومتخصصة نوعية من جهة أخرى، وظهور وسائل اتصال عابرة للقارات من جهة ثالثة، وما نتج عنها من تنافس شديد وصل إلى حد الصراع على الجماهير المستهدفة، مما انعكس بشكل أو بآخر على وسائل الاتصال الوطنية، وأدى إلى تراجع دورها في عدد كبير من المجالات الحياتية. وبما أن المؤسسات الإعلامية السعودية ملقى عليها دور كبير في تشكيل الرأي العام، كان من الضروري دراسة العناصر الرئيسة المكونة لعملية الاتصال ككل أو أحد تلك العناصر.

انطلاقاً من ذلك جاءت هذه الدراسة. تكمن المشكلة الرئيسة للدراسة في التعرف على مستويات الرضا الوظيفي في المؤسسات الصحفية السعودية، ومدى الرضا للقائمين بالاتصال في الصحافة السعودية عن عمله، ودرجة هذا الرضا في مجالات متعددة، وما العوامل التي تحدد مستويات الرضا الوظيفي للعاملين بالصحافة السعودية، مما سيتعكس إيجاباً على عمل المؤسسات الصحفية السعودية مستقبلاً.

أهمية البحث:

على الرغم من التطوير والتحديث المستمر لمختلف جوانب العملية الإعلامية؛ لكن يبقى العنصر البشري هو الأهم في المنظومة الإعلامية، فهو القائم بالاتصال، وهو المرسل للرسالة الإعلامية، وعليه يتوقف مستوى المؤسسة وقدرتها على المنافسة والتطوير، وهو ما يؤكد أهمية البحوث والدراسات التي تهتم بدراسة القائم بالاتصال في المؤسسات الإعلامية، والعوامل المؤثرة في أدائه، والظروف الداخلية والخارجية التي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في نجاح الحقي في القيام بعمله، بما ينعكس في النهاية على مخرجات العملية الإعلامية، ومكانة المؤسسة الإعلامية.

تبلور أهمية البحث في الجوانب الآتية:

العلمية: تنبع أهمية البحث من كونه يجمع بين علوم الإدارة وعلوم الاتصال، من حيث اهتمامه بجانب الرضا الوظيفي للقائم بالاتصال، وهو ما يسهم في اكتشاف العوامل الإدارية التي تساهم في نجاح المؤسسات الصحفية، يفتح البحث المجال أمام العديد من الدراسات التي تلقي الضوء على جوانب التلاقي بين علوم الإدارة وعلوم الاتصال، والتأثيرات المتبادلة بينهما، ويكتسب البحث أهمية خاصة من خلال لقاء الضوء على الجانب المهني للقائم بالاتصال، والعوامل الوظيفية التي تؤثر في إنتاجية القائم بالاتصال في الصحافة السعودية.

أهداف البحث:

انطلاقاً من المشكلة البحثية، يسعى البحث الراهن إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية كما يأتي:
التعرف على مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية.
اختبار مدى تأثير كل عامل من هذه العوامل على الرضا الوظيفي للعاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية.

تساؤلات البحث:

لتحقيق أهداف البحث تمت صياغة التساؤلات الرئيسية التالية التي يحاول البحث تقديم الإجابة عنها:

ما مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية؟
هل توجد علاقة بين الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والمتغيرات الديموغرافية والوظيفية؟

ما مستويات الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية من وجهة نظرهم؟

فروض البحث:

سعى هذا البحث إلى اختبار الفرض الرئيس ب:
توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين (الجنس، العمر، الخبرة، المؤهل العلمي، الراتب الشهري) والرضا الوظيفي.
توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الوظيفة والرضا الوظيفي.

النظريات المفسرة للدراسة: مفهوم الرضا الوظيفي:

تتعدد المفاهيم والتعريفات الخاصة بالرضا الوظيفي، حيث يعرفه منصور المعمر فيقول إن «الرضا الوظيفي هو الحالة التي يحقق الفرد من خلالها ذاته ويشبع رغباته مما يجعله مقبلاً على عمله بحماس ورغبة ويحرص على زيادة كفاءته الإنتاجية» (المعمر، 1993، ص 19). فيما يري العالم (لوك) بأن الرضا الوظيفي «حالة عاطفية سارة ناتجة عن إدراك الفرد أن الوظيفة التي يشغلها تتيح له تحقيق ممارسة القيم الوظيفية المهمة في نظره والتي تتسجم مع حاجاته» (الزويد، 2011). ويتجه التوجيهي الى زاوية الموقف تجاه العمل ليعرف من خلالها الرضا الوظيفي بأنه «موقف الشخص تجاه العمل الذي يؤديه وذلك نتيجة لإدراكه لعمله» (التوجيهي، 1988، 48). بينما تركز بخاري على الشعور بالسعادة والرضا وانعكاس الرضا الوظيفي على حياة الموظف، فتعرف الرضا الوظيفي على أنه «تقبل الفرد لعمله وتمسكه به وشعوره بالسعادة لممارسته وانعكاس ذلك على أدائه وحياته الشخصية (البخاري، 1986، ص 30). فيما ركز هيرزبرغ على المشاعر موضحاً أن الرضا الوظيفي «يتمثل في مشاعر الفرد الحسنة التي يشعر بها حول المتغيرات المادية والمعنوية التي تتعلق بالعمل نفسه والبيئة المحيطة به». (Carnny and others, 1992, p 46)

أهمية الرضا الوظيفي:

وتنبع أهمية الرضا الوظيفي من ارتباطه المباشر بعملية الإنتاج وتأثيره عليها، فالشركات التي تتضرر من انخفاض معدلات الإنتاج، يعد عدم الرضا الوظيفي أحد العوامل المؤثرة في ذلك، بالإضافة الى انخفاض إنتاجية الموظف نتيجة كثرة إضاعة الوقت أثناء العمل، وغياب الدافعية للعمل، والروتينية في الأداء، والغياب والتأخر واختلاق الأعذار والحجج، وغيرها من الصور التي تعكس حالات متقدمة من عدم الرضا الوظيفي، ومن ثم يجب أن ينتبه المسئولين أو مديري الموارد البشرية بالمؤسسات الصحية إلى أن عدم الرضا مرض معدي، وينتقل من الموظفين القداماء الى الموظفين الجدد الذين لا يعرفون مسبقاً شيئاً عن المؤسسة، ومن ثم يبدؤون العمل ومعهم القلق والخوف من المستقبل المهني بالمؤسسة، وتتحول معها مدة التجربة المتفق عليها في العمل الى مرحلة من عدم الاستقرار، قد تنقلب الى ترك العمل عند أول فرصة تأتيهم من الخارج .

نظريات الرضا الوظيفي:

اهتمت الكثير من النظريات والأبحاث - خاصة في العلوم السلوكية - بتحليل سلوك العاملين داخل المؤسسات المختلفة ، وحاولت العديد من النظريات تفسير الدوافع والحوافز التي تزيد من مستويات الرضا الوظيفي ، وما يتعلق بالدوافع الداخلية والدوافع الخارجية التي تؤثر في سلوك العاملين بالمؤسسة ، وفيما يلي عرض لأهم النظريات التي تتناول الدافعية للعاملين بالمؤسسة :

نظرية تدرج الحاجات لماسلو:

تعد نظرية تدرج الحاجات التي قدمها إبراهيم ماسلو (1943) هي نقطة البداية في تفسير الدافعية، ويعبر هرم ماسلو ذو الخمس مستويات عن دوافع الفرد المتتالية، كالحاجات الأساسية الفسيولوجية والتي تمثل الحاجات الضرورية لاستمرار الحياة كالهواء والماء والغذاء، ومن خلال الأجر يتم اشباع الحد الأدنى لهذه الحاجات الأولية (Chantal, 2003) . ومن ثم يتم الانتقال الى الدرجة الأعلى في هرم ماسلو وهي الخاصة

بحاجات الأمان والتي تشمل الملبس والمسكن المناسب على المستوى الشخصي، وعلى مستوى العمل تشمل توفير ظروف الاستقرار في العمل، والأمان الوظيفي، بالإضافة الى المزايا الصحية ومزايا الحماية والتقاعد (صلاح الدين، 2009، ص117)، وبالعودة الى الدرجة الثالثة في هرم ماسلو تظهر الحاجات الاجتماعية (حاجات الانتماء) كالحاجة الى إقامة العلاقات مع الآخرين في العمل، والتنظيمات غير الرسمية التي تعتبر أحد أشكال إشباع الحاجات الاجتماعية للعاملين، وتندرج عوامل الرغبة في الحصول على السلطة والقوة، والإحساس بالثقة بالنفس، والحصول على الحوافز والمكافآت والترقيات، والممدح في العمل، تحت إطار حاجات احترام الذات في هرم ماسلو، وفي المستوى الأخير نجد حاجات تحقيق الذات والتي تتمثل في رغبة الفرد بالتميز، وسعيه لإثبات ذاته وتنميتها بالفكر الخلاقي في أوسع معانيه (السيد، 1998، ص ص 249-250).

افتراضات نظرية تدرج الحاجات لماسلو:

يمكن اعتبار هرم ماسلو هو الهرم المقلوب، حيث تفترض النظرية التدرج في الحاجات من الأكثر أهمية الى الأقل أهمية، باعتباره يبدأ بالحاجات الفسيولوجية وينتهي بالحاجة الى تحقيق الذات (الجناني، 2001، ص 18)، كما تفترض أن الحاجات غير المشبعة هي الدافع والمحرك لسلوك الإنسان، فالفرد يسعى الى اشباع ما ينقصه من هذه الحاجات الأساسية في هرم الاحتياجات، ويرتبط اشباع حاجات الفرد ارتباط طردي بسعادته، فكلما ارتفع مستوى الحاجات التي يشبعها الفرد، كلما ازدادت سعادته ومعنوياته. (Tagia, 2004)

نقد نظرية تدرج الحاجات:

لم تسلم نظرية تدرج الحاجات من انتقادات المفكرين والباحثين، في العديد من الجوانب، منها أن النظرية افترضت تساوي الأهمية في الاحتياجات بالنسبة لجميع الأفراد، في حين أن الأهمية تصبح نسبية ومختلفة من فرد الى فرد في استكمال هذه الحاجات؛ بل إن احتياجات الفرد نفسه تختلف من فترة الى فترة ومن مرحلة الى مرحلة، كما أن النظرية تفترض الانتقال المتدرج لإشباع الحاجات أي الانتهاء من اشباع الحاجات الفسيولوجية ثم الانتقال الى اشباع حاجات الأمان والسلامة، وهو ما يتنافى مع الواقع فالحاجات الإنسانية تعتمد على بعضها البعض وتتداخل مع بعضها البعض، بالإضافة الى أن هرم ماسلو يفترض تسلسل الحاجات من الأكثر أهمية الى الأقل أهمية، وقد لا يكون هذا صحيحاً، فلا يمكن ثبات التدرج الهرمي للحاجات، فالأفراد يختلفون في إدراكهم لأهمية الحاجات والأوزان والقيم التي يعطونها لها.

نظرية حاجات الوجود والتعلق:

بعد ما يقارب الثلاثين عاماً، قدم (ألدرفر) هرمًا جديداً ذو ثلاث مستويات لتصنيف الحاجات، هي حاجات البقاء، وحاجات الانتماء وحاجات النمو، في محاولة لتطوير نظرية تطور الحاجات لماسلو، ومعالجة أوجه النقص بها، فحاجات البقاء هي التي تهتم بالوجود المادي للكائن البشري، ويتم اشباعها من خلال توفير ضمان الوظيفي وتحسين ظروف العمل المادية وتقديم الأجر المجزي، وتتبعها حاجات التعلق والانتماء والتي يتم اشباعها من خلال التفاعل مع محيط العمل والعلاقات مع الزملاء والرؤساء، وحاجات التطور والنمو والتي يتم اشباعها من خلال تطوير الفرد مهاراته وقدراته ومحاولاته المستمرة للعودة والتقدم في السلم الوظيفي.

افتراضات نظرية حاجات الوجود والتعلق والنمو:

عالجت النظرية الانتقال التدريجي للاحتياجات، فافتترضت عدم وجود أولويات في اشباع الحاجات، بل قد يتم اشباع أكثر من حاجة في وقت واحد، كما افتترضت أنه كلما نجح الفرد في اشباع حاجة لديه، كلما ازدادت الرغبة في اشباع حاجة أخرى.

نظرية ذات العاملين:

في عام 1959 قدم هرزبرج نظريته الهامة في تفسير الدافعية في العمل، والتي تحاول تطبيق نظرية ماسلو في مواقع العمل، حيث تنص على أن الرضا عن العمل ليس عكس عدم الرضا عن العمل لأن الأسباب المؤدية إلى الرضا تختلف عن الأسباب المؤدية إلى عدم الرضا، وأن محددات الرضا (العوامل الدافعية) تتعلق بطبيعة العمل ذاته وحاجة الفرد إلى للنمو النفسي وتشمل عوامل (الإنجاز، المسؤولية، النمو، الترقى والعمل ذاته) وهي العوامل المهمة لتحقيق الرضا، لكن نقصها لا يؤدي إلى عدم حدوث الرضا (الحلاق، 1999، ص 19)، في حين أن محددات عدم الرضا (العوامل الصحية) وهي العوامل المرتبطة بمحيط العمل والبيئة وتشمل (الأجر - العلاقات الشخصية، السياسة الإدارية للشركة، ظروف العمل، الحالة الاجتماعية، استمرار العمل، وعوامل متعلقة بالحياة الشخصية للفرد (Glasgow, 1984, Pp 44-49)، وتشير النظرية إلى أن توفر هذه العوامل - في حد ذاتها - لن تؤدي إلى حدوث الرضا الوظيفي، ولكن نقصانها يؤدي إلى حدوث عدم الرضا عن العمل.

افتراضات نظرية ذات العاملين:

تفترض النظرية أن هناك نوعان من المشاعر لدى الفرد العامل هما «الرضا» و«عدم الرضا» وهما ليسا ضدّين؛ لكنهما خطان منفصلان متوازيان (مقار، 2005، ص 125)، كما أن الرضا الوظيفي يتحدد للفرد طبقاً للمشاعر التي يحسها تجاه بعض العوامل المتعلقة بمضمون الوظيفة (العوامل الدافعة أو الإيجابية)، كونها تقوم بدور إيجابي في تحريك ودفع سلوك الفرد نحو زيادة الأداء مما يحقق أهداف المؤسسة.

نقد نظرية ذات العاملين:

على الرغم من مساهمات النظرية العلمية في مجال الإدارة، وفي فهم وتفسير دافعية الفرد وعلاقتها بسلوكه في العمل؛ إلا أنها لم تسلم من الانتقادات التي أشارت إلى أنها لم تأخذ في الاعتبار الاختلافات الفردية فتارةً يظهر الأجر كسبب للرضا، وتارةً أخرى يظهر كسبب لعدم الرضا، وبالتالي كانت هناك صعوبة في تعميم النتائج التي توصلت إليها هرزبرج على جميع الأفراد وفي مختلف الوظائف وفي كافة المجتمعات، بالإضافة إلى أن النظرية اعتمدت على تقسيم مشاعر الفرد إلى مشاعر إيجابية (رضا تام) أو مشاعر سلبية (استياء شديد)، وهو ما يتنافى مع الحقيقة، فقد تتراوح الاتجاهات بين الإيجابية والسلبية.

نوعية الدراسة ومنهجها :

تصنف هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية التي تستهدف التعرف على الأوصاف الدقيقة للظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها من حيث طبيعتها وماهيتها ووصفها الحالي والعلاقات بينها وبين العوامل المختلفة المؤثرة فيها. (Wimmer and Dominick, 1991: 107) وقد اعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعي، إذ يعد من أنسب المناهج العلمية لملاءمة لهذه الدراسة، حيث يستهدف تسجيل

وتحليل وتفسير الظاهرة في وضعها الراهن، وهو بهذا المفهوم يُعتبر المنهج الرئيسي لدراسة جمهور وسائل الاعلام في إطارها الوصفي أو التحليلي، حيث يسمح للباحث بدراسة عدد كبير من المتغيرات في وقت واحد، وتقديم قاعدة معرفية واحدة للبيانات الخاصة بهذا الجمهور، يمكن استخدامها في وصف تركيبته وبنائه، واختبار العديد من الفروض العلمية الخاصة بين هذه المتغيرات (عبد الحميد، 2004: 158-159).

مجتمع الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من القائمين بالاتصال في المؤسسات الصحفية السعودية والبالغ عددهم (800) شخصا وبواقع (96) من الاناث وبما نسبته 12% و(720) من الذكور وبما نسبته 88% من المجموع الكلي.

عينة الدراسة:

نظراً لصعوبة شمول جميع القائمين بالاتصال في المؤسسات الصحفية السعودية (800) ولضيق الوقت وكبر حجم المجتمع المدروس، تم اختيار العينة الطبقية العشوائية وبشكل يتناسب وبنسبة بلغت (30%)، حيث بلغت عينة الدراسة (240) وبواقع (208) ذكور و(32) اناث.

أداة جمع البيانات:

صمم الباحث استمارة استقصاء، تتضمن المتغيرات الرئيسة للدراسة والقابلة للقياس، وتكونت الاستمارة من جزئين :

الجزء الأول يتعلق بأسئلة ذات صلة بالحالة للمبحوث والتي تتضمن المعلومات العامة كالعمر والجنس والراتب والخبرة والمؤهل العلمي والوظيفة.

أما الجزء الثاني فقد تكون من مجموعة من الاسئلة تدور حول مدى الرضا والعوامل المؤثرة في الرضا ومستوى الرضا وعوامل تحقق الرضا. وبعد استعراض الإطار النظري والمقاييس السابقة في مجال الرضا الوظيفي قام الباحث بإعداد مقياس الرضا الوظيفي للصحفيين السعوديين بما يتناسب وأفراد العينة، وتكون المقياس من (26) بنداً في صورته النهائية تندرج تحت ستة أبعاد أساسية هي: (الرضا عن المهام التي تتضمنها الوظيفة، الرضا عن العلاقة مع الرؤساء، الرضا عن مكان العمل، الرضا عن العلاقة مع الزملاء، الرضا عن الراتب والحوافز المادية، الرضا عن فرص الترقية) كما تم تحديد ثلاثة استجابات متدرجة لكل بند وفقاً لطريقة ليكرت وهي: (راض، راض إلى حد ما، غير راض).

اختبارات الصدق والثبات:

اختبار الصدق: قام الباحث بعرض أداة البحث (استمارة الاستبيان) على مجموعة من الأساتذة المتخصصين وعددهم (3)، ثم قام بإجراء التعديلات اللازمة على هذه الأداة طبقاً لملاحظات السادة المحكمين.

ثبات أداة الدراسة:

للتأكد من ثبات الأداة تم استخدام معادلة كرونباخ ألفا على عينة الدراسة الأصلية، وذلك لمعرفة معامل ثبات الاتساق الداخلي للأداة ككل، حيث بلغ معامل الثبات (0.93)، وهي قيمة مرتفعة وكافية لإجراء الدراسة.

المعالجة الإحصائية:

تم استخدام أساليب الاحصاء الوصفي والتحليلي للإجابة عن اسئلة الدراسة من خلال استخدام SPSS، ومن اجل الإجابة عن اسئلة الدراسة تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، مع استخدام اختبار (كرونباخ الفا) للتأكد من ثبات اداة الدراسة. يتوجب الإشارة الى انه تم الاعتماد على نتائج التحليل الاحصائي الوصفي للبيانات التي تشمل المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع محاور الدراسة المستقلة والفقرات المكونة لكل محور.

خصائص توزيع عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (240) عامل وعاملة في المؤسسات الصحفية السعودية ، تم اختيارهم بطريقة عشوائية من مجتمع الدراسة ، جدول (1) يوضح توزيع أفراد العينة تبعاً للمعلومات العامة.

جدول (1) توزيع أفراد العينة تبعاً للبيانات الديمغرافية

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	86.7
	انثي	13.3
العمر	اقل من 25 سنة	16.7
	سنة 25-30	30.0
	سنة 31-35	15.0
	سنة 36-40	16.7
	اكثر من 40 سنة	21.7
	أقل من 5 سنوات	30.0
الخبرة	سنوات 5-10	36.7
	سنة 11-15	8.3
	سنة 16-20	10.0
	أكثر من 20 سنة	15.0
	أقل من الثانوية	0.0
المؤهل العلمي	ثانوية	16.7
	دبلوم	26.7
	بكالوريوس	48.3
	دراسات عليا	8.3

المتغير	التكرار	النسبة المئوية
محرر	148	61.6
صحفي	80	33.0
كاتب	4	1.8
مخرج	8	3.6
المجموع ككل	240	100.0

الوظيفة

جاءت النتائج كما يتضح من الجدول رقم (1) ما يأتي:

أن الذكور شكلوا من حجم عينة الدراسة (208) بنسبة مئوية

(7.86%)، في حين جاءت الإناث (32) بنسبة مئوية (3.13). وحسب إحصائيات جمعية الصحفيين

الكويتيين فإن (نسبة الإناث في الجمعية هي 12%).

جاءت أعلى نسبة مئوية لمتغير العمر (30%) للفئة العمرية (25-30 سنة)، ثم يليها النسبة المئوية

(7.21%) للفئة العمرية (أكثر من 40 سنة)، بينما بلغت أدنى نسبة المئوية (0.15%) للفئة العمرية (31-35 سنة).

ترتبط هذه النتائج بعدة جوانب أهمها رقد السوق السعودي بخريجي اعلام من قسم الاعلام مؤهلين للعمل الصحفي من جهة والاهتمام المتزايد من المؤسسات الصحفية السعودية بتوظيف صحفيين سعوديين مؤهلين.

دلت النتائج على ان أعلى نسبة مئوية جاءت لمتغير الخبرة (7.36%) لسنوات الخبرة (5-10 سنوات)،

ثم يليها النسبة المئوية (0.30%) لسنوات الخبرة (أقل من 5 سنوات)، بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (3.8%) لسنوات الخبرة (11-15 سنة).

كما دلت النتائج ان أعلى نسبة مئوية لمتغير المؤهل العلمي (3.48%) جاءت للمؤهل العلمي (بكالوريوس)، وهذا مرتبط كما اشار الباحث الى رقد السوق السعودي بخريجي قسم الإعلام، ثم يليها النسبة المئوية (7.26%) للمؤهل العلمي (دبلوم)، ولم تظهر أي نسبة مئوية للمؤهل العلمي (أقل من الثانوية).

أما التشكيلة الوظيفية فقد جاءت أعلى نسبة مئوية لمتغير الوظيفة (1.66%) لوظيفة (محرر)، تلاها صحفي (33%)، تلاها مخرج صحفي (6.3%) بينما بلغت أدنى نسبة مئوية (8.1%) لوظيفة كاتب.

نتائج الدراسة:

يتضمن هذا الجزء عرض نتائج الدراسة التي تهدف إلى معرفة الرضا الوظيفي لدى العاملين بالمؤسسات الصحفية السعودية وفيما يلي عرض النتائج وفقاً لأسئلة الدراسة :

السؤال الأول : ما مستوى الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية؟

للإجابة على هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع الفقرات

والمجموع الكلي، جدول (2) يوضح ذلك :

جدول (2)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لجميع فقرات مدى الرضا والمجموع الكلي

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الرضا
1	مدى الرضا عن الراتب	1.97	0.78	9	متوسطة
2	مدى الرضا عن الترتيبات	1.97	0.8	9	متوسطة
3	مدى الرضا عن الاعتراف والتقدير من الرؤساء	1.68	0.75	17	متوسطة
4	مدى الرضا عن مسؤوليات الوظيفة	1.58	0.7	23	منخفضة
5	مدى الرضا عن التشجيع المعنوي لك من قبل الإدارة	1.82	0.77	14	متوسطة
6	مدى الرضا عن نوع العمل الذي تؤديه	1.4	0.56	25	منخفضة
7	مدى الرضا عن انظمة واجراءات العمل حرية (الوصول الى مصادر المعلومات	1.82	0.7	14	متوسطة
8	مدى الرضا عن بيئة العمل المادية (الاثاث، التكييف ، الإضاءة)	1.65	0.66	20	منخفضة
9	مدى الرضا عن ضمانات الوظيفة (الاستقرار)، الاستمرارية	1.83	0.74	12	متوسطة
10	مدى الرضا عن العلاقة مع الزملاء	1.38	0.58	26	منخفضة
11	مدى الرضا عن فرص الانجاز الجيد	1.63	0.64	22	منخفضة
12	مدى الرضا عن المكافآت التشجيعية	2.17	0.78	6	متوسطة
13	مدى الرضا عن فرص التدريب والابتعاث	2.22	0.74	3	متوسطة
14	مدى الرضا على الاشراف	1.83	0.67	12	متوسطة
15	مدى الرضا عن المناخ الوظيفي ومرونة العمل	1.75	0.63	16	متوسطة
16	مدى الرضا عن ارائك في التجديد والابتكار في المؤسسة	1.88	0.69	11	متوسطة
17	مدى الرضا عن العدل والمساواة بين العاملين	2.08	0.72	8	متوسطة
18	مدى الرضا عن المكانة الاجتماعية المكتسبة من العمل	1.65	0.68	20	منخفضة

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الرضا الرضا
19	مدى الرضا عن الثقة والانتماء للمؤسسة	1.55	0.67	24	منخفضة
20	مدى الرضا عن فرص التعبير عن الذات وإبداء الرأي و حرية التعبير	1.67	0.68	18	متوسطة
21	مدى الرضا عن الحوافز التشجيعية المالية الممنوحة لك	2.2	0.78	5	متوسطة
22	مدى الرضا عن بعد مكان السكن عن العمل	1.67	0.73	18	متوسطة
23	مدى الرضا عن الخدمات الصحية	2.22	0.72	3	متوسطة
24	مدى الرضا عن التأمينات الاجتماعية	2.25	0.77	2	متوسطه
25	مدى الرضا عن التشجيعات المالية وغلاء المعيشة	2.42	0.72	1	مرتفعة
26	مدى الرضا عن تأمين النقل من وإلى المؤسسة	2.15	0.78	7	متوسطة
	المجموع ككل	1.86	0.44		متوسطة

يظهر لنا من جدول (2) ما يأتي :

أن المتوسطات الحسابية لجميع فقرات الدراسة تراوحت ما بين (1.38-2.42)، حيث كان أعلاها للفقرة رقم (25) «مدى الرضا عن التشجيعات المالية وغلاء المعيشة» بدرجة رضا (مرتفعة) وهذه النتائج تتعارض مع نتائج دراسة السعيد (2013) ودراسة قضاة وآخرين (2013) ودارسة غالي (2010)، ثم يليها المتوسط الحسابي (2.25) للفقرة رقم (24)

«مدى الرضا عن التأمينات الاجتماعية» بدرجة رضا (متوسطة)، بينما بلغ أدناها للفقرة رقم (10) «مدى الرضا عن العلاقة مع الزملاء» بدرجة رضا (منخفضة) وهذا باري الباحث مؤشر سلبي يتوجب على المؤسسات الصحفية بإيلائه الاهتمام بالإضافة الى الفقرات (4,6,8,10,11,18,19) التي جاءت نتائجها منخفضة، وبلغ المتوسط الحسابي للمجموع ككل (1.86) بدرجة رضا (متوسطة).

السؤال الثاني : هل توجد علاقة بين الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية

والمتغيرات الديموغرافية والوظيفية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج قيمة معامل الارتباط (Pearson Correlation) لرضا العاملين

في المؤسسات الصحفية السعودية والمتغيرات (الجنس، العمر، الخبرة، المؤهل العلمي، الراتب، والوظيفة)، جدول (3) يوضح ذلك:

جدول (3) قيم معامل الارتباط لرضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية مع المتغيرات (الجنس، العمر، الخبرة، المؤهل العلمي، الراتب والوظيفة)

المتغير	معامل الارتباط	مستوي الدلالة
الجنس	-0.219	0.09
العمر	*0.317	0.01
الخبرة	0.132	0.32
المؤهل العلمي	**0.387	0
الراتب	0.05	0.71
الوظيفة	-0.176	0.19

(Correlation is significant at the 0.05 level (2-tailed*)

(Correlation is significant at the 0.01 level (2-tailed**

يظهر من جدول (3) ما يأتي :

بلغت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للجنس (-0.219) وهي قيمة غير دالة احصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05=\alpha$)، وهذا يدل على عدم وجود علاقة بين رضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والجنس وهذا يتفق مع نتائج دراسة المطيري (2009) ودراسة مارجريت (2005) ودراسة سمبل وستيد (2009) بلغت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للعمر (0.317) وهي قيمة دالة احصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05=\alpha$)، وهذا يدل على وجود علاقة طردية ضعيفة بين رضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والعمر وهذه النتائج تتعارض مع نتائج السعيد (2013).

بلغت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للخبرة (0.132) وهي قيمة غير دالة احصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05=\alpha$)، وهذا يدل على عدم وجود علاقة بين رضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والخبرة وهذا يتفق مع نتائج دراسة سكمبل وستيد (2009).

بلغت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للمؤهل العلمي (0.387) وهي قيمة دالة احصائياً عند مستوى الدلالة ($0.01=\alpha$)، وهذا يدل على وجود علاقة طردية ضعيفة بين رضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والمؤهل العلمي وهذه النتائج تتفق مع نتائج أبو شنب (2000).

بلغت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للراتب (0.05) وهي قيمة غير دالة احصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05=\alpha$)، وهذا يدل على عدم وجود علاقة بين رضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والراتب وهذه النتائج تتفق مع نتائج دراسة سكمبل وستيد (2009) وتتعارض مع نتائج قضاة وآخرين (2013).

بلغت قيمة معامل الارتباط بالنسبة للوظيفة (-0.167) وهي قيمة غير دالة احصائياً عند مستوى الدلالة ($0.05=\alpha$)، وهذا يدل على عدم وجود علاقة بين رضا العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والوظيفة وهذه النتائج تتعارض مع نتائج دراسة قضاة (2013).

السؤال الثالث : ما مستويات الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية من وجهة نظرهم؟

للإجابة على هذا السؤال تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على عناصر الرضا، جدول (4) يوضح ذلك :

جدول رقم (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية

الرقم	العنصر	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
2	الرضا عن المهام التي تتضمنها الوظيفة	2.53	1.43	1
3	الرضا عن العلاقة مع الرؤساء	2.65	1.38	2
5	الرضا عن مكان العمل	2.88	1.65	3
4	الرضا عن العلاقة مع الزملاء	2.98	1.41	4
1	الرضا عن الراتب والحوافز المادية	3.48	1.56	5
6	الرضا عن فرص الترقية	3.97	1.28	6

يظهر من جدول (4) ما يأتي :

أن أكثر عنصر من عناصر الرضا ذو أهمية عالية عنصر (الرضا عن المهام التي تتضمنها الوظيفة) حيث بلغ المتوسط الحسابي لإجابات أفراد العينة لهذا العنصر (2.53)، ثم يليه العنصر (الرضا عن العلاقة مع الرؤساء) بمتوسط حسابي (2.65) وهذه النتيجة تتعارض مع نتيجة دراسة قضاة وآخرين (2013)، بينما كان العنصر الأقل أهمية (الرضا عن فرص الترقية) بمتوسط حسابي (3.97) وهذه نتائج تتعارض مع نتائج دراسة أبو شنب (2000).

يرى الباحث ان هذه مؤشرات هامة يتوجب على المؤسسات الصحفية الاهتمام بها والعمل على تحقيقها لان ذلك سببا في نجاح عمل المؤسسات الصحفية.

السؤال الرابع : هل توجد مساهمة داله إحصائياً ($\alpha = 0.05$) لأي من العناصر السابقة في شرح التباين في الرضا عن العمل لدى موظفي المؤسسات الصحفية السعودية؟
للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبار الانحدار المتعدد لشرح التباين في الرضا عن العمل لدى موظفي المؤسسات الصحفية السعودية بالنسبة للمتغيرات الديمغرافية والوظيفية .

جدول (5)

R قيمة ²	مستوى الدلالة	قيمة F	مربع المتوسطات	درجات الحرية	مجموع المربعات	النموذج
الانحدار	0.9200	6	0.1530	0.7800	0.580	0.080
الخطأ	10.418	53	0.1970			
المجموع	11.338	59				

نتائج تحليل التباين الاحادي :

يظهر لنا من جدول (5) ما يأتي :

قيمة F بلغت (780.0) وهي قيمة غير دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$) ، كما بلغت قيمة 2R (08.0) وهي قيمة ضعيفة جداً.

جدول (6)

نتائج تحليل الانحدار المتعدد بالنسبة للرضا عن العمل مع عناصر الرضا

العنصر	B قيمة	T قيمة المحسوبة	مستوي الدلالة
الرضا عن المهام التي تتضمنها الوظيفة	-0.0690	-0.4500	0.650
الرضا عن العلاقة مع الرؤساء	-0.1380	-0.8960	0.370
الرضا عن مكان العمل	0.1730	1.164	0.240
الرضا عن العلاقة مع الزملاء	0.0750	0.4610	0.640
الرضا عن الراتب والحوافز المادية	-0.0570	-0.3800	0.700
الرضا عن فرص الترقية	-0.0210	-0.1530	0.870

يظهر لنا من جدول (6):

أن قيم T المحسوبة لعناصر الرضا الستة بلغت (-0.450، -0.896، 1.164، 0.461، -0.380، -0.153) على التوالي ، وهي قيم غير دالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0.05$)، وهذا يدل على عدم وجود مساهمة لأي من العناصر الستة في شرح التباين في رضا الموظفين عن العمل في المؤسسات الصحفية السعودية وهذه النتائج تتعارض مع دراسة السعيد (2013)، قضاة وآخرين (2013)، مقار (2005) ودراسة المطيري (2009).

النتائج :

بعد مناقشة البيانات أعلاه توصلت الدراسة للنتائج التالية :

جاءت نتائج الدراسة لتبين ان أعلى متوسط حسابي (2.42) للفقرة رقم (25) «مدى الرضا عن التشجيعات المالية وغلاء المعيشة» بدرجة رضا (مرتفعة)، ثم يليها المتوسط الحسابي (2.25) للفقرة رقم (24) «مدى الرضا عن التأمينات الاجتماعية» بدرجة رضا (متوسطة)، بينما بلغ أدنى متوسط الحسابي (1.38) للفقرة رقم (10) «مدى الرضا عن العلاقة مع الزملاء» بدرجة رضا (منخفضة)، وبلغ المتوسط الحسابي للمجموع ككل (1.86) بدرجة رضا (متوسطة). أكدت نتائج الدراسة بعدم وجود علاقة بين الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الصحفية السعودية والمتغيرات الديموغرافية والوظيفية.

جاءت نتائج الدراسة بأن أكثر عنصر من عناصر الرضا ذو أهمية عالية عنصر (الرضا عن المهام التي تتضمنها الوظيفة حيث بلغ المتوسط الحسابي لإجابات أفراد العينة لهذا العنصر (2.53)، ثم عنصر (الرضا عن العلاقة مع الرؤساء) بمتوسط حسابي (2.65)، بينما كان العنصر الأقل أهمية (الرضا عن فرص الترقية) بمتوسط حسابي (3.97).

جاءت نتائج الدراسة لتؤكد بعدم وجود مساهمه لأي من العناصر الستة في شرح التباين في رضا الموظفين عن العمل في المؤسسات الصحفية السعودية.

بينت الدراسة عن ارتفاع درجة الرضا عن الحافز التشجيعي واعتباره بأهم العوامل للحصول علي الرضا الوظيفي .

أثبتت الدراسة عدم رضا العاملين بالمؤسسات الإعلامية السعودية عن الراتب واعتبروه أحد الأسباب في حصول عدم الرضا الوظيفي .

كشفت الدراسة عن رضا العاملين عن المهام الموكلة لهم بمقتضي الوظيفة .

التوصيات:

في ضوء النتائج التي اسفرت عنها هذه الدراسة، يوصي الباحث بما يأتي:
ضرورة اهتمام المؤسسات الصحفية السعودية بنتائج هذه الدراسة وغيرها من الدراسات لرفع كفاءة العاملين فيها مما يتعكس ايجابا على العمل الصحفي السعودي
ضرورة إجراء دراسات مماثلة.

المصادر والمراجع:

المراجع العربية :

- (1) أحمد بن محمد الجميعة، 2010، الممارسة المهنية الصحفية والعوامل المؤثرة فيها - دراسة ميدانية على عينة من الصحف والصحفيين في المملكة العربية السعودية رسالة دكتوراه، قسم الإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (2) بطرس جرجس الحلاق، 1999، العوامل المؤثرة على الرضا الوظيفي لدى العاملين في المؤسسات الإعلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام .
- (3) ريم فاطم معجل المطيري، 2009، الرضا الوظيفي لدى الصحفيات السعوديات والعوامل المؤثرة فيه «دراسة وصفية مسحية، ضمن متطلبات الحصول على الماجستير في الإعلام، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد الإسلامية.
- (4) سالم تيسير الشرايدة، 2008، الرضا الوظيفي: أطر نظرية وتطبيقات عملية، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- (5) <http://kenanaonline.com/users/khalidalzwaidd/posts/342679>، 2011، خالد إبراهيم الزويد
- (6) صلاح الدين عبد الباقي، 2005، مبادئ السلوك التنظيمي، كلية التجارة، جامعة الإسكندرية، الدار الجامعية.
- (8) كامل عباس، 2002، مفاهيم حديثة في علم الإدارة (الرضا الوظيفي نموذجاً)، القاهرة، مكتبة الأنوار.
- (9) كاميليا يوسف الجناني، 2001، مبادئ السلوك التنظيمي، معهد المدينة العالي للإدارة والتكنولوجيا.
- (10) مارجريت سمير ساويرس مقار، 2005، العوامل المؤثرة على الرضا الوظيفي للقائمات بالاتصال في الصحافة المصرية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاعلام.
- (11) محرز حسين غالي، 2010، أساليب تنظيم وإدارة الجهاز التحريري بالصحف المصرية وعلاقتها بالاستقلال المهني للمحررين ومدى شعورهم بالرضا الوظيفي، المجلة المصرية لبحوث ال أري العام، المجلد 10، العدد 2، يوليو- ديسمبر 2010.
- (12) محمد إبراهيم التويجري، 1988، المواقف الوظيفية والرضا الوظيفي للعاملين من السعوديين وغير السعوديين في الشركات متعددة الجنسيات «دراسة ميدانية مقارنة»، المجلة العربية للإدارة، مجلد 12، العدد 3.
- (13) عبد الحميد، محمد، 2004، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية.
- (14) الطبعة الثانية، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة.
- (15) محمود محمد السيد، 1998، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الناشر مركز التعليم المفتوح، جامعة عين شمس، القاهرة.
- (16) مريم بخاري، 1986، الرضا الوظيفي للعاملات في التعليم العام في ضوء اللائحة التعليمية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى.

- (17) مصطفى محمود والسيد طه حسنين، 2005، المدير وتنمية سلوك العاملين: مدخل استراتيجي لإدارة السلوك الإنساني والتنظيمي في المنظمات المعاصرة، مطابع الولاء الحديثة، القاهرة، مصر.
- (18) منصور محمد المعمر، 1993، الرضا الوظيفي لدى الموجهين التربويين والموجهات التربويات وعلاقته بأدائهم الوظيفي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- (19) نادر أحمد أبو شيخة، 1998، الرضا الوظيفي لرجل الأمن في أجهزة الأمن العربية، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية.
- (20) ياسر يوسف عبدالمعطي وتريسا ماي لشر، 2007، الرضا الوظيفي للمكتبيين العاملين بمكتبات كليات ومعاهد الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بالكويت. مجلة التربية، س.36، ع.160.
- (21) يوسف السعيد، 2013، دور العلاقات العامة في تحقيق الرضا الوظيفي للعاملين في صحيفتي الرأي والكويت تايمز الكويتيتين رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
- (22) حسين أبو شنب، 2000، دور قائم بالاتصال في مؤسسات الإعلام الفلسطيني، بحث غير منشور مقدم للمؤتمر العلمي الثاني لقسم الدراسات الإعلامية، معهد البحوث والدراسات الاعلامية بالقاهرة/ جامعة الدول العربية.
- (23) أبو شيخة، نادر، 1998، الرضا الوظيفي لرجل الأمن في أجهزة الأمن العربية، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية.
- (24) البخاري، مريم، 1986، الرضا الوظيفي للعاملات في التعليم العام في ضوء اللائحة التعليمية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى.

المراجع الأجنبية :

- (1) practice. Paper presented at the annual meeting of the International Comm., Association, New York.
- (2) R.W. Scambel and B.N.A. 2009. Stead: Study of Type and Tenure as it Pertains Job Satisfaction, Journal of Library Administration, 1, 3-18.
- (3) Sierpe, Eino. 1999. Job satisfaction among librarians in English Language universities in Quebec. Library and information science research, 21 (4) Available at:
- (4) <http://www.sciencedirect.com. www.snd11.arn.dz/scie nce/ article/pii/S0740818899000250>
- (5) Spector, Paul E. 1997. Job satisfaction: Application, Assessment, Causes, and Consequences. New York, Sage Publications.
- (6) Steve M, Jex. 2002. Organizational Psychology: A scientist Practioner Approach. New York, John Wiley and Sons.
- (7) Togia, Aspasia et al. 2004. Job Satisfaction among Greek Academic librarians. Library & Information science research, Vol.26. Available at: <http://www.sciencedirect.com. www.snd11.arn.dz/scie nce/article/pii/S0740818804000180>
- (8) Qudah, Mohammed et al. 2013, Job Satisfaction of Employees of Jordan Radio and Television, International Journal of Humanities and Social Science, 3 (12).
- (9) Wimmer, Roger, D. and Dominick, Joseph, R. 1991. Mass Media Research: An Introduction. 3rd ed. Wadsworth Publishing Company, Belmont, California.
- (10) Arthur Li- Jing, Brian L. Massey. 2008. Factors Related to Journalists Job satisfaction, Meta analysis and path model. Paper presented at a session for media management and Economics Division at the convention held by AEJMC, Chicago.
- (11) Badawi, Ghaji. 2006. Factors affecting the levels of job satisfaction of female librarians in Nigeria: a test of HERZBERG's hygiene/ motivator factors. Samaru Journal of Information Studies, 6 (1-2). Available at: <http://www.ajol.info/index.php/sjis/article/view/40591> C. J.
- (12) Cranny; Patricia Cain Smith; Eugene F. Stone. 1992. Job Satisfaction: How People Feel about Their Jobs and How It Affects Their Performance. New York: Lexington Books.
- (13) Chantal Rivalean. 2003. "Les theories de la motivation"
- (14) <http://www.cadredesante.com/spis/IMG/pdf/doc- 85.pdf>.
- (15) Glasgow, B. L. 1984. Job satisfaction Among Academic Librarians, North Texas State University.
- (16) Hart, Genevieve. 2010. Job satisfaction in a South African academic library in Transition. The Journal of Academic Librarianship, 36(1). Available at: <http://www.sciencedirect.com. www.snd11.arn.dz/scie nce/article/pii/S0099133309002043>
- (17) Kris Kodrich. 2007. Chile's Regional Journalists in the 21st century: Attitudes, Behavior, and Job satisfaction of news media. Paper presented at the annual meeting of the International Comm., Association, San Francisco. Rhonda Breit. 2010. Towards a Theory of Journalism as.

جيوب المقام العربي في الغناء الشعبي بالسودان

باحث في التراث - يمني سوداني

أ.د. نزار محمد عبده غانم

مستخلص:

نهدف الدراسة إلى استعراض جيوب ثقافية شعبية في شرق وغرب الريف السوداني التي يقوم بعض نظامها النغمي على المقامية العربية في شكل المقام السباعي النغمات أو ما هو دون السباعي المؤسس على السكك المقامية مقارنة بباقي التراث الطربي والحركي السوداني الغزير الذي يستأثر النظام الموسيقي الخماسي بأغلبيته المطلقة ويمنحه لونه الصوتي ونكهته الموسيقية البنتاتونية (pentatonic scales). و نستعرض وفود هذا النمط من الأداء و تمدده الى العاصمة بحيث اشتغل عليه علماء موسيقى الشعوب في الخرطوم من باب دراسة التراث بمنظور علم موسيقى الشعوب (ethnomusicology) كما فعل أرشيف تراما للموسيقى التقليدية السودانية بمساعدة مؤسسة فورد في كلية الدراسات الأفروآسيوية بجامعة الخرطوم . و كذا نستعرض اقتباس الثيمات الإبداعية في أغاني و رقصات مجدي التراث التي وجدت قبولا من الجمهور لأنها لم تقطع مع التراث المحلي بل أسهمت في تنميته من خلال استدعائه فأكدت التنوع الثقافي للسودان الواسع و جسرت الصلة بين الجماعات المنزوية جغرافيا و المنصات الإعلامية في المركز و الصناعات الثقافية التي تستأثر العاصمة الخرطوم بأكثرها تطورا تكنولوجيا . و ما لبثت بعض هذه التجارب التجديدية أن روجت للسودان سياحيا و ثقافيا في أرجاء المعمورة فأسهمت بدورها في تعزيز اقتصاد الفن. وتخرج الورقة باستنتاجات لعلها في حد ذاتها مدعاة للنقاش في الهوية الثقافية من خلال المقاربة الموسيقية و الكوريوجرافية.

Pockets of the Arabic Maqam in Sudanese folk singing

Prof. Nazar Mohamed Abdo Ghanem

Absract:

The study aims to review pockets of popular culture in the east and west of the Sudanese countryside, some of whose tonal system is based on the Arabic maqam in the form of the seven-tone maqam, or something below the seven-tone, based on the maqam sound, compared to the rest of the abundant Sudanese musical and movement heritage, the majority of which is the pentatonic musical system. Absolute and gives it its sonic color and pentatonic musical flavor. We review the delegations of this style of performance and its expansion to the capital, where ethnomusicologists in Khartoum worked on it in order to study the heritage from the perspective of ethnomusicology, as did the Trama Archive of Sudanese Traditional Music with the assistance of the Ford Foundation at the Faculty of Afro-Asian Studies at the University of

Khartoum. We also review the adaptation of creative themes in the songs and dances of heritage restorers, which found acceptance among the public because they did not break with the local heritage, but rather contributed to its development by recalling it, thus confirming the vast cultural diversity of Sudan and bridging the link between geographically isolated groups and the media platforms in the center and the cultural industries. The capital, Khartoum, has the most technological development. Some of these innovative experiences quickly promoted Sudan tourism and culture throughout the world, and in turn contributed to strengthening the art economy. The paper comes up with conclusions that may in themselves be a reason for discussion about cultural identity through the musical and choreographic approach.

تعريفات:

النغمة (Tone): هي العنصر الأساس الذي يميز الأصوات الموسيقية عن غيرها، حيث لا يكون الصوت نغمة إلا إذا كانت الترددات التي تصدر عنه منتظمة.

المقام (Maqam): هو المادة الخام، التي تُصنع منها الألحان الموسيقية، ويتكون من سبع درجات نغم تبدأ من درجة القرار، أو أساس المقام في صعود مُتتالٍ حتى درجة الجواب ليُصبح العدد ثمانية. **الجنس (Tetra chord):** أو تتراكورد، وهو ما يُعرف تاريخياً في موسيقى العرب بـ البُعد ذو الأربع، يتكون من أربع درجات نغم متتالية، تحصر بينها ثلاث أبعاد مختلفة القيمة.

اللحن (Melody): تركيب عدة نغمات أفقياً وفق تسلسل محدد يطلق عليه منظومة نغمية أو مقام أو راجا أو سلم موسيقي، بحيث تكون هذه النغمات، في علاقتها هذه، جملاً موسيقية، وتكون الجمل في نهاية الأمر اللحن المستهدف بداية ونهاية. واللحن الجيد كما القصة الجيدة المحبوكة بإتقان، له بداية تقوده بسلسلة إلى قمة التفكير الموسيقي ثم تهبط بسلسلة أيضاً إلى النهاية المسماة (القفلة).

المقام الخماسي أو السلم الخماسي (Pentatonic scales): هو سلم موسيقي يتكون من خمس نغمات (أصوات) في كل طبقة صوتية انطلاقاً من جهة القرار، على نقيض السلم السباعي الذي يتكون من سبعة نغمات سواء كان سلماً كبيراً أم صغيراً. ويختلف موقعا فراغا النوتتين في السلم الخماسي، ويلاحظ أنه أصغر منه بدرجتين اثنتين. غير أن غياب هاتين الدرجتين من السلم الخماسي لا يخلّف أي إحساس بنقص في الألحان الناهضة عليه.

الإيقاع (Rhythm): الإطار الزمني الذي تبني عليه الألحان. ويقسم هذا الإطار إلى وحدات تبدأ بالوحدة الكاملة، ثم نصف الوحدة، فربعها، فثمنها، هكذا إلى أصغر الوحدات الممكنة الأداء. والإيقاعات في الغالب الأعم إما بسيطة، ثنائية أو ثلاثية أو مركبة من النوعين كما أن هنالك ألحان مرسلة غير منضبطة بإيقاع محدد كما في بعض التراتيل والإنشاد أو الأهازيج الدينية. (Adlib) انظر: (على الضوء، 2019م).

الفصل الأول: تمهيد تاريخي:

لأسباب تاريخية من حقب مختلفة من التاريخ القديم والوسط والحديث و المعاصر تتوزع هذي الجيوب الثقافية (المقامية) في شرق وغرب السودان مشيرة الى مراحل معينة من تغلغل النفوذ الثقافي العربي في السودان الذي ظل أرض مهجر للعرب قبل وبعد الإسلام وتجايلت وتناقفت حضاراته الكوشية الرائدة عالميا (نبتة و كرمة و مروحي) وحضاراته النوبية المسيحية (نوباديا و المقررة وسوبا) والسنارية الإسلامية ثم المراحل الاستعمارية (التركية الأولى و الحكم الثنائي) مع الجماعات والأفراد القادمين اليه بنية الاستقرار والعمل في أنشطة اقتصادية مختلفة . و قد أتى هذا كجزء من المحمول الثقافي الذي حمله العرب للسودان عبر التحركات السكانية الجماعية فأثروا و تأثروا ذلك أن عراقا الحضارة الزراعية السودانية المستقرة في النيل و الأنهار الأخرى الجارية و الموسمية طورت مدينتها و وسائل انتاجها الخاصة و تلك الاراضي الشاسعة المستفيدة أيضا من نظام الري المطري و أسست لجماعات وطنية مستقلة مستقرة تعتاش على الزراعة بنوعها المروي و المطري، و احتضنت عددا كبيرا من الاعراب البدو في السهوب الفسيحة التي مثلت موئلا مناسباً للقبائل المنحدرة من مجموعة جهيئة القضائية التي أقبلت على اقتصاد الرعي للابل و الابقار فنشأت التجارة النشطة من وفرة الفائض مع الخارج و حملت الى جانب البضائع الأفكار الإبداعية إضافة لما حوته جبال السودان من المعادن النفيسة حتى عرفها المؤرخون باسم (ارض المعدن). ونعود هنا لنؤكد أن الوطنيين استطاعوا أن (يسودنوا) مجمل الوافد عليهم من عرب وأفارقة وآسيويين، حتى أن قبيلة ربيعة العربية القادمة من وسط الجزيرة العربية والتي أسست امارة الكنوز الإسلامية (852-1073م) في أسوان والبجة والنوبة وحلفا وكانت اسماعيلية المذهب ما لبثت أن فقدت لسانها العربي وأصبحت تتخاطب بلهجة محلية مما يعرف بالرانة الكنزية و يتحدث بها عدد من الحلفاويين بالسودان. و من الكنوز الموسيقي والشاعر والاديب ابن الزبير الغساني الرشيد (ت 1166م) صاحب (المقامة الحصصية امنية الامعي ومنية المدعي) و بها فصل عن الموسيقى . و كان قد زار عدن عام 1144 م زمان دولة بني زريع الاسماعيلية المذهب (-1137 1173م) موفدا من الخليفة الفاطمي بمصر وصار له شأن في عدن حتى سمي علم المهتدين لكنه فوجئ بان سواد لونه دفع أحد الشعراء الى ذكر ذلك في قصيدة جاء فيها :

وقالوا بعثت لنا علم المهتدين ولكنه علم اسود

وإذا كانت هجرات العرب قد تزامنت مع الاختراق الإسلامي لأرض النوبة والبجة حتى دانت لهم الأرض وأسسوا امارات إسلامية على أنقاض ممالك النوبة المسيحية (نوباديا والمقررة وسوبا)، فان عبقرية المكان السوداني قد خلقت مزيجا عرقيا وثقافيا مع الوافدين بحيث أصبح لسودان وادي النيل شخصية سودانية اسلامية مستعربة مستقلة أخذت تنظر بحذر الى الوافدين العرب الجدد بدءا من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. ودونك دليلا على ذلك أن جماعات نجدية وحجازية وحضرية لم يعد المكان يرحب بها كما سبق اذ اصطدمت مصالحها مع مصالح الذين سبقوهم الى البلاد وسبقوهم الى الانصهار العرقي مع سكانها الوطنيين الذين اعتنقوا الاسلام فأصبحوا نموذجا على ملامح ثقافة إقليم (الحزام السوداني) الذي عدد مرتكزاته المفكر السوداني د. عبد الهادي صديق (ت 2000م). (عبد الهادي صديق، 2005م)

ظهور الدوبيت:

فمن ملامح التأثير الثقافي الاسلامي (عربي و فارسي) دخول فن الدوبيت المغنى الى السودان زهاء القرن السادس عشر الميلادي. و عرف الدوبيت حينها في السودان بالحداء و بالدوباي.

ظهور الطنبور:

و يذكر الرحالة الدغماركي كارستن نيبور (ت 1815م) خلال رحلته من مصر الى اليمن مارا ببلدة دنقلا السودانية انه شاهد هناك آلة الطنبور عام 1776م مما يقدم دليلا على وجود تلك الالة الوترية في شمال السودان.

عطشة حجازية وخنقة نجدية وذبحه حضرمية !:

و ذكر كاتب الشونة احمد بن الحاج أبو علي (ت 1838م) أن الشيخ ناصر بن محمد، أحد ملوك سلطنة سنار، وصل إلى سدة الحكم سنة 1786م ودام ملكه نحو اثني عشر عاماً تغلب فيها عليه وزيره دفع الله ود الزقلوته. ولم يكن وزراؤه على قدر كبير من الإنصاف، ف وقعت في عصره حروب وأهوال. وقد أمر بقتل جماعة في عهده منهم (د. إبراهيم القرشي، افادة، 2022م): -

حجازي هو سبط الشيخ ادريس ود الارباب (ت 1650م) قتله عطشاً.

نجدي فقيه قتله خنقاً.

حضارمة قتلهم ذبحاً .

و أصبحت الحادثة مثلاً فصار الناس يقولون: (عطشة حجازية وخنقة نجدية وذبحه حضرمية). وتبقى قضية التنافس على الأرض سلطة و ثروة و وسائل انتاج ،في فترة ازدهرت فيها أيضاً تجارة الرقيق في السودان الحديث، خارج إطار هذا البحث.

النادرة سلوكه و دلوكه ! : قبل ذلك في القرن السادس عشر الميلادي دفع الشيخ تاج الدين البهاري البغدادي (حضر للسودان نحو 1577م) ناشر الطريقة القادرية بالسودان تلميذه محمد بن عبد الصادق الركابي (محمد الهميم) حفيد غلام الله بن عائد اليميني للسكن بسوق اهل اليمن والحجاز لمدة سبعة أعوام يعتزل فيها الناس حتى ينال الدنيا والدين واسم تلك المنطقة (النادرة) سلوكه ودلوكه. وقد فسر د. يوسف فضل حسن في تحقيقه لطبقات ود ضيف الله المفردتين بقوله: -

سلوكه:

أداة زراعية مطرية او حرف كناية عن خصوبة الأرض وسهولة الزراعة ووفرة العطاء.

دلوكه:

طبله كبيرة الحجم للرقص كناية عن ترف القوم. لكنه لم يذكر مما تصنع أو بماذا تجلد. و في دراسته الرائدة (الموسيقى ومكانتها في كتاب طبقات ود ضيف الله) وصف الباحث الموسيقي د. علي الضو الدلوكه بأنها طبل أسطواني نسائي يصنع من الفخار ثم ينحط قليلا في الوسط معطيا شكلا مخنصرا. وتجلد الدلوكه، على الفتحة العليا فقط، بجلد ماعز ويستخدم الصمغ في تثبيت الجلد ولا يشد عليها بسيور خشية أن ينكسر الفخار. وعندما يرتخي الجلد يشد بتعريضه للهب أو أشعة الشمس والمسح عليه براحة اليد. وعلى هذه الالة يوقع السودانيون أغانياتهم المسماة (أغاني السيرة).

ورغم اننا يمكن أن نستنتج من هذا ان الشيخ محمد الهميم عند عودته من النادرة أرض الدلوكة قد حمل ثيمات مقامية عربية أو إيقاعات ذكر ديني سيما في فن المدائح الا أننا لا نجد اثرا ميلوديا او إيقاعيا لذلك في مجمل المديح النبوي السوداني الذي بدوره أثر في نمط أغنيات مرحلة حقيقية الفن (1923-1947م) الهامة في تشكيل الذائقة الموسيقية السودانية المعاصرة. ان النظام النغمي للمديح النبوي في السودان خماسي بالكامل رغم وفرة القصائد التي دخلته من الشاعر اليمني عبد الرحيم البرعي (ت 1400م) مثلا، وكذلك هو الأداء الصوتي للأذان وترتيل القرآن. (على الضو، افادة، 2023م).

كما قدر للرحالة محمد بن عمر التونسي (ت 1857م) في رحلته الى دارفور بغرب السودان في العام 1803م أن وصف رقصات طالعته هناك. ويقال انه قد تمكن من تنويع أغنية هناك ووصفها، لكن الطبعة المتاحة من كتابه هذا لا نقف فيها على تلك النوتة الموسيقية التي كان من شأنها ربما أن تعكس لنا النظام النغمي الذي كانت عليه رقصات فوراوية، وقد أفادني عالم الموسيقى د على الضو أنه وقف عليها ولم يجدها بشيء!

مرحلة الحكم التركي المصري (1823-1885م): الخرطوم مدينة مفتوحة:

في اطروحتة للدكتوراه في التاريخ بجامعة القاهرة يورد احمد سيد احمد تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري 1820-1885م ما يمكن أن يعتبر وثيقة على حضور غناء ورقص وافد مبتذل قائم على تقاليد موسيقية وافدة من مصر وغيرها من البلدان التي تقوم موسيقى بعضها على المقامية العربية في فترة الحكم التركي المصري للسودان 1820-1885م. أنقل بتصرف: « ذوو المال في الخرطوم يقتنون الجواري ويجبروهن على البغاء والرقص بمقابل يعود للمالك منهن حبشيات وزنجيات وقليل من المصريات واقل من السودانيات. والانديات (الحانات) وبيوت المريسة (الجعة) منتشرة. وكانت العوالم يوميا تقيم حفلات رقص وغناء يؤمها الجميع خاصة أن حاكم مصر عباس باشا (دام حكمه بين 1844 و 1854م) طرد الكثير منهن من القاهرة فانتھن الى الخرطوم وكن يؤدين في مناسبات زواج- ولادة- طهور- ترحيب بضيف - أو مناسبة قومية. و الغوازي الزنجيات يرقصن بالرحط (قطعة جلدية تستر عورة المرأة) والمصريات بالسترات الحريرية والبنطلونات الوردية الواسعة على أنغام الات موسيقية معروفة هذه الأيام رقصا تركيا - مصريا - اسبانيا كل ببدلته. والمغنيات يؤدين اغان مصرية - سودانية - حبشية وبعض التمثيل والأدوار المضحكة في بيوت عليا القوم في افنية المنازل او الساحات التي امامها والمدعوون يمتدون على العنقريات (سرير تربط فيه الحبال على الخشبات الأربع) ويكون شكل العرض بفناء المنزل من ثلاثة اضلاع والضلع الرابع يخصص مسرحا للرقص والغناء. ». والملاحظ ان هذا الباحث انفرد بهذا الوصف الذي لا نجد ما ينهض لتأييده في مجمل الأدبيات التاريخية عن تلك الحقبة؟! ولكن بالطبع كانت انتفاضة الامام محمد أحمد المهدي (ت 1885م) جزئيا بسبب مثل تلك التجاوزات الأخلاقية للسلطة الحاكمة في ذلك الأوان. ويبدو أن هذا الافساد الذي ترعاه السلطة تساق مع انتشار تجارة الرق التي يشير اليها المثقف التنويري المصري رفاعة رافع الطهطاوي (ت 1873م) الذي كان ناظرا للمدرسة الأميرية في الخرطوم للسنوات 1854-1849م في قصيدة له صب جام غضبه على النخاسين ومنهم محليين و قد كانوا يمارسون (التوليد) بين الأرقاء للحصول على الذرية الجميلة

أو القوية أو الذكية التي تعود عليهم بالمكسب المالي الوفير. يقول في قصيدته: -
واكرأ الفتاة على بغاءٍ مع النهي ارتضوه باتحاد
نتيجته (المؤلّد) وهو غالٍ به الرغباتُ دوماً باحتشاد
لهم شغفٌ بتعليم الجوّاري على شبق مجاذبة السفاد
و نشرت صحيفة الاهرام القاهرية عام 1896م عريضة تقدم بها شيخ السجادة القادرية بالخرطوم
الشيخ علي عبدالله الى الحكمدار غردون (ت 1885م) ان زاويته للعبادة تكتنفها منازل جملة للعاهرات
اللواتي يقلقن راحة العباد بالجلبة و الرقص و النقر على الدفوف و الضرب على آلات الطرب . و كانت
الجوّاري يخرجن الى الشوارع يغنين الاغاني الخليعة كيدا بالنساء الحرائر ربات الخدور كما يسددن الدرب
على الشباب بمثل غنائهن:-

كندورك كندورك ما بناخذ العزبان
نعزل في التلّوب رجالة النسوان
نطلع فوق قلوبهن و نوقد النيران
و نسقيهن مراير الجيزان

الموسيقى السردارية و وظائفها:

كان التأثير المصري المتعتمدين في موسيقى السودان في فترة الحكم الأول (1823-1885م) أو ما يعرف
ب (التركية الأولى) يأخذ تسمية (الموسيقى السردارية) لتدريب أعضاء الموسيقى العسكرية المعروفة عثمانيا
بالطبلخانة. أن الآلات النفخية النحاسية والخشبية المستخدمة في الجيش لا تحتوي على بعد ثلاثة ارباع
التون، لذا غالبا ما تكون المعزوفات العسكرية تلك من مقام العجم والكرد والنهاوند و الحجاز، والمعروف
أن مقام العجم هو الأكثر حضورا في الأداء الموسيقي العسكري وهو خال حتى من نصف التون. ويمكن
تطبيق مارشات أوروبية على مقام العجم من خلال مقام دو ماجور أو سي ماجر (C major).
وتهدف الموسيقى العسكرية الى تحقيق ثلاثة اهداف (علي يعقوب كباشي، افادة، 2023م):-
تنظيم التدريب العسكري و التدريب على لحن السير و هو المارش.
التقاليد العسكرية كالمراسيم وعزف الأناشيد.

رفع المعنويات:

وفي عام 1858م زار خديوي مصر سعيد باشا الخرطوم و أمر بتكوين فرقة موسيقية من شباب
القبائل السوداء اللون فبرز فيهم اليوزباشي عبدالله عدلان ابن أحد قادة الفونج سلاطين سنار و أصبح
مايسترو و قائد لتلك الفرقة .
كما أن الزبير باشا رحمة (ت 1913 م) استجلب من مصر لوحداته المكونة من عبيد سابقين من
مناطق الجنوب و الانقسنا و جبال النوبة و دارفور(الباسنجر) عددا غير قليل من الآلات الموسيقية الحديثة
منها : طبل النحاس - الدوني - الصفارة - الزنقار الهوائي كالناي الخشبي - الصاجات النحاسية ، فأصبحت
الموسيقى العسكرية أساسية في الأشغال الحربية بالسودان. و في عام 1884م زاد عدد الطبول و الابواق في
فرق الموسيقى السردارية.

وفي عام 1888م قام ضباط انجليز بترتيب الأورط أو الكتائب السودانية في الجيش المصري و أدخلوا عليها تنظيمًا حديثًا. و كانت الأورط السودانية مكونة من أرقاء سابقين. و قد ذكر الرحالة الانجليزي جيمس هاملتون عند زيارته الخرطوم عام 1851م أنه وجد روحا أبيقورية عند الراقصات الشابات الحسنات من شريحة الرقيق المحرر في حفلة موسيقية دعي إليها مقارنة بالسيدات اللواتي كن يجلسن في الخلف متلفحات بالخمار.

وأتاحت حلقات (خيوط الدراويش) في القاهرة بموسيقاها الصوفية المصرية لعدد من المريدين السودانيين بزيهم الأخضر أو الأبيض التعرف على عيون الانشاد الصوفي المصري و ممارسته في ذلك الحين. **مضوي المحسي... الشيخ الفنان و حفيد ادريس ود الأرباب:** كما تفرد في قبيلة المحس الشيخ مضوي الحفيد للشيخ ادريس ود الأرباب المحسي (ت 1650 م) بانشاء عدد من أغاني العاطفة المتشعبة بالجمال الى جانب الشائع يومها من أهازيج محصورة جغرافيا حسب اثنيات القبائل اضافة للمديح النبوي الغزير . و بعض هذا الخليط من الغناء تحول الى مارشات عسكرية و غناء روحي و أهازيج ما زال اثرها ملموسا في القرن الحادي و العشرين الميلادي. و لما حظر الحكم المصري التركي أداء المديح لفترة احتج عليهم الشاعر المادح حاج الماحي (ت 1871م) بأنهم كانوا قد رخصوا في ذلك للشيخ و الشاعر و الراوية المادح المصري حنين الذي كان أول من أدخل الطار الى المديح السوداني قادمًا من مصر.

مرحلة المهديّة (1898-1885 و 1899م) :

رغم تحريم المهديّة للطرب و آلاته الا أنها قامت بتوظيف المدرس التركي السابق لموسيقى الجيش المصري التركي و جعلته يقوم بالتدريب للجند على القرب المقدمية المعروفة باسم (أمبايا) و على المزامير والطبول و كان مركز العرض الموسيقي هو منطقة (العرضة) في عاصمة المهدي أم درمان.

الحكم البريطاني المصري (1898-1956م):

العود العربي في السودان: بعد زوال المهديّة استعادت الطرق الصوفية احتفالاتها بالأذكار المغناة و الأناشيد بالمولد النبوي و كان منها طريقة السادة الأحمدية الادريسية في مقرهم بمنطقة الموردة في أمدرمان. و قد كانوا يستجلبون من مصر جوقة المديح النبوي مع استخدام الرق بالذكر فمن منشديهم الذين عرفوا:- أحمد خليل (مصري) و كان عازف عود عربي بارعا.

محمد تميم الدار (سوداني) عازف عود عربي . و كان ضابطا متقاعدا بالجيش المصري و قيل هو أول من أدخل آلة العود للسودان من مصر حينما اصطحبها معه في حملة كتشنر على الخرطوم عام 1898م. وهذان هما من أسهما في دخول العود العربي للسودان و تعليم بعض الراغبين في العزف عليه في مقدمتهم الفنان السوداني خليل فرح بدري أفندي (ت 1932م) من خلال حضوره احتفالات الادارسة. لكن مصادر اخرى تشير الى ان خليل فرح تعلم الموسيقى العربية و آلة العود عند استبطابه اول مرة في مصر عام 1927م. كما تشير مصادر الى أن لحنه (الشرف الباذخ) عزفته له أول مرة مجموعة من المصريين المقيمين بالخرطوم على المقامات العربية (قبل أن يستقر على السلم الخماسي) مما قد يعني أن أعدادا مقدرة من العرب المصريين و الشوام من مسلمين و مسيحيين كانوا هناك قبل وفاته عام 1932م. و كان هو قد لحن في الخرطوم اغنيته (عازة في هواك) مستفيدا من امكانيات العود العربي و استلهم في مقدمة هذا العمل مارشا

سودانيا هو (ود الشريف رايو كمل) بمقدمة تراثية بطيئة. ويرى الباحث معاوية حسن ياسين أن السودانيين عرفوا آلة العود في مطلع القرن العشرين الفارط عن طريق احتكاكهم بهواة وافدين من مصر أو الشام في عهد الحكم الثنائي (1898-1956م). وما لبث أن أصبح العود آلة التلحين المفضلة لدى الفنان خليل فرح (ت 1932م) و الفنان عبدالقادر سليمان (ت 1994م) و كان خليل فرح وثيق الصلة السياسية بمصر داعية لوحدة وادي النيل ومصر وسودانا حتى بعد تراجع النفوذ السياسي والثقافي لمصر في السودان بعد فشل حركة اللواء الأبيض عام 1924م. وفي مرحلة من المراحل اقتصى الفنانون السودانيون العود وأصبح آلتهم التي يلحنون عليها ويعزفون ويغنون وبدأت صناعة آلة العود في التوطن بالسودان وبرع عدد غير قليل من الفنانين في استخراج أسرار هذه الآلة العربية الميلودية بل وتركوا بصمتهم في التعامل معها. يشير د. الماحي سليمان الى أن اسلوب عزف العود بالسودان بدأ متاخلا بعزف الطنبور و بقواعد غربية لا تخطئها العين الفاحصة. و يشير الباحث معاوية حسن يس الى أن الفنان عبدالكريم الكابلي (ت 2021م) قام عام 1963م بتعديل دوزنة الوتر المطلق صول في العود الى نغمة فا ثم الى نغمة م. ولم تظهر آلة العود في العاصمة الخرطوم فقط فقد ذكر المؤرخ السوداني محبوب عمر باشري (ت 2008م) أن الفنان عبد العزيز محمد الكابلي (1905-1956م) في مدينتي سواكن وبورتسودان ثغري السودان على البحر الأحمر أشتهر بعزف الأغاني المصرية على العود وكان له جرامفون يتحلق حوله أصدقاؤه من المثقفين والموظفين في شركة جلاتلي هانكي الأجنبية التي أصبحت في صدارة من يدبر المشهد الاقتصادي هناك. ولم يذكر باشري الأسطوانات السودانية التي كان فنانو حقيبة الفن يسجلونها في شركات في القاهرة منذ 1928م بمعية محمد ديمتري البازار (ت 1989م). و كان البازار هذا يسمع بالجرامفون أسطوانات مصرية و سورية لكبار مطربي مرحلة حقيبة الفن بالسودان (1923-1947م) مما قد يعني أن مزاجا موسيقيا مقاميا كان يسيطر على مثقفي مدن شرق السودان في ذلك الزمان لا سيما ان حضور العثمانيين في ثغور السودان اسبق بكثير عن وسط البلاد وكان العثمانيون يتبعون سواكن لسלטهم في جدة أحيانا.

الموسيقى العسكرية البريطانية تدخل السودان:

و عندما عاد الانجليز وبصحبتهم المصريون بعد اقتحامهما مع بعض القبائل السودانية الناقمة على خليفة الامام المهدي عبد الله تورشين التعايشي (ت 1889م) عاصمته أمدرمان وانتصارهم في معركة كرري عام 1898م ثم معركة ام ديبكرات عام 1899م شهدت البلاد عمراناً وادخالاً للتقنيات التي كانت الإمبراطورية البريطانية قد عممتها على مستعمراتها من وسائل الاتصالات ووسائل المواصلات. ومن ناحية موسيقى الجيش تولى البريطانيون تدريب المستجدين في رتبة (boy) على الآلات الموسيقية الغربية بما تحتويه من سلام غربية كبيرة وصغيرة و قواعد الهارموني و الكونترابونت مكونين الفرقة الموسيقية العسكرية و التي عرفت خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) بفرقة قوة دفاع السودان (Sudan defense band) التي سرحت بعد الحرب العالمية و من ثم حولها في عام الاستقلال 1956م الى موسيقى الجيش. (علي يعقوب كباشي، افادة، 2023م).

حصل بعض من السودانيين كعبد الرحمن عبد القادر وتوفيق علي تدريب موسيقى في مدارس الموسيقى العسكرية بمصر التي كان محمد علي باشا (ت 1849م) قد أسس لها، لكن انتفاضة اللواء الأبيض

العسكرية السياسية عام 1924م في السودان أدت الى تراجع النفوذ السياسي والعسكري المصري ومعها الموسيقى المصرية العسكرية التي وصلت في وقت ما الى ثمانية اورط أي كئائب تتبع حرس الحدود المنشئ عام 1946م. و من ثم برز دور المدرسين الانجليز أكثر فأكثر.

شاركت قوة دفاع السودان، التي حلت لاحقا بانتهاء الحرب العالمية الثانية، في معارك الحرب العالمية الأولى بما فيها جنوب اليمن الى جانب الحلفاء ضد العثمانيين حيث يشير الشاعر اليمني أحمد فضل العبدلي (ت 1943م) في قصيدته (طلبنا الله ذي ينزل ويرفع) الى استدعاء الانجليز لجند سودانيين ليساعدوهم في التصدي للحيش العثماني في منطقة لحج على مشارف عدن و يقول :-

وَجَابُوا سَوْدَ مَنْ يَمِ يَمِ وَسُودَانِ

المارش من الموروث الشعبي القبلي الى الموسيقى العسكرية للسودان: ويرى الباحث جمعة جابر (1988م) أن هناك عددا ملحوظا من مقطوعات الجيش السوداني المعاصرة أصلها جلالات دينية أو أهازيج دنيوية تغنى باللغات النوباوية المحلية (نسبة لجمال النوبة بغرب السودان) تقوم اما على سلم سداسي أو سباعي وجلها آتية من غرب السودان وجبال النوبة. وهو يندمج لذلك بالتالي: -

أولاً: مارش البقارة في غرب السودان (السلم الموسيقي سباعي: مي بيمول الكبير).

ثانياً: مارش الفارسة هند أبي ضامر محمد الشهيرة ب (مندي) (ت 1984م) بنت سلطان النيمانج في جبال النوبة عجبنا ود أروجا (ت 1917م). (السلم الموسيقي سداسي: مي ييمول الكبير). و جاء فيه :-

((کوچو کونا کرن دالا(مندی) کوچو کونا کرن دالاووووو ساسا)))

ثالثا: مارش السلطان على دينار (ت 1916م) وفيه لمسة من نصف الدرجة الموسيقية. وفيه :-

يهبش الصف حابوا

البیشفع لینا جابو

والواضح للباحث أن هذه الممارشات، ان سداسية او سباعية، لا تتصل بالمقامية السباعية العربية بل تخرج من أرومة السلم الخماسي المهيمن الى استخدام احدى النغمتين المحظورتين في الخماسية السودانية فتصبح سداسية النظام مؤقتا، أو تخرج من أرومة السلم الخماسي الى استخدام كليهما فيتكون سلم كبير ميجور أو سلم صغير مينور على الطريقة الغربية الأوروبية المعدلة مؤقتا فتصبح سباعية النظام وفي كل الأحوال تعود الى أرومتها الخماسية النابعة من تراث المنطقة. وقد استوحيت كثير من هذه الممارشات من أغاني محلية احتفظت بإيقاعاتها المحلية أيضا كالمردوم (6 على 8) والكمبلا(2 على 4) . و كان هذا باشراف المدرسين العسكريين الانجليز الذين وفروا لطلبتهم السودانيون الآلات الغربية والتدريب عليها على السلم الدياتوني العالمي المعدل. (علي يعقوب كباشي، افادة، 2023م).

مشاركة السودان في مؤتمر الموسيقى العربية القاهرة 1932م:

وفي عام 1932م شارك السودان بفقرة موسيقية مسجلة من شريحة زار سودانية مقيمة بمصر و ذلك في المؤتمر الأول للموسيقى العربية في القاهرة وذلك النموذج متاح الآن على الانترنت.

مقام الزنجران بين أصله العربي و تنظير اسماعيل عبدالمعين !:

وفي عام 1952م تخرج من معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية والتمثيل في القاهرة الفنان السوداني إسماعيل عبد المعين (ت 1984م) فكان له نشاط موسيقي خاص منذ الأربعينات من القرن الفارط حاول فيه

التوفيق بين الموسيقى المصرية والسودانية من خلال تأسيسه لفرقة الزنجران لتطوير الموسيقى الشعبية و من خلال ما أسماه بمقام (زنج-أراب) التي حورت الى (زنجران) و الواقع ان الزنجران مقام مشتق من مقام أكبر في موسيقى العرب فمقام زَنجَران هو فرع من مقام الحجاز حيث يبدأ بجنس الحجاز على الدرجة الاولى ثم جنس العجم على الغماز (الدرجة الرابعة). وحتى الآن يظل التنظير الموسيقي السوداني مضطربا بالنسبة لمقام (زنجران) الذي تحمس له الفنان إسماعيل عبد المعين ونمذج له بالتالي: -

أولا: (بنات الريل الظراف نايرات). أفادني الباحث عاصم الطيب (عاصم الطيب، افادة، 2023م) أن الأغنية تماثل موسيقى البلوز الزنجية وأن هذا المقام معروف عند قبائل البجة ب (الشمبر).

ثانيا: (لما خيل الظل على الأريل). النص للشاعر الموسيقي السوداني خليل فرح (ت 1932م) لحنها إسماعيل عبد المعين ك(زنجران). وأفادني الباحث علي الضو أن إسماعيل عبد المعين أدخل في العزف نصف الدرجة لا غير فصار اللحن أقرب مقاميا الى بعض أغنيات غرب السودان المتضمنة نصف البعد الموسيقي كما سنرى.

و يذكر اسماعيل عبدالمعين أن خليل فرح حثه على تعلم العود و نظريات الموسيقى العربية و العالمية لأنها ستساعده في التعبير الفني و الوجداني عند التلحين لكنه نهاه عن تقمص الموسيقى المصرية مثل الليالي (يا ليل يا عين) قائلا (أنت ما ترجى في بيتتها)!

نوبة سودانيون في معهد فؤاد الأول للموسيقى بالقاهرة:

كما غادر ابن منطقة حلفا القديمة الفنان النوبي جمال ادريس (ت 1959م) الى معهد الموسيقى العربية بالقاهرة حيث تخرج هناك مطلع الخمسينات و كان لدراسته الموسيقى العربية مفتاحا له في الحياة الموسيقية المصرية. و كذا درس الموسيقار النوبي حمزة علاء الدين (ت 2006 م) في فترة مقاربة في القاهرة حيث أصبح صاحب اسلوب في عزف العود عربيا و سودانيا و عالميا و يعتبر حمزة علاء الدين البوابة الأولى التي دخل فيها المقام العربي الى الأغاني النوبية المؤداة بالرقانات النوبية (نسبة الى النوبة في شمال السودان).

مصريون يدرسون الموسيقى العربية في السودان:

ومن ناحية أخرى انتشر مدرسون مصريون للموسيقى بالسودان منذ الأربعينات من القرن الفارط وكانوا عادة ما يأتون من خلال البعثة التعليمية المصرية ثم يضيفون لعملهم ذاك تدريبا موسيقيا لجهات معينة في الخرطوم وسنار الخ. واعتمدت فرقة الإذاعة بامدرمان في بدايتها عام 1947م على التلقين والترديد مع المغني بالآلة الموسيقية إلا أنه وبعد فترة بسيطة ابتدأت الفرقة تستفيد من بعض الخبرات الموسيقية وخاصة المصرية والتي كانت تحضر إلى السودان ضمن البعثة التعليمية المصرية وكانت لهم إسهاماتهم الواضحة في تدريب فرقة الإذاعة (د. عمر قدور، افادة، 2022م) أمثال المدرسين: -

عبدالله حسني إبراهيم:

بدأ مدرسا بمدرسة فاروق الثانوية بالخرطوم ثم كان يقوم بتدريس الموسيقى بشكل عام وبخاصة قراءة النوتة الموسيقية لعازفي اذاعة أمدرمان بالاتفاق مع مديرها متولي عيد عام 1947م.

محمد شعلان.

مصطفى كامل: انتهت فترة انتدابه داخل البعثة التعليمية بمدرسة الملك فاروق الثانوية عام 1953م.

ظهر فترة الخمسينات كعازف قانون بارع وواصل مع فرقة الإذاعة بامدرمان حيث كان يدون الموسيقى ويشرف على البروفات ويشارك الفرقة بآلة القانون فكانت بصماته واضحة ولا زالت حتى اليوم في كل التسجيلات القديمة بإذاعة أم درمان. كذلك أصبح رئيس أوركسترا الإذاعة السودانية في الخمسينيات. وقد انعكست ثقافة مصطفى كامل على الفنان السوداني التاج مصطفى (ت 2003م) في بعض قوالبه الغنائية والموسيقية الحديثة كارتداد الموشح و الدويتو. وكذا الفنان العاقب محمد حسن (ت 1998م) الذي سجل على القانون مع مصطفى كامل ترانيم وأناشيد دينية على المقامات العربية في إذاعة أم درمان في أوقات مبكرة قبل خريدته (حبيب العمر) على قالب القصيدة من شعر الأمير عبد الله الفيصل آل سعود (ت 2007م) التي صاغها على المقامات العربية المتعارفة في قالب (القصيدة) الغنائي. و كان مصطفى كامل أحضر القانون و الطبله للسودان و كان الفنان محمد أحمد سرور (ت 1946م) قد أحضر الدف من مصر عام 1930م.

أحمد خليل :

عمل بمصلحة البريد بالسودان و ذكر اسماعيل عبدالمعين أنه شاهده مع العود عام 1932م . كانت له علاقة بالانشاد في المولد النبوي لدى طريقة الادارسة و مقرها بامدرمان.

عبد المنعم عرفة:

أستاذ آلة العود بالمدرسة الانجيلية بالخرطوم وعلى يده درس الفنان ناجي القدسي موسيقى العود العربية (ت 2014م).

فان أضفنا تأثير فرق المسرح المصرية الزائرة للمدن السودانية و منها في ثلاثينات القرن الفارط فرقة بديعة مصابني بمشاركة فاطمة رشدي و حكمت فهمي الى تأثير السينما المصرية التي كانت تعج بالأفلام الغنائية الاستعراضية نجد أن الفنانين السودانيين الذين عاشوا تلك المرحلة وهم يتحسسون طريقهم في الأربعينات في مرحلة الأغنية الوترية التي تلت مرحلة الحقيبة ربما بالزي وبطريقة الأداء للمطربين المصريين والعرب الذين كانوا يلعبون دور البطولة في تلك الأفلام وكذا فكرة ادخال آلات المصاحبة الأوركسترالية ، وربما أسهمت السينما المصرية في الترويج لبعض القوالب و الجماليات الموسيقية التالية مع ضرورة الأخذ بالاعتبار أن الموسيقى السودانية لا تخلو من أكثرها قبل فترة الاحتكاك الثقافي مع مصر التي نحن بصدها. و نجد الدكتور المحامي سليمان يقول أن التأليف أو تنظيم أجزاء العمل الفني كان غير مطروق و أتى للسودان من المدرسة المصرية في الغناء العربي.

قوالب و تقنيات الموسيقى العربية في الموسيقى السودانية الحديثة:

قالب الدويتو (الديالوج) : هنا الرائد هو الفنان التاج مصطفى (ت 2003م) في عام 1958م و كان قد تلقى دروسا في الموسيقى في الجامعة الشعبية بامدرمان حتى قبل أن يحتك بالعازف المصري مصطفى كامل في العام 1953م. قدم التاج مصطفى قالب الدويتو مع عدد من الفنانين و الفنانات منهم:-
العاقب محمد حسن (ت 1998م)

منى الخير (ت 1980م) في أغنية الصباح من شعر محمود شوقي و لحن التاج مصطفى عام 1958م
الرحمة مكي (ت) في أغنية طمنا يا دكتور من كلمات الشاعر عبدالله النجيب و لحن الموسيقار علاء الدين حمزة (ت)

وفي عام 1960م جاء بعده الفنان أحمد عبدالرازق (ت) في دويتو (الريده الريده) من كلمات الشاعر حسين عثمان منصور (ت 1997م) مع الفنانة عائشة الفلاتية (ت 1974م).

قالب الموشح : هنا الرائد هو الفنان التاج مصطفى (ت 2003م) ، الذي قدم موشح (أيها الساقى اليك المشتكى) للشاعر ابن زهر الحفيد (ت 1162م) مع الحفاظ على البناء الخماسي السوداني الأصل. **قالب القصيدة المغناة:** ينبغي أن نتذكر أن الفنان الرائد خليل فرح (ت 1932م) قارب قالب القصيدة في تسجيل له في القاهرة في الثلاثينات في اسطواناته (أعبدة ما ينسى مودتك القلب) من شعر عمر ابن أبي ربيعة (ت 712م).

قالب الطقطوقة: أو الأغنية الخفيفة ذات المذهب والكوبليات أو الأغصان . هذا المعمار الشعري ينطبق على كثير من نصوص مرحلة الحقيبة وليس فقط المرحلة الوترية التي تلت الحقيبة. وسنجد أن الغناء للطقاطيق باللغة النوبية كان موجودا في شمال السودان وجنوب مصر مع دخول القرن العشرين الميلادي قبل تأثير السينما المصرية الذي ربما عزز القالب في أذهان من يكتفون بالغناء باللغة العربية.

قالب الاغنية الطويلة : مقاطع الغناء متعددة مع التلوين المقامي داخل المنظومة الخماسية. **قالب الليالي :** كما في لحن (طير الجنة) لبشير عباس (ت 2022م) من كلمات الشاعر عثمان خالد (ت 1993م) من أداء ثلاثي البلابل. و الليالي هي الارتجال الصوتي ب(ياليل يا عين) و لا علاقة لها بالموال ، بل هي تعادل (التقاسيم) الحرة في الأداء الآلي. **قالب الموسيقى الآلية البحتة:** المقطوعات التي تتبنى المقامية العربية في هذا النوع من التعبير الآلي التجريدي تنحصر في أعمال للفنانين :-

العاقب محمد حسن (ت 1996م). حمزة علاء الدين (ت 2006م). الوافر شيخ الدين. د. عباس سليمان السباعي (ت 2022م).

وقد أسهم برنامج (مع الموسيقى العربية) الذي كان الفنان العاقب محمد حسن يعده ويقدمه من إذاعة أمدرمان في ثمانينات القرن الفارط في لفت نظر السودانيين الى وجود مثل هذي القوالب الآلية في التأليف الموسيقي المقامي العربي. لكن أقدم مقطوعة للموسيقى السودانية الخماسية البحتة انما كان قبل كل ذلك في مقطوعة (الأدهمية) للفنان د. محمد آدم أدهم (1912-2018م).

اعتماد التخت الموسيقي : الذي تطور الى اوركسترا سودانية منتقاة تخلصت من اكثر الآلات الشرقية و أدخلت الآلات الغربية وصولا الى فرق ما يعرف ب (الجاز) السوداني .

اعتماد المقدمة و اللزمات الموسيقية:

و هي التي تسبق الميلودي المغنى يضاف اليها اللزمات الموسيقية. و في المقاربة المقامية كما في مقدمة برنامج (كيف قيلتوا) للفنان عبدالقادر سالم . ترد في المقدمة حوارية لطمبور غرب السودان و آلة العود كشعار للبرنامج في نهاية سبعينات القرن الفارط.

اعتماد التنوع في أساليب الأداء الصوتي.

اعتماد التنوع في مصادر النص الغنائي.

أما الأداء الكورالي فهو أصيل في السودان من الدوباي الى المديح النبوي الى كرير الطنابرة الى الشيلالين في غناء الحقيبة و الغناء الشعبي.

لكن على مستوى الإيقاع نجد أن عددا من ألحان مرحلة حقبة الفن بالسودان وكلها خماسية تستخدم نوعا معدلا مسودنا من إيقاع عشرة بلدي المصري أو المصمودي الصغير 4 على 4، كما هو الحال في بعض ألحان الفنان محمد أحمد سرور (ت 1946م) والفنان كرومة (ت 1947م). ويشاع أن هذا الإيقاع له جذور سودانية في منطقة الكنوز الشمالية (عاصم الطيب، افادة، 2023م) و منطقة جزيرة (صاي) بشمال السودان يتمثل في إيقاع (كتشا) أو (كشتا) و هو ثنائي في سرعة وحدة النوار التي تعادل 100.

إذاعة ركن السودان من القاهرة 1955م:

و في عام 1954م افتتحت مصر استديو في منطقة المقرن بالخرطوم لإذاعة ركن السودان من القاهرة الذي بدأ العمل عام 1955م ثم تغيرت التسمية الى إذاعة وادي النيل من القاهرة في العام 1984م. وينبغي أن نتنبه الى الدور الذي ظلت إذاعة ركن السودان (لاحقا إذاعة وادي النيل) من القاهرة منذ منتصف الخمسينات تلعبه في تسجيلاتها الخاصة لأغنيات الفنانين السودانيين الزائرين لمصر. فعلى الرغم من براعة الموسيقي المصري نصر عبد المنصف (ت) عضو الفرقة الماسية للموسيقار أحمد فؤاد حسن (ت 1993م) في تنويع وتدوين ألحان المطربين السودانيين قبل أن يعزفها لهم عازفون مصريون في استديو الإذاعة الا أننا نجد بعض المفارقة للنكهة السودانية المتميزة عند سماع أغنيات الفنانين السودانيين من تلك الإذاعة.

أغنيات التكامل المصري – السوداني (المصدراني) :

وقد ازداد فنانو السودان اقبالا على هذه الإذاعة حينما أصبح التسجيل فيها يتم بحوافز منها الحافز السياسي والمادي حينما شرعت قيادة القطرين مصر والسودان في توليد عدد غير قليل من أغاني مرحلة التكامل السياسي (سبعينات وثمانينيات القرن العشرين). كانت هذه الأغنيات تتوسل القرب من آذان المستمعين في مصر والسودان على السواء باللجوء الى ألحان مهجنة من السلم الخماسي السوداني والمقامات العربية المطروقة في مصر. وفي تقدير الباحث أن جل هذه الأعمال الفنية كان مرتجلا يخلو من الأصالة ولذا فان هذه الأغنيات التي عرفت ب (أغنيات التكامل) تقبع الآن في الأرشيف ونشك في كونها ساعدت في تعزيز الثقافة الموسيقي الخلاق بين مصر والسودان على مستوى الابتكار التوليقي لا على مستوى الوظيفة السياسية؟ وفي نهاية الخمسينات كان العازف عبدالفتاح الله جابو يعزف معزوفات عربية في حفلات بسينما الوطنية بالخرطوم غرب يرافقه على العود الفنان بشير عباس (ت 2022م).

قيام معهد الموسيقى و المسرح بالخرطوم 1969م:

وفي عام 1969م تأسس في الخرطوم معهد الموسيقى والمسرح كثانوية فنية تمنح دبلوم 3 سنوات وكان أهم مؤسسيه من الموسيقيين د. الماحي إسماعيل يميل للاستفادة من مصر في تعليم الموسيقى أكاديميا الا أن هذا الاتجاه ضعف بمغادرة الماحي إسماعيل لموقعه واستقراره في ألمانيا. وبالمقابل حضر أستاذة موسيقى من جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية وتركوا أسلوبهم في خريجي وخريجات المعهد و هم القادمون من خلفية خماسية مقاربة في الشرق الاقصى. المعهد ذاته تطور لاحقا الى كلية الموسيقى والمسرح التي تمنح البكالوريوس و الدرجات الأعلى تحت جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

الفصل الثاني:

جيوب المقام العربي في الموسيقى الشعبية بالسودان:

أولا : شرق السودان.

و ينحصر حضور المقامية العربية في شرق السودان في:-

- قبيلة الرشايدة بفروعها الثلاثة المتحددة من برطيخ و برعيص و زنيم أو برغيث.
- جماعة مهنية مدائنية من صائدي الأسماك والملاحين بالقوارب الصغيرة على البحر الأحمر يدعون السماكة أو الحوالة أو المواليد.

الرشايدة :

هاجر الرشايدة إلى السودان نتيجة الصراعات والحروب والجفاف الذي ضرب أماكن تواجدهم في شبه الجزيرة العربية ، واختاروا السودان لوجود المراعي والأراضي الخصبة والماء الوفير في الفترة من عام ١٨٤٦م حتى ١٨٧٧م واستقروا في شرق السودان. دخل الرشايدة السودان من البحر الأحمر عبر ميناء «محمد قول» وميناء «عدن» ، وعن طريق مصر عبر منطقة «أبو حمد» . وكانت هجرة شاملة حيث شملت نساءهم وأطفالهم وهذا يبين سبب عدم اختلاطهم بالقبائل الأخرى في السودان إلا حديثا. للقبيلة فروع ثلاثة لكل منها بطون وهي النزيات - البراعصة - البراطيخ. قبيلة الرشايدة قبيلة رعوية ولهم ثروة حيوانية ضخمة من الإبل والماعز والأبقار والأغنام ، ويرعون في كسلا و طوكرو و الدندر و القضارف وفي ضفاف خور القاش ونهر العظيرة وبالقرب من حدود إريتريا. يعمل الرشايدة كذلك في الزراعة في حدود قوت الأسرة ، بالإضافة إلى ممارسة التجارة في الإبل والسلاح والفضة والتمور والدخان ، ويتحدث الرشايدة العربية ويدنيون بالإسلام وقد احتفظوا بلسانهم العربي بين قبائل البجة ذات اللغة البجاوية إلا أن بعضهم تعلم لغة التقري السامية ذات العلاقة بلغة الجنز الأيسينية إلى جانب العربية. ولا صحة لتسمية هذه القبيلة بالزبيدية كما ذهب د. محمد عوض محمد (ت 1972م) في مركز الدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، فالزبيدية عشيرة عربية مختلفة حضرت للمنطقة قبل مجيء الرشايدة أنفسهم. ولأن الحضور كمجاميع تحوي الذكور والاناث معا يحفظ الإرث الشفاهي المحمول نجد شتى ملامح تراث الرشايدة اللامادي يستدعي بادية الجزيرة العربية بما فيها الفنون القولية كالإنشاد الشعري غير الموقع والغناء المصاحب بالعزف. وتفيد الفيديوهات المتاحة في اليوتيوب دخول تحويرات في غناء الرشايدة مثل المرافقة بآلة العود والأورج الكهربائي التي يقتصر حضورها عادة على المدن.

غناء الرشايدة مقامي يميل للمقامات المحتوية على بعد ثلاثة أرباع التون كما أن الغناء حلقي بدوي Bedouin throat singing . وقبيلة الرشايدة هي من المجاميع التي تقول نخبها أنها تعاني تهميشا على مستويات عدة منها الثقافة الأدائية . وبالمقابل فإن عزلة الرشايدة الاجتماعية التي أرادها شيوخها جعلتها قبيلة مغلقة حيث تمارس الزواج داخلها (endogamy).

السماكة الحوالة المواليد :

يطلق أهل شرق السودان تسمية (السواكنية) أو (المواليد) على المجموعة البشرية المختلطة التي نهضت بها تجارة مرفأ سواكن ثم مرفأ بورتسودان ، وجاءت تحمل بالإضافة إلى الدماء البجاوية المحلية دماء

متنوعة من الهند وحضرموت وأبسينيا والحجاز ومصر وكردستان والأناضول وغرب إفريقيا الخ. أما ما نعينه بفرقة السماكة أو الحوافة فهم السواكنية الذين احترفوا صيد الأسماك والملاحة المتوسطة المدى في البحر الأحمر بسفينة (الفلوكة) أو (الهوري) أو (الساعية) وتغلب عليهم الدماء اليمنية والحجازية التي اختلطت بالدماء الأفريقية. وفي سبعينات القرن الماضي أسس الفنان محمد عبد الله شرقي في بورتسودان أول فرقة موسيقية حديثة للسماكة في ديم سواكن بجنوب مدينة بورتسودان. وفي عام 1999م كانت فرقة ديم سواكن بالحي الجنوبي من مدينة بورتسودان وفيها محمد عكري عازفا بالمزمار و شيخان حميد عكري عازفا بالإيقاع.

الحميد بن منصور:

يبرز في التراث الملاحي للسماكة فلكلور حكيم يدعى الحميد ابن منصور الينبعي ربما نسبة لميناء ينبع الحجازي حيث يمثل حكيمًا شعبيًا صاحب أشعار وأهازيج تشيع بين ضفتي البحر الأحمر كاليمين حيث يقدم كحكيم زراعي وصولاً إلى شرق أفريقيا والخليج العربي حيث يقدم كحكيم بحري وأحياناً تجيء أشعاره باللغات الصومالية والسواحيلية. ويمكن تعقب أخباره وأشعاره الغامضة سودانياً في كتابات المؤرخين ضرار محمد صالح ضرار (ت 2017م) و محمد صالح ضرار (ت 1973م). ومما ينسب إليه من شعر مغنى المقطع التالي:-

أنا الحميدي المغني

ربابتي فوق فني

أيش علي من الناس

و أيش على الناس مني

وفي هذا النص شيء من قصيدة مغناة للشاعر أبي الحسن الششتري (ت 1269م) يجيء فيها قوله (وش عليا أنا من الناس وش علي الناس مني). وقد وضع لها لحنًا الفنان البحريني خالد الشيخ وغناها الفنان السعودي عبد المجيد عبد الله. ومن التراث الملاحي المنسوب إليه ويكون قانوناً بين الناس وبين التجار، وأصحاب السفن والتجار أصحاب البضائع التالي :-

جعل حصة حمول السفينة تقسم كالتالي ... نصف النولون أي الأجرة لصاحب السفينة، ويخصم لوازم السفينة حتى أواني أكل البحارة، وصيد السمك للركاب، والنصف الثاني يقسم على عدد البحارة وللرئيس أن يأخذ حصة أربعة من البحارة، وللمقدم سهمان أي حصة بحارين. إذا غرقت السفينة وما عليها من مال وبضاعة فحكمه إلى قضاء الله وقدره، والقبطان غير مسئول عما تحمله السفينة، فصار قوله هذا شريعة يعمل بها إلى يومنا هذا، بينما كان في الزمن السابق يدفع القبطان قيمة البضاعة والسفينة التي ترتطم على يديه، وأكثر القباطين يقضون عمرهم كرهائن للتجار إذا حدث منهم هذا الضياع، وبعد وقوع سنوك لحميد في الشبك ألغيت تلك العادة القديمة. إضافة شراع ثالث فتبني متوسط بنفس الطريقة المتعارف عليها والتي تمارس على سفن موانئ حضرموت وبقية موانئ جنوب الجزيرة العربية.

وكانت لحמיד صولات و جولات في مرافئ ينبع و جدة و سواكن و العقيق و مصوع و حزموت
و المخا و سقطرى و الحامي و مسندم .
ومن تلك الأشعار التي وعثها الذاكرة السواكنية من سجع حميد بن منصور:-

نموذج 1

قال الحميد رأس كسار
طروبه و مندروبه
وقدوا لي وقيده
أنا حميد بن منصور
عقيق استقى من البير
الله يلعن رأس عسيس
ترمبو و ترنكات
خل عنك جزيرة أمير
يدور ربان شوير
لا يغرنك سمد علام
حسبوني هريده
بجاه الرسول يدور
عمارات نعم سرير
يدور مفاوله كثير
وقطعة الهاوي مع الشاتات
وادخل دفوت بلا خير

نموذج 2

شيخ سعد نور أبو نورين
شيخ هابوني وخيار المراسي
فوت هيدوب ولقاق
سواكن سنية الكبان
قاد الرقيق ودامات
عين هريس وجزيرة عبدالله
شيخ برغوت و توريت
سمعنا بالليل رقيص
دور مهمة
أو يتبدل همي
سلك صغير مرساه دافي

في السماء مثل السماكين
تدخله بالليل وقلبك قاسي
واخرج قبل الرقراق
الغشيم يقول الرواشين بان
سموك بلاش زمنك فات
كلها مراسي خلق الله
مقطع 3:
عسى سواكن سمنه رخيص
وفجة مثل الرمة
أراكياي شد عظمي
أما الكبير جاء على خلافي

الدربوكة رقصة السماكة و البحر الاحمر:

مجمل ما يرقص عليه السماكة من رقصات أهالي سواحل البحر الأحمر رقصة الدربوكة وتفرعاتها على أغان مشتركة اللهجة و الوجدان و الوظيفة الاجتماعية مع موانئ السويس وبورسعيد والإسماعيلية (فنون الضمة و البمبوطية) والعقبة وبنبع (الينعاوي) و جدة والحديدة والمخا وعدن و المكلا و الشحر (الدربوكة) و مسندم و مصوع و عصب و جيبوتي الخ حيث يمارس هؤلاء التنقل منذ القدم مستعينين باختلاف موسمي (قيل ان تسمية تلك الرياح بالمونسون جاءت تصحيفا عن كلمة الموسم) يحدث في اتجاه الرياح في البحر الأحمر فيساعد السفن الشراعية على التنقل في أمان وبدون جهد ممارسين صيد الأسماك واللؤلؤ و التجارة التبادلية. ولأنهم يكتثون في الضفة الأخرى مدة طويلة ريثما ينعكس اتجاه الرياح فانهم يتشاقفون طويلا ويتزاجون مع رصفائهم سماكة الموانئ القلزمية الأخرى بحيث يجيدون أكثر من لغة. وقد أُلح الى ذلك قدما الملاح اليوناني المجهول الذي زار الضفتين في فترة ميلاد السيد المسيح وكتب كتابه الاثير (الطواف حول البحر الايثيري). فالمواليد يحاكون في رقصهم الأسماك وخصوصاً حركة أسماك القرش السريعة، ويحاكون حركة الصيد ذاتها في الرقص من ولوج السمكة في خيط الجلب حتي فرفرتها وخروجها الي ظهر المركب ، و يحاكون في رقصهم حيوان (أبو جلمبو) ذا الظهر الصدي والأرجل الكثيرة وأحياناً (أبو مقص) وهو حيوان يمتلك ذات الأرجل والظهر الصدي. الرقص عند السماكة ارتبط بالمهنة ذاتها. فاذا كان تراث القبائل النيلية يحاكي رقصة الثيران والأبقار وفي الصحراء يحاكي الإبل فان المواليد يحاكون في رقصهم الأسماك. تجد السماكة في سرور من حياتهم التي تتخذ من البحر مصدراً للرزق والطرب والغناء معا. (<http://www.su-danyat.org/vb/archive/index.php/t-10067.html>).

و من الناحية الكوريوغرافية نجد رجال السماكة يحاكون حركة الاصياد البحري فيتمايلون بجذعهم السفلي محاكاة وهو ما لا نجده في رقص رجال السودان خارج تلك الجغرافيا اذ قد يرى أن في هذه الحركات تخنثاً! ويبقى الرقص سلوك القوى الفخورة في الجسم ذكرا وأنثى.

الآلات الموسيقية:

تجيء دوزنة السماكة لآلة الكنارة المسماة في شرق السودان (باسنكوب) وهي من خمسة الى ستة أوتار على المقامات العربية وليست بالدوزنة الخماسية البنتاتونية المتعارف عليها في وسط السودان مثلا . وان كنا نجد مثل دوزنة السماكة في كنارة قبائل البقارة الجهنية في غرب السودان حيث تسمى الآلة (ام بري بري).
يصف الباحث د. علي الضو الكنارة السودانية المسماة بالربابة (أيضا تسمى طنبور) بقوله: يتخذ الصندوق المصنوع للربابة شكلين أساسيين: -
مستدير، كما الشكل الذي رسم في كتاب الطبقات.
مستطيل.

ولها إطار خشبي يتكون من ذراعين مسندين على عارضة، وأوتار خمسة تشد على حافة الصندوق المصنوع، والمصنوع من الخشب، وليس القرع، موازية للجلد الذي يكسى به. ويتم ضبطها بنظام نغمي صوتي بواسطة لفافات من القماش على العارضة لتعطي منظومة موسيقية خماسية خالية من نصف البعد الصوتي في معظم أنحاء السودان، أو محتوية على نصف البعد الصوتي لدى بعض المجموعات كالبقارة في غرب السودان والرشايدة في شرق السودان. كما يشير د. علي الضو الى ان مجاميع الحوازمة من قبيلة البقارة بغرب السودان استعاروا هذه الآلة من أهالي جبال النوبة بغرب السودان كما أخذت قبيلة الرشايدة الآلة من قبائل البجة بشرق السودان. وتتفق كل المناطق بالسودان على كيفية التوقيع على أوتار الربابة التي يرغب في إصدار الصوت منها، اذ يتم عن طريق حبس الأوتار التي لا يريد اصدار الصوت منها مع الإبقاء على وتر واحد دون حبس، ثم تستخدم الضاربة أو أصابع اليد اليمنى في إصدار الصوت منه.

والإيقاع السائد ثلاثي هو 6 على 8 ، وهذا الأخير هو إيقاع رقصة دان الدحيف بأبين جنوب اليمن بنفس الضغوط الإيقاعية الداخلية. و يستخدم السماكة تشكيلة من الطبول التي تنتمي الى تراث سواحل البحر الأحمر و تختلف عن آلات الإيقاع بالداخل السوداني .وهم يرقصون على أغنية دان دحيف شهيرة و هي (سرى الليل و نايم) وقد يستخدمون في ذلك آلة المزمار وهي تسمية تطلق سودانيا على أي آلة لها عمود هوائي داخل جسم مجوف، بحيث يتم تفعيل هذا العمود عبر تيار من الهواء يصدر من شفاة النافخ عليه، ليرتطم بحافة الفتحة الضيقة لذلك الجسم. ومن المهم هنا ملاحظة الفرق النوعي بين الضروب الإيقاعية العربية في فنون السماكة مقارنة بإيقاع الدلوكة سيرة و عرضة الرباعي في شريط النيل بالسودان وإيقاع التتمم المركب الى الغرب من تلك الجغرافيا النيلية.

من أهازيج السماكة:

يلاحظ أن أحد أهازيجهم يتغنى بلازمة (يا دان دانه) اليمنية والخليجية في نص بعنوان (يا بنات المكلأ يا دوا كل عله). وهذه أهزوجة موجودة في غناء الصيادين في ساحل الحجاز أيضا. وقد جدد فيها شعرا الشاعر فهد الغبين ولحنها الفنان عبد الفتاح سكر وغناها المطرب السوري فهد بلان (ت 1997م)، لكن نصها الأصلي هكذا: -

البسيسه البسيسه
كل حوته بقرش
اكلت عشاى المقرمش
الله يجازي الحواته

يا بنات الملّكلا	يا دوا كل عله
ديل عزاكم محبه	دي المحبه بليّه
يا بنات سواكن	يباركن لي زواجي
انا غريب عندكم	باكر مروح بلادي
يا بنات المدينه	روحي عندكم رهينه
وأنتم عالدينيا زينّه	شرفتو كل البرية
يا بنات الحضارم	يا شاغلات المحارم
بحبكم قلبي هايم	لا تبخلو عليا
انا وقعت بداركم	ضاقت تياي عليا
وانا روحي عندكم	لا تحرموني شباي

أما النص المطور الذي غناه فهد بلان فيقول:-

يا بنات الملّكلا يا دوا كل عله
يا سقى الله رعى الله والمحبة بلية
يا بنات المدينه روحي عندكم رهينه
وأنتم عالدينيا زينّه
شرفتوا كل البرية
يا بنات الحضارم يا شاغلات المحارم
وبحبكم قلبي هايم
لا تبخلوا عليا

انا وقعت وبداركم ضاقت على تياي
وانا روحي عنديكم لا تحرموني شباي

و لهم اهزوجة مسموعة بين بحارة عدن كفرقة أبي انيس البعداني للصيادين في منطقة صيرة بعدن
هي (الزمان الزمان أخضر يا ليمون) :-

مدي الشراع العال يابا عالي يا ترمان يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
في البنقلة والسوق يابا خلي رماني يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
مروا عليا إثنين يابا قطعوا صلاقي يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
واحد كحيل العين يابا وواحد حياتي يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
سكه حديد ممدود يابا من هنا للبصره يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
مالي غرض في السوق يابا مريت أشوفك يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
طياره طارت فوق فيها حبيبي يادي الزمان الزمان أخضر يا ليمون
هذي السنة مرت علينا كوره ولعب بلوت يادي الزمان الزمان اصفر يا ليمون

و لهم أهزوجة مصرية تعود الى موروث سيد درويش (ت 1923م) غناها لاحقا الفنان السوداني أحمد الجابري (ت 1996 م) بنص مغاير :-

عطشان يا صبايا دلوني ع السبيل
ماهو السبيل قدامك أنت اللي سارح فين
يا بهية وجوزك غايب دبح الزغاليل ملين
دبح الزغاليل لحبيبي واللي يعارضني مين
سرير أم محمد ميه و عشرين جريدة
السرير يشكي من ضيقه يدعي ع الجريد
و لهم أهزوجة يغنيها الآن المطرب الاماراتي عبدالله بلخير:-

يا علاية يا علاية
سقت عليك الماية يا علاية
يا علاية يا علاية
سقت عليك الماية يا علاية
وأبوك ما عبرني يا علاية
وأبوك ما عبرني يا علاية
وخشبية المشاية يا علاية، أهوه..
و لهم أهزوجة يغنيها الآن المطرب الاماراتي حسين الجسمي :-
أكديلي..أكديلي
وش تا يقولوا فينا
أكديلي..أكديلي
صلو على نبينا
أكديلي..أكديلي
جاك الشتا وحياتو
أكديلي..أكديلي

و لهم أهزوجة (وا ساري سرى الليل) يمنية من أشعار صالح مفتاح وألحان مُدهش صالح ، وكان أول من غناها المطرب اليمني عوض أحمد في العام 1972 :-

و ساري سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
حِبِّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
حِبِّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل

و ساري سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
حُبّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
حُبّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
يا ساكن بقلبي
حلّفتك بري
لا تهجر لي حبي
و ساري سارَ الليل
يا ساكن بقلبي
حلّفتك بري
لا تهجر لي حبي
و ساري
حُبّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
حُبّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل
حُبّ حبيبك سارَ الليل
و ساري سارَ الليل

و لهم اهزوجة (سرى الليل وا نايم) و هي تراثية مبنية من فن دان الدحيف :-
سرى الليل وا نايم على البحر ماشي فايدة في منام الليل حل السرية
سرى الليل وا مولى الذهب والرشوش لا شدوا الخيل شد مهرک العولقية
وانا بوعبدالله ما توطى لحد الا المقادير ساقنتني لبوكم هدية
سحرنى من الطاقة وحرقت لي الكبد وانت دواء للكبد يبو الخدود الندية
انا لي سنة صابر ولا شفت شي والحر يعزف علي والرطن يرجع وقية
انا والله مظلوم وانت السبب وليف يا صاحبي دايم تنكد عليا
يا ابن الناس حبيتك وحبيت انا يا ريت انا ملك لك ولا تقع ملك ليا
عشقنا وكسرنا الحب والعشق ماهو لنا لاهل القلوب السلية
سماها وكرسيتها لخلاقتها والارض لك ملكها والناس تحتك رعية
و قد جدد في النص الشاعر اليمني عبدالله هادي سيبت (ت 2007 م) هكذا:-
سرى الليل وا نايم على البحر

ما شي فائده في منام الليل يحل السريه
سرى الليل وا رامي شباك الهوى
والبحر كله نوى وانت حياتك شجيه
سرينا وشرعناغوا بـيرنا
والعشق ما هو لنا لاهل القلوب السليه
سرى الليل وا مولد الذهب والرشوش
لأ شدوا الخيل يشد المهره العولقيه
وانا أسمى محمد مامتلك شي لي حد
الأ المقادير جابتني لابوكم هديه
سماها وكرسیها وخلقهاها
والارض له ملكها والناس تحته رعيه
يا ابن الناس حبيتك وحببت انا
يا ليتني ملك لك ولا تصير ملك ليه
نظرتي من الطاقه وحرقلي الكبد
وانت الدواء للكبد يا بو الخدود النديه
انا يا حبيب مظـ لوم وانت السبب
اهو ليه يا صاحبي دائم تنكد عليه

ومؤخرا قامت الفنانة السودانية انصاف فتحي بأداء أغنية على إيقاع السماكة الثلاثي بعنوان (يا طير الليل) من كلمات وألحان الإعلامي شيبه الحمد عبد الرحمن سكاك الذي عاش طويلا في اليمن.
لذا نرى ان نصوص السماكة مشتركة بين مواني البحر الأحمر وهي فلكلور يؤدي وظيفة الترفيه عن الصيادين والملاحين في البحر والبر ولا يلتفت الى تجويد الصياغة الشعرية.
اننا بحاجة أيضا لدراسة معمار المواويل واجزائها التي تغنى في محيط البحر الأحمر لأن فن المواويل له حضور أدائي من الزهريات في جنوب العراق الى أنواع المولي في النهمه الخليجية الى المواويل في ساحل حضرموت وتهامة اليمن وصولا الى فنون الضمة والبمبوطية في سمسمة مدن القنال بورسعيد والسويس والإسماعيلية.

ثانيا : غرب السودان : (كردفان و دارفور) :

ان قبائل غرب السودان العربية الجذور المنتسبة للمجموعة الجبهنية والمعروفة بالبقارة والكبابيش في كردفان و دارفور أتت على الأغلب اليه من البوابة الأفريقية الغربية كرامة إبل بذكورها واناثها في وقت متأخر نسبيا. ورغم تداخلها بالقبائل ذات الأصول الزنحية الا أنها حافظت على نظامها الموسيقي الخماسي الذي يسمح بنصف الدرجة فيدوزن كنارته المسماة (أم بري بري) على هذا الأساس. كما تنفرد هذه المجموعة السودانية بوجود آلة الرباب البدوية العربية المسماة (ام كيكي) بين الرزيقات و الحوازمة و المسيرية ، والتي

يقبل عليها الشعراء الجوالون ويسمى واحدهم بالهداي بينما تسمى المرأة بالحكمة لكنها تستعيز عن عزف آلة أم كيكي ذات الوتر الواحد بالتوقيع الزخرفي بالصفقة.

أم كيكي آلة المشكار أو شاي البرامكة:

وقد تحولت هذه المجاميع الى رعاية الأبقار فعرفت بالبقارة وكونت طقسا قريبا هاما هو جلسات شاي البرامكة حيث يقوم الهداي والحكمة بإنشاد شعر اما يدعو:-

- للنفير

- انشاد يتغنى بخلال كريمة عند أحد رجال القبيلة يسمى (مشكار هجين)

- امتداحا لمشروب يسمى (مشكار الشاهي)

- امتداحا للخيل يسمى (مشكار الجرداق)

- هجاء لمقاطعي شرب الشاي المسمون (الكماكلة) عند قبائل المسيرية البقارية في جنوب كردفان وجنوب دارفور.

وغناء الهداي على آلة أم كيكي كثيرا ما يكون على مقام العجم العربي وطابع الغناء القايي (-recita tive) خالي من النبض الإيقاعي pulse. (علي يعقوب كباشي، افادة، 2023م).

آلة الرباب العربي (أم كيكي) آلة قوسية عربية تضبط على صوت موسيقي معين حيث هي ذات وتر واحد ((one string fiddle بحيث يتمكن الموقع العازف المغني عليها المسمى (الهداي) من إصدار بقية الأصوات مكونا منظومة خماسية تحتوي على نصف البعد الصوتي (hemi tonic)، أو مقاما سباعيا كاملا عن طريق العفق على الوتر الوحيد في مواقع مختلفة.

والآلة نصف قرعة تكسى بجلد الورل وهو دابة على خلقة الضب أعظم منه طويل الذنب دقيقه، ويكثر استعمالها بغرب السودان لدى مختلف مجموعات البقارة بينما يصنع وترها من سبيب الخيل أو عصب الأغنام ويشد موازيا لعنق الآلة المصنوع من خشب الأشجار. ويتم إصدار الصوت من وتر الرباب عن طريق التوقيع عليه بواسطة قوس خشبي يشد عليه وتر من الشعر. وتستعين الشاعرة المعروفة باسم (الحكمة) بدلا عن العزف على أم كيكي بالصفقة الجماعية لترسيخ الزمن الإيقاعي. ونجد د. علي الضو يعرف تلك الصفقة بقوله: (Hand Clapping) إصدار الصوت عن طريق «ضرب باطن راحة اليد بباطن الأخرى، وللصفقة نوعان: تلك التي تحدث عند إبداء راحة اليد بباطن الأخرى عند الإعجاب بشخص أجاد عمله وتشجيعه على مزيد من العطاء، وهي صفقة مرسلّة لا يضبطها إيقاع زمني محدد. والأخرى هي تلك التي تصاحب الأداء الموسيقي فهي منضبطة بإيقاعه وزمنه. وتعتبر مثل هذه الصفقة عنصرا أساسيا في الموسيقي وتسهم في الثقافة الموسيقية السودانية، فهي تكتف من الأداء وتسهم في حماس المؤدين وتساعدهم على مزيد من التجويد، رقصا أو غناء وتتبع الوحدات الزمنية الأساسية للإيقاع العام، ولكن الذين يحسنون الصفقة أحيانا يقومون بتقسيم تلك الوحدات إلى أجزاء أصغر فيحدثون بذلك زخرفا وتلوينا إيقاعيا محبا . ويطلق بعض السودانيين على مثل هذه الصفقة (البرقال) وهي تعادل ما يقال له (التشربك) أو الإيقاع الزخرفي المتعدد الزمن في فن الصوت في الخليج (polyrhythms).

من أشكال الخروج عن الخماسية في غرب السودان:

هناك حضور للمقامية العربية في دارفور و كردفان بغرب السودان في أشكال عدة منها:
 أولا: جنس الجذع أو جنس الفرع من مقام عربي معين: فينشأ من ذلك تتراكورد (tetra chord). مثال:
 لحن من العاملين على الإبل (أباله) في دار حامد بشمال كردفان من قبيلة الماهرية الموجودة أيضا
 في شمال دارفور وهي بطن من قبيلة الرزيقات. وينتشر النمط أيضا بين قبيلة الكبابيش في شمال
 شرق كردفان. الأغنية على سي بيمول مايزر تتراكورد محذوف الخامسة ويميل لمقام البياتي العربي.
 ثانيا: سلم خماسي محتوي على بعد واحد لنصف الدرجة الموسيقية : مما يعطي إحساسا مقاميا (hemi
 tonic) مغايرا للخماسي السوداني المألوف الخالي من نصف الدرجة. وهذه صيغة hemi tonic
 وليست صيغة pentatonic لكنها قد تقترب من خماسية جنوب شرق آسيا. مثال:-
 أغنية (دار أم بادر) على رقصة الجراري . أول من غناها الفنانة أم بلينة السنوسي (ت 2018 م).
 تقول أم بلينة أن أغنية أم بادر منحها لها الفنان القدير عثمان حميدة (تور الجر) و هي ملتقطة من بلاد
 الكبابيش حيث كانت الأغنية تشتهر في مناطق أم بادر ودار حامد والكواهلة و منها: -

الليلة والليله دار أم بادر ياحليلها بريد زولي

الزارعنو في البورة

واطاتو ممطوره

زولا سمح صوره

بالباتحه مندوره

بريد زولي

يا والده سيبيني

والجراري راجيني

الشاي الفى الصيني

قريفو راميني

بريد زولي

الزارعنو في بارا

وساقينو الجمالا

زولا ستر حالا

في الغربه البطالا

الليله والليله دار ام بادر يا حليله

بريد زولي

زولا سرب سربه

وختا الجبال غربه

ادوني لى شربه

وخلوني النقص دربه

الليله والليله دار ام بادر ياحليله

- أغنية (الليموني الليلة هوي الليموني صندل شققوا الليموني). أغنية عاطفية للفنانة مريم بشارة بمدينة الفاشر تشبه لون المحبوبة بلون الليمون وهي شائعة بين قبائل المسيرية بغرب السودان وتعزف على كثارهم المسماة محليا (أم بري بري .) ترقص على إيقاع رقصة الجراري المركب الذي يحاكي مشية الإبل بكردفان. و أصبحت الأغنية الآن تغنى على العود أيضا. وقد يرافق رقصة الجراري الكريز (-Guttural hum ming) الذي يصفه د. عون الشريف قاسم بأنه صوت في الحلق كصوت المختنق أو المجهد، وقد عرف في بعض مناطق السودان ب:-

- الحومبي

- الجابودي (إيقاع بالعصا)

- الطنبه (عند جوامعة شرق كردفان)

- الكريز هو فن الطنابرة و شيخهم من بلدة كبوشية الفنان محمد ود الفكي بابكر (ت 1964م) و قد انحسر هذا الأداء بعد بروز فن الحقيقة في أمدرمان و مدني و الأبيض و غيرها خارج هذا المثلث. و الكريز ترجيع يصاحب الغناء يقوم به الشيالون ما زال يصاحب أغاني ورقصات الجراري وغيرها لدى الأباله بكردفان. ويذكر جمعة جابر أن أداء الفنانة مريم بشارة لكلمة الليموني يتنوع من الخماسي البحت الى الخماسي المصحوب بنصف الدرجة. وهذا النوع من الأداء الحلقي مطابق لفن (الدحة) في الجزيرة العربية اليوم لكن الدحة تكون بدون تصويت.

ثالثا: سلم سداسي: أو ما يعرف سودانيا ب (النشاز المحبب). مثال:

أغنية (جدي الريل روعي أنا حرموني ليه) سلم سداسي . من غناء الفنان د. عبد القادر سالم. يرى الباحث عاصم الطيب أنه لحن من موروث قبائل العطاوة ضمن قبائل البقارة مبني على صول ميجر لكنه محذوف الرابعة (sol la si re mi #fa sol) وليس له تسمية معروفة. (أحمد طه محمد الحسن، افادة ، 2004م).

أغنية العجكو أو (شوف جمال البقارة في بلدنا كردفان) سلم سداسي إيقاع مردوم (مردوع) . أول من غناها في الخمسينات ثنائي النغم (زينب خليفة وخديجة محمد) و الفنانة أم بلينة السنوسي(ت 2018م):

من النهود لي بارة

شوف جمال البقارة

رقصتهم مع النقارة

وشوف جمال السودان

في بلدنا كردفان

انظر : أداء بيت العود العربي بالخرطوم بقيادة الموسيقار العراقي أحمد شمة.

رابعا: سلم سباعي مقامي مكتمل: ولكن الأرجح أن الفنان الذي يقدمه عمل على استكمال نغماته بعد أن وجده في البيئة الكردفانية و الدارفورية خماسيا أو سداسيا يحتوي على بعد نصف الدرجة كنغمة الفا والسي في سلم خماسي كبير يبدأ من الدو. ويرى د على الضو أنه حتى عندما تكتمل المقامية العربية في تسلسل يخص المقام المعين عزفا ومرافقة موسيقية الا أن المغني عادة يظل غناؤه خماسيا بنتاتوني الطابع

لعدم دربته على ذلك الأداء العربي المقامي السباعي الدرجات . مثال:-
- أغنية (جيناكي زي وزين) من شعر فضيلي جماع ولحن قناوي وغناء د. عبد القادر سالم. الإيقاع مردوم 6 على 8 والمقام بياقي وتؤدي أحيانا في مقام كرد. ومن الآلات المستخدمة في رقصة المردوم الصفارة ميري وهي الآلة الموسيقية المصاحبة للمردوم ويُعزف عليها بإخراج أصوات متناغمة مع وقع الأرجل على الأرض، وآلة الكشكوش وهو مصنوع من السعف ويوضع بداخله الحصى أو الكول ويستخدم كإيقاع صاحب يحدث صوتا قويا مع ضربة الرجل على الأرض ومن الأصوات المصاحبة للغناء في رقصة المردوم الكرير الصادر من حناجر المغنيين.

جيناكي زي وزين هجر الرهيد يوم جف
جيناكي نعبر ليك زي الطيور عايدين
جيناكي زي وزين عاد فاري جناح
شالو الحنين يسبق رياح ورياح
والغربة ليلها طويل لي متين يجينا صباح !!
فاكرك تكوني الجنة للحنو ليك راجعين
وتكوني عش قمرية يحمي جنا المسكين
جيناكي زي وزين هجر الرهيد يوم جف
جيناك نحمل شوق فات الحدود يوم هف
شوفينا زي وزين لاح البرق ناداه

أغنية (يا بنات الحي قولوا لأم روبه) غناء الفنان إبراهيم موسى أبا (ت 1995م). اللحن من موروث قبيلة المسيرية بطن من البقارة في جنوب كردفان. الإيقاع مردوم والمقام بياقي مصور من (لا مينور). (عاصم الطيب، افادة، 2023م)
أغنية (بريق القبلي ضوا) لحن وغناء د. عبد القادر سالم. الإيقاع مردوم والمقام نهوند (لا مينور). (عاصم الطيب، افادة، 2023م)

أغنية (اللوري حل بي) للفنان د. عبد القادر سالم:-

السيسبان الني والحرير الطي
الجابني ليك زمان
وأنا برضي بيك ولهان أنا
اللوري حل بي دلاني في الودي
جابني للبرضاه،،
العمرى ما بنساه،،
حببي سيد الناس ويبقى لي وناس

الفصل الثالث:

استنتاجات:

يعتبر وجود ينابيع اثرائية للمقامية الموسيقية العربية في جمهورية السودان أحد المسارات لتعقب الهجرات العربية القديمة والحديثة للقبائل العربية الى السودان من خلال البوابات الشرقية والشمالية والغربية للبلاد. وهذا أمر يهم علماء الانسانيات والاجتماعيات بقدر ما يهم علماء موسيقى الشعوب . والأكثر اهتماما هنا هم من يدرسون نظريات الانتشار (diffusion) الثقافي ضمن الدراسات الثقافية - **cultur al studies** . وجود هذا التنوع وان كان محدودا في الأنظمة النغمية في السودان يؤكد على تنوع ثقافي حقيقي في الهوية الوطنية الموسيقية ويشكل دعوة الى رعاية هذا التنوع كمدخل للمصالحة التي تمثل أساس ثلاثية الاستقرار والسلام والتنمية .

نستنتج أن القبائل العربية الأخرى التي استقرت في السودان وجدت ذاتها تماما في ثقافة السلم الخماسي الغنية واستغنت عن مقاميتها في فنونها الشعبية نظرا للقدرة الملحوظة للسودان في امتصاص المؤثر الآخر وانتاجه كثقافة مسودنة. وإذا كان السودان المعاصر عمل على انصهار المؤثرات الثقافية الوافدة مع البيئة الوطنية الأقدم من خلال مدرسة الغابة والصحراء في الشعر والادب ومدرسة الخرطوم في الفنون البصرية والتشكيل والخط فان تجربة تهجين ثقافة السلم الخماسي لم يكن لها أي افق من النجاح والقبول بدءا بما عرف بمقام الزنجران للفنان الرائد إسماعيل عبد المعين (ت 1984م)، ونستحضر هنا شاعر مدرسة الغابة والصحراء د. محمد عبد الحي (ت 1989 م) في ديوانه (العودة الى سنار) اذ يعبر عن هذا المزاج: -

صرت أصلي بلسان

وأغني بلسان

النكهة المقامية العربية والشرق أوسطية واضحة ومتشابهة في النماذج المعروضة على الرغم من كونها من حيث البناء تتأرجح بين 4 الى 7 درجات نغمية، وذلك لأن الدروب والسكك المقامية المسلوكة وأحدة الأبعاد متميزة بدرجة الحساس في المقامية العربية بينما لا وجود لدرجة حساس في الأنظمة الموسيقية الخماسية البنتاتونية.

الوحدات الموسيقية المقامية على صغر مساحتها تتجاذب مزاجا موسيقيا متقاربا مع جماعات خارج السودان كما هو الحال بالنسبة لانتفاء موسيقى البقارة في كردفان ودارفور الى موسيقى اشمل فيما يعرف بالحزام السوداني الممتد غربا وهو ما نلاحظه من اهتمام الفنانين الأمازيغيين بألحان يغنيها الفنان د. عبد القادر سالم. وكما هو الحال في انتفاء موسيقى الرشايدة والسماكة في شرق السودان الى اللون الصوتي (cul- tural color) لعموم البحر الأحمر والسواحل الشرقية له وصولا الى الخليج العربي . ولذلك يشكل هذا المحتوى مادة خصبة وبكرا لعلماء موسيقى الشعوب للقيام بأبحاثهم الميدانية المقارنة.

في تجربة بيت العود العربي في السودان بإدارة الفنان نصير شمه و الفنان أحمد شمة حديثا ظهر جليا اهتمام ادارته بتوظيف الات الربابة (الكنارة) المدوزنة مقاميا وآلات الرباب (أم كيكي) المستخدمة مقاميا في عروضه الحديثة. ومن شأن هذا أن يعيد الحيوية الى تجارة التصنيع والتدرب على هذه الآلات التقليدية في الأوركسترا الشعبية السودانية التي وضعتها الآلات الالكترونية والكهربائية الحديثة الطاغية في الهامش.

العناية بتطوير الأداء الرقصي للرقصات المرافقة للفنون المقامية في البلاد من شأنه أن يثري السياحة الثقافية ويصبح أحد أشكال التنمية الثقافية المدروسة القائمة على استدعاء التراث الشعبي المحلي والإقليمي. ان دخول عوامل التغيير العاصفة على تراث شفاهي غير مدون أو محفوظ يمكن أن يعرض أصوله لكثير من التحويل الذي تضيع معه الأصول. مثلاً أصبحت آلة العود تحل محل آلاتي الكنارة وأم كيكي كآلة وترية وحيدة في يد الهداي (شاعر مغني) أو المغني في فنون مجاميع السماكة والرشايدة والبقارة. كذلك نقل الملحنين للأغنيات الحديثة من هذا التراث الى بنية المقام السباعي ينطوي عليه تغيير لشكله الأصل في بنائه الرباعي والخماسي المحتوي لنصف الدرجة والسداسي. بعض هذه الفنون جزء من ممارسة انثروبولوجية أوسع تتساق مع الشعر الهادف الى ادانة واحتواء السلوكيات الخادشة للعرف القبلي وترسيخ فضيلة النفير والنجدة والفرعة والكرم في القبيلة كما هو فن الهداي والحكمة في مجالس شاي البرامكة بما يمثل من محكمة ابتدائية للعرف القبلي الهادف الى امتصاص المشاكل بين الأفراد والجماعات قبل أن تتطور من خلال عرف (الأجاويد) في السلوك السوداني. ولا شك أن مثل هذه الظاهرة تثبت القيم بما فيها القيم الجندرية في المجاميع ان سلبا أو إيجابا. كما أن التكنولوجيا الاقتصادية تسهم مباشرة في تغيير الشكل و المضمون للوظائف الاجتماعية المهنية المتعلقة بهذه الفنون مما يشكل خطرا داهما على استمراريتها ناهيك عن أصلاتها.

الهوامش:

- (1) احمد بن الحاج أبو علي (ت 1838م)، مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية، تحقيق: الشاطر بصيلي عبد الجليل، القاهرة، 1961م.
- (2) احمد سيد احمد، تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري 1820-1885م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م.
- (3) أحمد فضل العبدلي (ت 1943م)، ديوان الأغاني للحجية، مطبعة الهلال، 1938م.
- (4) جمعة جابر (ت 1988م)، الأثر العربي في الموسيقى الشعبية في الفاشر، شبكة الانترنت.
- (5) جمعة جابر (ت 1988م)، الموسيقى السودانية تاريخ تراث هوية نقد، شركة الفارابي، د.ت.
- (6) حسام الدين مرغني، بوك ما عبرني ، مقال بالانترنت بتاريخ 11 فبراير 2009م. <http://www.sudan-yat.org/vb/archive/index.php/t-10067.html>
- (7) دفع الله الحاج علي، الطرق التقليدية لصناعة الآلات الموسيقية في السودان، دار اريثريا للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2023م.
- (8) ضرار صالح ضرار (ت 2017م)، هجرة القبائل العربية إلى مصر والسودان، مكتبة التوبة، 2001م.
- (9) عباس سليمان السباعي (ت 2022م)، النغمة السداسية وعلاقتها بالسلم الخماسي في الموسيقى وسط السودان وألحان آليّة وغنائية للعزف الآلي والغنائي، الخرطوم، 2002م.
- (10) عباس سليمان السباعي (ت 2022م)، السلم الخماسي في الموسيقى السودانية، الخرطوم، 1992م.
- (11) عبد الهادي صديق (ت 2000م)، الحزام السوداني جغرافيا وتاريخه الحضاري، مركز عبد الكريم مرغني الثقافي، أمدردمان، 2005 م.
- (12) علوان مهدي الجيلاني، ارفيوس المنسي، دار نشر عناوين، القاهرة، 2021م.
- (13) على الضو، الموسيقى ومكانتها في كتاب طبقات ود ضيف الله، مجلة الدراسات السودانية، معهد الدراسات الأفروآسيوية جامعة الخرطوم، المجلد 25، أكتوبر 2019م.
- (14) عون الشريف قاسم (ت 2006م)، قاموس اللهجة العامية في السودان، الطبعة الثالثة، 2002م.
- (15) الفاضل احمد السنوسي، الدور الوطني لفن الغناء و الموسيقى في السودان و اثره السياسي و الاجتماعي في الفترة 1820-1969م، مركز عبد الكريم مرغني الثقافي، أمدردمان، 2014م.
- (16) فؤاد عمر (ت 2003م)، مجموعة كتب عن ذكرياته عن الفن السوداني ، القاهرة.
- (17) محبوب عمر باشري (ت 2008م)، رواد الفكر السوداني، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- (18) محمد احمد الجابري، تاريخ السودان كما يرويه اهله، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م.
- (19) حمد إبراهيم أبو سليم (ت 2004م)، أدوات الحكم والولاية في السودان، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- (20) محمد آدم سليمان و رجاء موسى عبدالله، التثاقف الموسيقي المصري السوداني في اعمال العاقب محمد حسن و احمد الجابري، المؤتمر العلمي الدولي السادس للفنون الافريقية تحت عنوان الفنون المصرية وتأصيل الهوية والانتماء الوطني محور تأثير الموسيقى المصرية على الساحة العربية والأفريقية، القاهرة، ابريل 2023م.

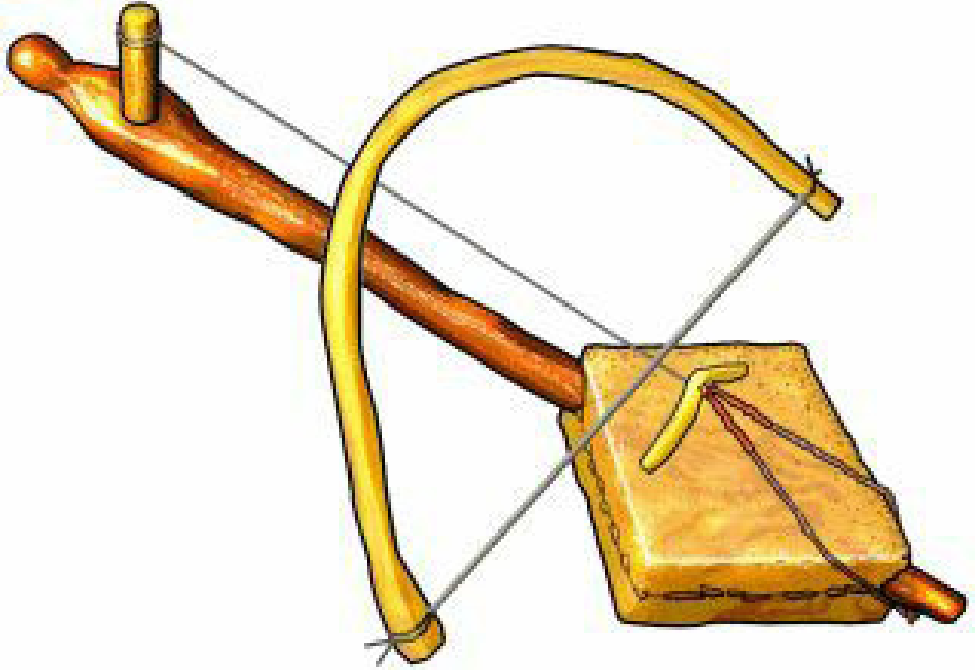
- (21) محمد النور بن ضيف الله (ت 1809م)، الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق: د يوسف فضل حسن، دار النشر بجامعة الخرطوم، 1974م.
- (22) حمد بن عمر التونسي (ت 1857م)، تشحيد الازهان بسيرة بلاد العرب والسودان تحقيق : همفري ديفيز، المكتبة العربية، عن طبعة 1850م.
- (23) محمد جلال هاشم ، جزيرة صاي قصة حضارة قضايا التنمية و التهميش في بلاد النوبة، مركز عبدالكريم مرغني الثقافي، أمدرمان، 2014م.
- (42) محمد صالح ضرار (ت 1973 م) ، تاريخ سواكن و البحر الأحمر ، الدار السودانية للكتب، الخرطوم ، 1981م.
- (25) محمد عبدالرحيم (ت 1966 م) ، نفثات اليراع ، الجزء الأول ، شركة الطبع و النشر ، الخرطوم، د.ت.
- (26) محمد علوي عبدالرحمن باهارون ، مجموعة مؤلفات.
- (27) معاوية حسن ياسين، من تاريخ الغناء والموسيقى في السودان من أقدم العصور حتى عام 1940م، الجزء الأول، مركز عبد الكريم مرغني الثقافي، أمدرمان، 2005م.
- (82) يوسف الشريف (ت 2010م)، السودان واهل السودان أسرار السياسة وخفايا المجتمع، دار الشروق، القاهرة ، 2004م.
- (29) يوسف فضل حسن، هجرة الرشيدة الى السودان 1910-1846م، في: دراسات في تاريخ السودان، الجزء الأول، دار النشر بجامعة الخرطوم، 1975م.
- (30) M. Jalal Hashim, Sudanese Music: a Loud Voice silenced by an Inconvenient Ideology Historical Review The Turco-Egyptian Era (1821-1885), September 09 2009, online.

مقابلات وإفادات شخصية:

- (1) أحمد طه محمد الحسن (أمدرمان 2004م) .
- (2) . إبراهيم القرشي (أمدرمان 2022م) .
- (3) عمر أحمد قدور (أمدرمان 2022م) .
- (4) عاصم الطيب، علي يعقوب كباشي، د. كمال يوسف، د. علي الضو، حمزة سليمان، معاوية حسن يس (أمدرمان 2023م) .

الأشكال المرفقة:

- شكل رقم (1) آلة أم كيكي الرباب العربي في غرب السودان.
- شكل رقم (2) مجالس شاي البرامكة بوجود الهداي والحكمة بغرب السودان.
- شكل رقم (3) و (4) و (5) طبول ورقص وفرقة السماكة الحديثة بساحل شرق السودان.
- شكل رقم (6) رقصة الرشيدة بشرق السودان.
- شكل رقم (7) رقصة الجراري بغرب السودان.
- شكل رقم (8) تخت بيت العود بالخرطوم يشمل ام كيكي وام بربري.
- شكل رقم (9) خريطة السودان.
- شكل رقم (10) آلة السمسمية أو الطنبور.
- شكل (11) رقصة المردوم بغرب السودان.
- شكل رقم (12) آلة أم بربري كنارة غرب السودان تشمل دوزنتها نصف الصوت.



شكل رقم (1) آلة كيكي الرباب العربي في غرب السودان



شكل رقم (2) مجالس شاي البرامكة بوجود الهداي والحكامه بغرب السودان



شكل رقم (3) و (4) و (5) طبول ورقص وفرقة السماكة الحديثة بساحل شرق السودان



شكل رقم (6) رقصة الرشيدة بشرق السودان



شكل رقم (7) رقصة الجبراري بغرب السودان



شكل رقم (8) تخت بيت العود بالخرطوم يشمل ام كيكي وام بربري



شكل رقم (9) خريطة السودان



شكل رقم (10) آلة السمسمة أو الطنبور



شكل (11) رقصة المردوم بغرب السودان



شكل رقم (12) آلة أم بربري كنارة غرب السودان تشمل دوزنتها نصف الصوت

الأثار القانونية لتصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع (دراسة مقارنة)

كلية القانون - جامعة الزعيم الأزهرى

د. يونس أحمد آدم القدال

مستخلص:

هدفت الدراسة لبيان أحكام تصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع و أثارها على الدائنين و العاملين بالشركة و على الدولة المستضيفة . اتبعت الدراسة : المنهج الوصفي التحليلي المقارن بين القانون المصري و السعودي و الإماراتي و السوداني . توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: أن تصفية الشركة الأجنبية الأم يؤدي إلى تصفية الفرع و تصفية الفرع لا تؤدي إلى تصفية الشركة الأم . أن الشركة الأجنبية الأم عند تصفيتها تحتفظ بشخصيتها الاعتبارية و مركزها العام . أن القانون السوداني لم ينص صراحة على أثر تصفية الشركة الأجنبية على الفرع . يوصي البحث بعدة توصيات أهمها: ضرورة اهتمام المشرع السوداني بوضع نصوص تنظم كافة أحكام فرع الشركة الأجنبية و النص صراحة على أثار تصفيتها . دعم و تشجيع تسجيل الشركات الأجنبية بالسودان .

الكلمات المفتاحية: الأثار القانونية ، الشركة الأجنبية ، التصفية ، الفروع

Legal Effects of Liquidation of Foreign Parent Companies on Branches

Dr. Younis Ahmed Adam Al Qadal

Abstract

The study targeted to show provisions of liquidation parent company upon branch and its impact on creditors , employees and host-state .The study followed descriptive , and analytic and comparative approach between Egyptian , Saudi , Emirates and Sudanese law .The study reached many results the most important results are: Liquidation of parent company leads to liquidation of branch but liquidation of branch doesn't lead to liquidation of parent company .Parent company during liquidation retains artificial personality and public status .Sudanese law didn't mention expressly the impact of liquidation of parent company upon branch .The study most important recommendations are: Necessity keen of Sudanese legislator of having provisions regulate all matter of branch of foreign company and its impacts of liquidation .Support and encourage registration of foreign companies in Sudan .The key words:Foreign company:Foreign company is a company en-

joying the nationality of state of foundation. Liquidation: Liquidation is a set of acts leads to termination of company activity and acquire its rights , attach assets and payment of debts .

Keywords: legaleffects, foreign, companies ,liquidation ,branches

مقدمة:

أدى تراجع الديون الخارجية وتعاقد أزمة المديونيات إلى اهتمام الدول النامية بالاستثمارات الأجنبية لأهميتها الاقتصادية في إنعاش الاقتصاد الوطني بجلب رؤوس الأموال الأجنبية، والاجتماعية بحل مشكلة البطالة وتشغيل الأيدي العاملة الوطنية وتدريبهم وتأهيلهم. ونتج عن ذلك امتداد نشاط الشركات خارج الدول التي تتمتع بجنسيته، ومن هنا بدأت فكرة إنشاء فروع للشركات الأجنبية، واهتمام بعض الدول بوضع نصوص تنظم تأسيسها وكيفية إدارتها ومباشرتها لأعمالها وانقضائها. وبالرغم من أن السودان يعتبر من أبرز الدول التي سعت لاستقطاب الاستثمارات الأجنبية بتقديم الضمانات والامتيازات لتشجيع الاستثمار، إلا أن فروع الشركات الأجنبية رغم أهميتها لم تحظى بالاهتمام التشريعي والفقهي اللازم في السودان إلا بشكل مقتضب في قانون الشركات لسنة 2015 م. ولذلك سوف نتعرف في هذه الورقة علي الآثار القانونية لتصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع في دراسة تحليلية مقارنة، ويستلزم ذلك التناول بالضرورة بيان أحكام التصفية وتحديد مفهوم الشركة الأجنبية وإجراءات تأسيسها واثار التصفية على الفرع.

أهمية الدراسة :

يتمثل الدور الذي تلعبه الشركات الأجنبية في الحياة الاقتصادية للدول التي تمارس نشاطها فيها من حل مشكلة البطالة و تشغيل الأيدي العاملة الوطنية و تدريبهم و تأهيلهم

مشكلة الدراسة :

تمثلت مشكلة الدراسة في أن التشريعات السودانية لم تضع نصوصا تبين فيه أحكام و آثار تصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع و بيان كيفية إدارتها و مباشرة أعمالها و انقضائها و تصفيتها بالرغم من أهميتها الاقتصادية و الاجتماعية .

منهج الدراسة :

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن بعدة قوانين مثل القانون المصري ، و السعودي و الإماراتي و السوداني .

هيكل الدراسة :

تناولت الدراسة :

المبحث الأول : مفهوم التصفية الشركة الأجنبية .

المبحث الثاني : طرق تصفية فرع الشركة الأجنبية .

المبحث الثالث : آثار تصفية الشركة الأجنبية الأم على الفرع .

المبحث الأول:

مفهوم تصفية الشركة الأجنبية:

يترتب على انقضاء الشركة – بتوافر أي سبب من أسباب الانقضاء – تصفيتها بهدف إنهاؤها وحصر موجوداتها واستيفاء حقوقها لدى الغير وأداء ما عليها من ديون، وقسمة أموالها بين الشركاء، وشهر انقضائها،

والأصل أن تتم إجراءات تصفية الشركة طبقاً لما هو منصوص عليه بعقد الشركة، وفي حالة خلو عقد الشركة من أحكام التصفية تتبع الأحكام العامة في قانون الشركات⁽¹⁾ وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في هذا المبحث في مطلبين نبين في المطلب الأول تعريف التصفية، وفي المطلب الثاني طرق تصفية الشركة .

المطلب الأول:

تعريف فرع الشركة الأجنبية:

لم تعرف معظم قوانين الشركات الشركة الأجنبية تاركة أمر تعريفها للفقهاء والقضاء، وعرفت بعض التشريعات، وتركت الأخرى أمر تعريفها للفقهاء والقضاء، ومن التشريعات التي عرفته القانون اليمني الذي عرفه: (أي شركة يكون مركزها الرئيسي أو تكون مؤسسة خارج الجمهورية)⁽²⁾.

عرفه المشرع الأردني في قانون الشركات رقم (22) لسنة 1977، المعدل بالقانون (57) لسنة 2006 الذي ميز بين الشركات الأجنبية العاملة، والشركات الأجنبية غير العاملة بأنه: (الشركة أو الهيئة المسجلة خارج المملكة ويقع مركزها الرئيسي في دولة أخرى جنسيتها غير أردنية). وقسمها القانون الأردني من حيث طبيعة عملها إلى نوعين (الأول) شركات تعمل لمدة محددة: وهي الشركات التي تحال عليها عطاءات لتنفيذ أعمالها في الأردن، لمدة محددة ينتهي تسجيلها بانتهاء تلك الأعمال، مالم تحصل على عقود جديدة، ويتم شطب تسجيلها بعد تنفيذ كامل أعمالها وتصفية حقوقها والتزاماتها. ويتطابق هذا التقسيم المادة (202) من قانون نظام الشركات السعودي 1437 هـ / 2015م، و(الثاني) شركات تعمل بصفة دائمة بترخيص من الجهات الرسمية. وعرف القانون الأردني الشركات الأجنبية غير العاملة في المادة (245/أ) بأنها: (الشركة أو الهيئة التي تتخذ من المملكة مقراً لها أو مكتب تمثيل لأعمالها التي تقوم بها خارج المملكة وذلك بقصد استخدام مقرها أو مكتبها لتوجيه أعمالها تلك وتنسيقها مع مركزها الرئيسي). ويحظر على الشركة الأجنبية غير العاملة أن تزال أي عمل أو نشاط تجاري داخل المملكة بما في ذلك أعمال الوكلاء والوسطاء التجاريين⁽³⁾.

عرف نظام فروع ومكاتب الشركات والمؤسسات الاقتصادية الأجنبية العراقي رقم (5) لسنة 1989 فرع الشركة الأجنبية ب: (يقصد بفرع الشركة أو المؤسسة الاقتصادية الأجنبية مايجاز بموجب أحكام هذا النظام من فروع لشركات أو مؤسسات أجنبية تمارس نشاطاً دائماً في العراق بموجب معاهدة أو إتفاق أو عقد مع الدولة، أو متعاقدة لتنفيذ مشروع معين مع دوائر الدولة، أو القطاع الإشتراكي أو شركات القطاع المختلط أو الإتحادات أو الجمعيات التعاونية أو الشركات المساهمة الخاصة التي لا يقل رأس مالها الإسمي عن مليون دينار، وذلك بعد موافقة الجهة القطاعية المختصة)⁽⁴⁾ وعرفت المادة الثانية من القانون رقم (33) لسنة 1997 تعديل (22) لسنة 1997 بشأن تنظيم وكالات وفروع الشركات والبيوت الأجنبية ب: (كل شركة أو منشأة أو مؤسسة تؤسس أو يكون مركزها الرئيسي خارج الجمهورية)

عرفها المشرع السعودي بأنه: (الشركة التي يجري تأسيسها وفقاً لقانون الشركات السعودي، ولا يكون مركزها الرئيسي في المملكة، وتزاول نشاطها وأعمالها داخل المملكة سواء كان ذلك عن طريق فرع أو مكتب أو وكالة أو أي شئ آخر. وتلك التي تتخذ من المملكة مقراً لتمثيل أعمال تقوم بها خارجها أو توجيهها أو تنسيقها)⁽⁵⁾

القانون السوداني لم يعرف فرع الشركة الأجنبية ولكنه الزم الشركات المسجلة خارج السودان وتعاقدت على تنفيذ عمل محدد داخل السودان أن تنشئ فرعاً من أجل ذلك الغرض، وإعتبر التسجيل

مقصوراً على ذلك العمل، وللوقت اللازم لتنفيذه وفقاً لشروط العقد (المادة 34 من قانون الشركات لسنة 2015 التي تطابق المادة 248 من القانون الملغى) ⁽⁶⁾ من خلال النص يمكن تقسيم فروع الشركات الأجنبية بالسودان إلى نوعين (الأول) شركات مؤقتة وهي الشركات التي فرض القانون تسجيلها في حالة تعاقدتها على تنفيذ عمل محدد في زمن محدد داخل السودان، وتنتهي مدتها بإنهاء الوقت المحدد أو العمل و(الثاني) شركات دائمة وهي الشركات التي تعمل بصفة مستمرة بعد إستيفائها لكافة متطلبات التسجيل المقررة قانوناً ⁽⁷⁾.

حظر المشرع السوداني على الشركة الأجنبية ممارسة أي نشاط لا يدخل في أغراض الشركة المسجلة خارج السودان. ⁽⁸⁾

يختلف الفقه حول مفهوم فرع الشركة الأجنبية لإختلاف المفهوم التشريعي حيث عرفه البعض بتعريف الشركة الأجنبية، والبعض الآخر بفرع الشركة الأجنبية، وفرق آخرون بين الشركة العاملة داخل الدولة، والشركة العاملة خارج الدولة.

عرف فرع الشركة الأجنبية بأنه: (الشركة التي يتم تسجيلها خارج الدولة بموجب قانون الشركات بالدولة الأجنبية، وتستمد الشركة الأجنبية جنسيتها من تلك الدولة التي يتم تسجيلها فيها) ⁽⁹⁾ وعرف بأنه: (الشركة التي يتم تأسيسها تأسيساً صحيحاً وفقاً لقانون جنسيتها) ⁽¹⁰⁾.

عرف بأنه: (الشركة التي تتخذ مركز إدارتها الرئيسي في الخارج، وهي قد تبشر نشاطها الرئيسي في مصر وقد يقتصر الأمر على مباشرة جزء من نشاطها في مصر بواسطة توكيل أو فرع أو غير ذلك ..) ⁽¹¹⁾.

تعريفي المختار لفرع الشركة الأجنبية (الشركة التي تأسس وتسجل خارج جمهورية السودان وفقاً لقانون الدولة التي سجلت بها، وتمارس نشاطها داخل جمهورية السودان بصفة مؤقتة لتنفيذ عمل معين، أو دائمة بعد إستيفاء وإستكمال شروط التسجيل المنصوص عليها قانوناً) .

من خلال التعريفات يتضح أن فرع الشركة الأجنبية يمتاز بعدة خصائص أهمها:

أ. **الاستقلالية:** بالرغم من تمتع فرع الشركة الأجنبية بجنسية الشركة الأم إلا أن نشاطه وممارسته لأعماله تخضع للقوانين الوطنية التي تنظم إجراءات التسجيل وممارسة النشاط.

ب. **المقر الثابت:** لفرع الشركة وفقاً لضوابط التسجيل مقر ثابت بمثابة عنوان للفرع يمارس فيه نشاطه وأعماله ويحدد إختصاصه المكاني للدعوى.

ج. **الإدارة الذاتية للمدير:** حيث يتولى المدير العمل، والتعاقد بإسم فرع الشركة الأجنبية وفقاً للقانون الوطني.

يختلف الفقه حول معيار تحديد جنسية فرع الشركة الأجنبية بين معايير أهمها:

(أ) معيار مكان التأسيس:

وفقاً لهذا المعيار تتمتع الشركة الأجنبية بجنسية الدولة التي يتم فيها تأسيسها، أي المكان الذي تمت فيه إجراءات تأسيس الشركة ⁽¹²⁾، ويمتاز هذا المعيار بالسهولة والثبات. ويؤخذ على معيار محل التأسيس أنه يترك تحديد جنسية الشركة الأجنبية بيد المؤسسين، وأنه يستند إلى قاعدة خضوع التصرف لقانون محل إبرامه.

(ب) معيار مركز النشاط والإستغلال:

وفقاً لهذا المعيار تتمتع الشركة بجنسية الدولة التي يقع بها مركز نشاطها الرئيسي، ويتأسس هذا المعيار على أن مركز الإستغلال هو المكان الذي تتجمع فيه مصالح الشركة الأجنبية، وهو أيضاً موطنها، ويمتاز هذا المعيار بالواقعية، ويؤخذ عليه تعذر إتباعه عملياً⁽¹³⁾.

(ج) معيار جنسية الشركاء:

وفقاً لهذا المعيار تتمتع الشركة الأجنبية بجنسية الدولة التي ينتمي اليها الشركاء الذين أسسوها بإعتبار المشروع هو المعبر عن أفرادها وهو المحقق لمصالحهم⁽¹⁴⁾، ويتميز هذا المعيار بالسهولة ويؤخذ عليه أنه يغفل تمتع الشركة بالشخصية القانونية بمجرد تسجيلها، وصعوبة الأخذ به في حالتي اختلاف جنسية الشركاء أو تغيير بعضهم لجنسيته⁽¹⁵⁾.

(د) معيار مركز الإدارة الرئيسي:

وفقاً لهذا المعيار تتمتع الشركة الأجنبية بجنسية الدولة التي يوجد بها مركز إدارتها الرئيسي وهو المكان الذي تتخذ الشركة مقراً⁽¹⁶⁾ ويتميز هذا المعيار بالوضوح وسهولة التحديد، لأنه يعتمد على المكان الذي توجد فيه الأجهزة الرئيسية التي تتولى إدارة الشركة، وبتطبيقه لمبدأ بناء الجنسية على رابطة واقعية . يعتبر قانون الشركات السوداني الملغي أي شركة مؤسسة خارج السودان شركة أجنبية حتى ولو كان مركزها الرئيسي بالسودان، مما يعني أخذه بمعيار محل التأسيس لتحديد جنسية الشركة، ويستشف ذات الإتجاه من نص المادة (35) من قانون الشركات 2015م المتعلقة بالشروط والمطلوبات. بينما أخذ قانون المعاملات المدنية لسنة 1984 بمعيار مركز الإدارة الرئيسي كمعيار لتحديد جنسية الشركة⁽¹⁷⁾. ويرى الباحث من خلال هذا التعارض الأخذ بمعيار محل التأسيس لأن قانون الشركات هو القانون الخاص بتنظيم عمل الشركات الأجنبية بالسودان. وبجانب معيار محل التأسيس يأخذ السودان بمعيار المصلحة الأساسية الذي ورد في بعض الإتفاقيات التي عقدها حكومة السودان مع بعض الدول الأجنبية كالمانيا وسويسرا⁽¹⁸⁾.

المطلب الثاني:

مفهوم تصفية الشركة:

عرفت التصفية بأنها: (مجموعة العمليات اللازمة لتحديد الصافي من أموال الشركة الذي يوزع بين الشركاء وإستيفاء حقوقهم من الشركة والوفاء بما عليها من الديون وبيع موجوداتها)⁽¹⁹⁾. وبأنها: (مجموعة العمليات الرامية إلى إنهاء الأعمال التجارية للشركة، وما ينشأ عنها من إستيفاء حقوقها ودفع الديون المترتبة عليها، وتحويل عناصر موجوداتها إلى نقود تسهياً لعملية الدفع، والتوصل إلى تكوين كتلة الموجودات الصافية من أجل إجراء القسمة وتحديد حصة كل من الشركاء في موجوداتها المتبقية وما يترتب على كل منهم دفعه، إذا تعذر عليها التسديد من موجوداتها)⁽²⁰⁾. وبأنها: (مجموعة الأعمال التي تؤدي إلى إنهاء نشاط الشركة وإستيفاء حقوقها وحجز موجوداتها وسداد ديونها)⁽²¹⁾. وعرفت بأنها: (مجموع الأعمال التي من شأنها تحديد حقوق الشركة قبل الشركاء، وقبل الغير للمطالبة بها، وكذلك ديونها قبل الغير)⁽²²⁾. تعتبر تصفية الشركة نتيجة طبيعية لحلها إذ تنتقل الشركة بعد الحل إلى مرحلة التصفية للوصول إلى الإنقضاء التام للشركة بإنهاء أعمالها وأنشطتها وإستيفاء حقوقها والوفاء بما عليها من إلتزامات وسداد ديونها

وقسمة ماتبقى على الشركاء ويثور خلاف في الفقه حول ضرورة إجراء التصفية من عدمه وحول إرباطها بالقسمة وإستقلاليتها منها⁽²³⁾، وتعد التصفية ضرورية ولازمة طالما قد يترتب على الشركة المنحلة ديون للغير وروابط معهم، ولا تتم التصفية وتنتهي إلا بإنقضاء تلك الروابط.

شرع تنظيم التصفية لهدف أساسي هو وقف التزام والتسابق بين الدائنين وإستحداث نظام قانوني يقوم على تحقيق العدالة بينهما، بتجميع أصول الشركة وحمايتها وتوزيعها على الدائنين وفق إجراءات وأولويات، وقسمة المتبقي - إن وجد - على المساهمين وفقاً للقانون.

الأصل أن إنقضاء الشركة يؤدي إلى زوال شخصيتها المعنوية إلا أن إتمام عملية التصفية يتطلب إحتفاظ الشركة بشخصيتها القانونية خلال فترة التصفية لذلك تحتفظ الشركة بشخصيتها القانونية بحكم القانون إلى فترة مابعد التصفية، وإحتفاظ الشركة بشخصيتها المعنوية تبرره الضرورة العملية من ناحيتين: (الأولى) أن التصفية تتطلب إتخاذ بعض الإجراءات كإنهاء أعمال الشركة وتسوية حقوقها وديونها، الأمر الذي يستوجب بقاء الشخصية المعنوية. و(الثانية) منع شيوع ملكية أموال الشركة بين الشركاء، لأن الشيوع يعطي دائني الشركاء الشخصيين الحق في مزاحمة دائني الشركة عند التنفيذ على أموالها وإحتفاظ الشركة بشخصيتها المعنوية يكون بالقدر اللازم لإتمام عملية التصفية. ويترتب على إحتفاظ الشركة بشخصيتها المعنوية عدة نتائج أهمها إحتفاظ الشركة بالذمة المالية المستقلة عن ذمم الشركاء، وموطنها، وبعنوانها، وبحقها في التقاضي، وعدم جواز إسترداد حصص الشركاء من رأسمالها⁽²⁴⁾.

المبحث الثاني:

طرق تصفية فرع الشركة الأجنبية:

تطبق على فرع الشركة الأجنبية في معظم التشريعات المقارنة التي لم تفرد لها قانوناً خاصاً القواعد المقررة للشركات الوطنية، إذ نص المشرع الإماراتي في المادة (335) من المرسوم بقانون إتحادي رقم (32) لسنة 2020 بشأن الشركات التجارية على: (مع عدم الإخلال بالاتفاقات الخاصة المعقودة بين الحكومة الإتحادية أو إحدى الحكومات المحلية أو إحدى الجهات التابعة لأي منهما وبين الشركات الأجنبية، تسري أحكام هذا المرسوم بقانون على الشركات الأجنبية التي تزاوّل نشاطها في الدولة أو تتخذ فيها مركز إدارتها عدا الأحكام المتعلقة بتأسيس الشركات)، ونص المشرع السعودي في المادة (194) نظام الشركات السعودي لسنة 1437 هـ / 2015 على: (مع عدم الإخلال بالاتفاقات الخاصة المبرمة بين الدولة وبعض الشركات الأجنبية، وفيما عدا الأحكام المتعلقة بتأسيس الشركات، تطبق أحكام النظام على الشركات الأجنبية الآتية:

1. الشركات التي تزاوّل ونشاطها وأعمالها داخل المملكة، سواءً كان ذلك عن طريق فرع أو مكتب أو وكالة، أو أي شئ آخر.

2. الشركات التي تتخذ من المملكة مقراً لتمثيل أعمال تقوم بها خارجها، أو توجيهها أو تنسيقها)، وإعتبر المشرع السعودي فرع الشركة الأجنبية أو وكالتها أو مكتبها داخل المملكة موطناً لها في شأن نشاطها وأعمالها داخل المملكة وتطبق عليه جميع الأنظمة المعمول بها⁽²⁵⁾

تختلف طرق تصفية الشركة من تشريع لآخر حيث تتبع بعض التشريعات طريقتين للتصفية تصفية إختيارية والثانية قانونية⁽²⁶⁾ وتشريعات أخرى - منها القانون السوداني - ثلاثة طرق هي التصفية عن

طريق المحكمة والتصفية الاختيارية والتصفية تحت إشراف المحكمة⁽²⁷⁾.

تتم التصفية بالطرق المنصوص عليها في عقد تأسيس الشركة أو نظامها الأساسي أو بإتفاق الشركاء وفي حالة عدم النص أو الإتفاق على طرق التصفية تتبع القواعد المقررة وفقاً للقانون، وقد نص على ذلك المشرع السعودي في المادة (204) من نظام الشركات 1437 هـ / 2015 م، والمشرع الإماراتي في المادة (314) من المرسوم بقانون إتحادي رقم (32) لسنة 2020 بشأن الشركات التجارية، لم ينص المشرع السوداني على طرق تصفية فرع الشركة الأجنبية التي تباشر نشاطها فيه، ولذلك تطبق بشأنها الإجراءات الخاصة بتصفية الشركات الوطنية كما سنبين.

المطلب الأول:

تصفية فرع الشركة الأجنبية عن طريق المحكمة:

التصفية عن طريق المحكمة هي التصفية التي تتم معظم إجراءاتها وأعمالها أمام المحكمة، وتسمى أيضاً بالتصفية الإجبارية أو القضائية، وتمارس فيها المحكمة سلطات واسعة ومستوىً عالياً من إجراءات تنفيذها⁽²⁸⁾.

حددت بعض التشريعات الحالات التي يجب توافرها أو توافر إحداها - لتصفية الشركة عن طريق المحكمة وحصرها المشرع السوداني في الحالات الآتية⁽²⁹⁾:

1. صدور قرار خاص بالتصفية من الجمعية العمومية للشركة:

يخضع صدور القرار الخاص بتصفية الشركة للسلطة التقديرية للمحكمة في قبوله أو رفضه ولا يؤدي بصفة تلقائية لتصفية الشركة، فإذا رأت المحكمة أن التصفية تضر بمصالح بعض المساهمين أو لأي أسباب أخرى تراها فيجوز لها أن ترفض السير فيها⁽³⁰⁾.

2. عدم انعقاد الإجتماع التأسيسي أو عدم إيداع التقرير التأسيسي :

يعتبر عدم انعقاد الإجتماع التأسيسي أو عدم إيداع التقرير التأسيسي سبباً لتصفية الشركة من طريق المحكمة، ويجوز للمحكمة المقدم إليها طلب التصفية أن تأمر بإيداع التقرير التأسيسي، أو بعقد الإجتماع أو بماتراه عادلاً بدلاً من أن تأمر بالتصفية⁽³¹⁾.

3. عدم بدء الشركة لأعمالها أو توقفها خلال سنة من إكمال إجراءات تسجيلها:

4. نقص عدد أعضاء الشركة عن اثنين:

تتكون الشركة في القانون السوداني الذي لايعترف بشركة الشخص الواحد من شخصين أو أكثر⁽³²⁾، ويترتب على نقص عدد أعضاء الشركة عن عضوين إجتماع كل الحصص في يد شريك واحد، وبالتالي إنهيار ركن تعدد الشركاء، والقانون الملغي كان ينص صراحة على نقص عدد الأعضاء عن اثنين في الشركات الخاصة أو عن سبعة أعضاء في الشركات الاخرى⁽³³⁾.

5. عجز الشركة عن سداد ديونها :

يعتبر عجز الشركة عن الإيفاء بالتزاماتها التجارية سواءً بسبب هلاك رأسمالها أو إفلاسها أحد أسباب إنقضاء الشركات بصفة عامة، وقد جوز قانون الشركات السوداني تصفية الشركة متى ماتين عجزها عن سداد ديونها⁽³⁴⁾.

6. إذا رأت المحكمة أن العدالة والإنصاف يقتضيان تصفية الشركة:

يجوز للمحكمة في هذه الحالة متى ما رأت أن العدالة والإنصاف يقتضيان تصفية الشركة أن تأمر بتصفيتها ويقابل هذا النص المادة (122/ ز) من قانون الإعسار الإنجليزي. وتغطي هذه الفقرة كافة الحالات التي لم يسبق ذكرها في الحالات السابقة، ومنحت المحكمة سلطة واسعة للأمر بالتصفية متى رأت أن العدالة والإنصاف يستدعيان ذلك⁽³⁵⁾.

إجراءات تصفية فرع الشركة الأجنبية عن طريق المحكمة:

تبدأ إجراءات تصفية الشركة بطلب للمحكمة من فرع الشركة الأجنبية أو من أحد الدائنين أو من المُلزم بالدفع أو المساهم أو من أي جهة يخول لها القانون الحق في تقديم طلب للتصفية أو منهم جميعاً وفقاً للكيفية المنصوص عليها بقانون الإجراءات المدنية السوداني لسنة 1983⁽³⁶⁾ مشتملاً على أسماء الدائنين وتفاصيل عن أصول الشركة وإلتزاماتها وميزانيات معتمدة لثلاثة سنوات سابقة على تقديم الطلب. وللمحكمة سلطة جوازية في إعفاء مقدم الطلب من تلك المشتكلات أو بعضها. ولم ينص القانون على الإجراءات التي يجب أن تتبعها المحكمة بعد تقديم الطلب، وفي غياب النص على المحاكم تطبيق ماورد في قواعد تصفية الشركات لسنة 1928م، وفقاً للمادة الخامسة من القواعد. ولا يحق للمُلزم بالدفع تقديم طلب تصفية شركة إلا في حالتين (الأولى) إذا نقص عدد الأعضاء عن عضوين ولم يكتمل العدد خلال ستة أشهر، و(الثانية) إذا كانت الأسهم التي يلتزم بالدفع بالنسبة لها أو بعضها قد خصصت في الأصل أو كان حائزاً لها وسجلت باسمه لمدة لا تقل عن ستة أشهر في خلال ثمانية عشر شهراً السابقة على بدء التصفية أو كانت قد الت إليه بسبب وفاة حائز سابق. ولايجوز تقديم طلب تصفية بسبب عدم إيداع التقرير التأسيسي أو عدم عقد الإجتماع التأسيسي إلا من أحد الأعضاء بعد مضي ثلاثين يوماً من اليوم الاخير الذي كان يجب أن ينعقد فيه الإجتماع. وللمحكمة المقدم أمامها الطلب بدلاً من أن تأمر بتصفية الشركة أن تأمر بإيداع التقرير التأسيسي أو بعقد الإجتماع أو أن تصدر من الاوامر ما تراه عادلاً⁽³⁷⁾، مع جواز الحكم بالمصروفات على الأشخاص الذين تراهم مسئولين عن تلك المخالفة. وللمحكمة وفقاً لنص المادة (168) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 عند سماع طلب التصفية سلطة جوازية في قبوله أو رفضه مع الحكم بالمصروفات أو بدونها، ويجوز لها تأجيل سماع الطلب بشرط أو بدونه أو أن تصدر أمراً مؤقتاً أو أي أوامر تتفق مع العدالة ولايجوز للمحكمة أن ترفض إصدار أمر التصفية لمجرد أن أصول فرع الشركة رهنه مقابل مبلغ يعادل تلك الأصول أو يزيد عنها أو لمجرد أنه ليس للشركة أصول. وتعتبر تصفية الشركة من طريق المحكمة قد بدأت إعتباراً من تاريخ تقديم طلب التصفية⁽³⁸⁾ وبعد صدور أمر بتصفية فرع الشركة يجب عليها - أي فرع الشركة - إيداع نسخة من الأمر لدى المسجل في خلال ثلاثين يوماً من تاريخ صدور أمر التصفية، ويجوز ذلك لمقدم طلب التصفية أيضاً. وعلى المسجل تدوين محضراً بالإيداع وإعلانه بالجريدة الرسمية وفي صفحة إقتصادية في صحيفة يومية لمدة ثلاثة ايام متتالية. ويعتبر أمر فرع الشركة بمثابة إعلان لمستخدمي الشركة بالفصل من الخدمة، إلا إذا إستمرت أعمال الشركة. وصدر قرار بتصفية الشركة من المحكمة لايمنعها من إيقافها إذا تقدم المصفي أو أي دائن أو مساهم أو ملزم بالدفع وأقنع المحكمة بوجوب إيقاف إجراءات التصفية، فيجوز للمحكمة في هذه الحالة إيقاف التصفية إيقافاً مطلقاً أو لمدة محددة بالشروط التي تراها صائبة.

المطلب الثاني: التصفية الاختيارية للشركة:

تعتبر التصفية الاختيارية من الطرق المرغوبة في تصفية الشركات لبساطة إجراءاتها مقارنةً بالتصفية عن طريق المحكمة حيث لا يشترط فيها كثير من الشكليات التي تشترط في التصفية عن طريق المحكمة وحق الشركة في التصفية حق غير مقيد متى ما توافرت شروطه حتى ولو ثبت أن أسهم الشركة كلها محجوزة⁽³⁹⁾. يحق لأعضاء الشركة تصفية الشركة تصفية اختيارية في حالتين:

(الأولى) إذا وقع الحدث الذي تنص لائحة تأسيس الشركة على حلها عند حدوثه ،
(الثانية) صدور قرار خاص من الشركة في إجتماع عام يقضي بتصفيتها تصفية اختيارية⁽⁴⁰⁾.

شروط التصفية الاختيارية:

يشترط على أي شركة وفقاً لنص المادة (203) من قانون الشركات قبل الدخول في التصفية الاختيارية التقيد بالآتي :-

أن يقوم أغلبية أعضاء المجلس إذا كان بالمجلس أكثر من عضوين قبل شهر من تاريخ صدور قرار التصفية بالتوقيع على إقرار موثق بحصرهم لإصول الشركة وإلتزاماتها، وأن يبين الإقرار بأن الشركة في حالة تصفيتها تصفية اختيارية قادرة على سداد جميع إلتزاماتها المالية خلال مدة لا تتجاوز السنة من بداية التصفية .

(ب) أن يرفق مع الإقرار بيان معتمد من مراجع قانوني بكل أصول وإلتزامات الشركة وأن يودع قرار التصفية والإقرار ومرفقاته لدى المسجل خلال الخمسة عشر يوماً التالية لصدور قرار التصفية وتسمية المصفي الرسمي للشركة، وتعتبر التصفية الاختيارية قد بدأت من وقت صدور قرار التصفية.

يترتب على صدور قرار الشركة بتصفيتها تصفية اختيارية أن توقف مزاولة أعمالها إعتباراً من تاريخ بدء التصفية، إلا ما كان منها لازماً لفائدة التصفية. وتحفظ الشركة بشخصيتها الإعتبارية إلى أن تحل، ويستوجب القانون على الشركة إعلان قرار التصفية الاختيارية خلال عشرة أيام من صدوره بنشره في الجريدة الرسمية وفي صفحة إقتصادية في جريدة يومية لمدة ثلاثة أيام متتالية وإعلام المجلس بذلك، وتعين الشركة في إجتماع عام مصفياً أو أكثر لتصفية أعمالها وتوزيع أصولها وتحدد أجرة. وتنتهي بتعيينه جميع صلاحيات أعضاء المجلس إلا بالقدر الذي تأذن الشركة بإستمراره في إجتماع عام بإستمراره أو يأذن به المصفي.

يترتب على التصفية الاختيارية أن تستعمل أصول فرع الشركة الأجنبية في الوفاء بإلتزاماتها وتوزيع الفائض بين الأعضاء بنسبة مساهماتهم في الشركة⁽⁴¹⁾ ووفقاً لنص المادة (218) لاتسقط التصفية الاختيارية حق أي دائن أو مساهم أو ملزم بالدفع في أن تكون التصفية من طريق المحكمة وذلك إذا رأت المحكمة بناءً على طلب الدائن أو المساهم أو الملزم بالدفع أن حقوقهما سوف تضار من التصفية الاختيارية. وإذا كانت الشركة في دور التصفية الاختيارية وصدر أمر بتصفيتها من طريق المحكمة يجوز للمحكمة وفقاً لنص المادة (219) إذا رأت ذلك مناسباً أن تقرر في الأمر المذكور أو في أي أمر لاحق له العمل بجميع إجراءات التصفية الاختيارية أو ببعضها.

للشركة وفقاً لأحكام المادة (220) بموجب قرار خاص خاضع لتأييد المحكمة وقف إجراءات التصفية الاختيارية في أي وقت خلال التصفية وقبل حل الشركة.

المطلب الثالث:

التصفية تحت إشراف المحكمة:

تبدأ التصفية تحت إشراف المحكمة إختيارية بقرار خاص من الشركة بتصفيتها تحت إشراف المحكمة، وتقديم طلب للمحكمة من فرع الشركة أو الدائن أو المساهم أو الملمزم بالدفع أو المصفي، وتتم التصفية تحت إشراف المحكمة طبقاً للشروط التي تراها المحكمة عادلة، وهي تصفية تعزيرها تعقيدات كشفت عنها الممارسة العملية بقيام بعض الشركات بتقديم طلب تصفية إختيارية تحت إشراف المحكمة لرغبتهم في الحصول على أوامر قضائية لوقف الدعاوى والإجراءات ضد الشركة تحت التصفية⁽⁴²⁾. وطبقاً لنص المادة (221) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015، التي تقابل المادة (212) من قانون الشركات الملغي تتم التصفية بتوافر شرطين: (الأول) صدور قرار خاص من الشركة بتصفيتها تصفية إختيارية، و(الثاني) قرار من المحكمة بالإستمرار في التصفية الإختيارية تحت إشرافها،

إن الهدف من التصفية تحت إشراف المحكمة هو وضع ضوابط أكثر حماية لحقوق الأطراف الذين لهم علاقة بالتصفية سواء ان كانوا اعضاء في الشركة او دائنين لها، وذلك عن طريق ترتيب قضائي على التصفية التي تقررها الشركة⁽⁴³⁾ ووفقاً لنص المادة (222) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 تعتبر العريضة المقدمة لإستمرار التصفية الإختيارية تحت إشراف المحكمة لغرض منحها الإختصاص للنظر في الدعاوى بمثابة طلب للتصفية من طريق المحكمة. ويعتبر الأمر الصادر من المحكمة بالتصفية تحت إشرافها بمثابة أمر بتصفية الشركة من طريق المحكمة، وذلك بالنسبة لجميع الأغراض – فيما عدا سلطات المصفي وأمر الملمزمين بالدفع – بما في ذلك وقف القضايا وكل الإجراءات ويخول الأمر للمحكمة السلطة المطلقة في القيام بالمطالبات وفي تنفيذ المطالبات التي قام بها المصفي ومباشرة جميع السلطات الأخرى التي كان لها مباشرتها كما لو أن الأمر قد صدر بتصفية الشركة من طريق المحكمة⁽⁴⁴⁾

يترتب على إصدار أمر التصفية تحت إشراف المحكمة الاثار التالية :

1. يكون للدائنين والملمزمين بالدفع والمساهمين وغيرهم من أصحاب المصلحة حرية اللجوء للمحكمة التي تتولى التصفية.
 2. يجوز للمصفي – مع مراعاة القيود التي تفرضها المحكمة – مباشرة جميع سلطاته بدون إذن المحكمة أو تدخل من جانبها وذلك بذات الكيفية التي يباشر بها هذه الصلاحيات كما لو كانت الشركة تصفى تصفية إختيارية محضة .
 3. وفقاً لاحكام المادة (236/2) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 يقع باطلاً أي تصرف في أموال الشركة، بما في ذلك المطالبات الصالحة للتقاضي، وأي تحويل للأسهم، أو تعديل في لائحة الأعضاء يحدث بعد البدء في التصفية إلا إذا أمرت المحكمة بخلاف ذلك.⁽⁴⁵⁾
- بعد تمام التصفية وإنهاء أعمالها يجب على المحكمة أن تصدر أمراً بحل فرع الشركة الأجنبية ، ويعتبر فرع الشركة الأجنبية منحلّاً من تاريخ صدور القرار، وعلى الرغم من ذلك لايعتبر القرار نهائياً ونافذاً إلا بعد إستيفاء كافة طرق الإستئناف وذلك إعمالاً لنص المادة (201) من قانون الشركات التي تنص على خضوع جميع الأوامر والقرارات الصادرة من محكمة التصفية للإستئناف، بذات الكيفية والشروط التي

تستأنف بها الأوامر والقرارات الصادرة من ذات المحكمة في القضايا التي تدخل في إختصاصها العادي. وعلى المصفي الرسمي إيداع أمر الحل لدى المسجل خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ صدوره. ويجوز للمحكمة في أي وقت خلال سنتين من تاريخ حل فرع الشركة الأجنبية وبطلب يقدمه لها المصفي أو أي شخص آخر يتبين للمحكمة انه صاحب مصلحة أن تصدر أمراً بالشروط التي تستصوبها تقرر فيه بطلان حل فرع الشركة الأجنبية. ومتى ما صدر هذا الأمر جاز إتخاذ الإجراءات التي كان يمكن إتخاذها كما لو أن الشركة لم تحل⁽⁴⁶⁾

المبحث الثالث:

أثار تصفية الشركة الأجنبية الأم:

يعتبر إحتفاظ الشركة بشخصيتها القانونية خلال مدة التصفية بالقدر اللازم للتصفية إستثناء من الأصل – إنقضاء الشركة بمجرد حلها – لكي يتمكن المصفي من القيام بأعمال التصفية بإسم الشركة كشخص معنوي وهذا الإحتفاظ – أي إحتفاظ الشركة بشخصيتها القانونية – خلال مرحلة التصفية يترتب اثاراً قانونية هامة على الشركة الأم، وعلى فرعها، ومن ثم على دائني الفرع وعلى الدولة، وسنبينها في هذا المبحث في مطلبين (المطلب الأول) نتناول فيه اثار تصفية الشركات و(الثاني) اثار تصفية الشركة الأم الأجنبية على الفرع.

المطلب الأول:

آثار تصفية الشركات:

يترتب على إحتفاظ الشركة بشخصيتها القانونية خلال مدة التصفية اثاراً قانونية هامة تتجلى بوضوح في علاقة الشركة بالدائنين، وفي علاقة الشركاء بعضهم ببعض، أو بالغير، حيث يحتفظ دائنوا الشركة بحقوقهم في الحصول على ديونهم من مال الشركة قبل الدائنين الشخصيين للشركاء، وتحتفظ الشركة بمركزها العام وتعلن فيه في شخص المصفي بإعتباره الممثل القانوني للشركة الذي يحل محل أعضاء مجلس الإدارة⁽⁴⁷⁾ دون الحاجة لإعلان الشركاء في حالة وجود نزاع قضائي.⁽⁴⁸⁾ وتنصرف اثار الأعمال والتصرفات القانونية التي يجريها المصفي إلى الشركة ذاتها⁽⁴⁹⁾ وتستمر الخصومة في حالة وفاة أحد الشركاء ولا تنقطع بموته وللمحكمة التي تبشر إجراءات التصفية بناءً على طلب يقدم من الشركة أو من أحد دائنيها أو أحد الملمزمين بالدفع أو أحد المساهمين في أي وقت بعد تقديم طلب تصفية الشركة وقبل إصدار أمر التصفية أن تمنع إتخاذ أي إجراءات مدنية ضد الشركة أو الإستمرار فيها أمام أي محكمة أخرى بإستثناء الإجراءات الجنائية، على أن تحال أي حقوق مدنية ناشئة عن تلك الإجراءات الجنائية إلى المحكمة المختصة التي تبشر التصفية للبت فيها، وبإستثناء الإجراءات الجنائية متى ما صدر الأمر بتصفية الشركة لايحوز السر في أي قضية أو إجراءات قانونية أو البدء فيها ضد الشركة أمام أي محكمة أخرى إلا بإذن من محكمة التصفية، وبالشروط التي تقررها على أن تحال أي حقوق مدنية ناشئة عن هذه الإجراءات إلى محكمة التصفية للبت فيها⁽⁵⁰⁾. وقانون الشركات السوداني الجديد في المواد (170/171) منه حسم الجدل والإجتihad حول وقف الإجراءات الجنائية. بعكس قانون الشركات الملغي الذي لم يفرق في المادة (162) منه بين الإجراءات المدنية والجنائية. ووفقاً للنص متى ما صدر أمر بالتصفية يجب وقف السير في أي دعوى أو إجراء ، سواء كانت تلك الدعوى أو الإجراء مدنية أو جنائية وأيدت ذلك التفسير المحكمة العليا في سابقة سيد أحمد حسين ضد عمر عبدالعاطي⁽⁵¹⁾

يترتب على تصفية الشركة تصفية إختيارية وفقاً لنص المادة (207) من قانون الشركات أن تستعمل أصول الشركة في الوفاء بالتزاماتها ويوزع الفائض بين الأعضاء بنسبة مساهماتهم في الشركة. وينفذ الأمر الصادر بتصفية الشركة لمصلحة جميع الدائنين وجميع الملمزين بالدفع للشركة. كما لو كان صادراً بناءً على طلب أحد الدائنين أو الملمزين بالدفع مجتمعين⁽⁵²⁾

إعتبر قانون الشركات أن الشركة القابضة لشركة تابعة، والشركة التابعة لشركة أخرى، والشركة التابعة لشركة قابضة لشركة أخرى، لأغراض التصفية شركات ذات صلة. وللمحكمة أن تأمر بتصفية شركتان أو أكثر ذوات صلة تحت التصفية بإجراءات تصفية واحدة وبالأوضاع والشروط التي تقررها⁽⁵³⁾. ويترتب على تصفية الشركة القابضة – فيما ماعدا حالة السيطرة الإدارية – إنقضاء الشركة التابعة، وتصفيتها بالرغم من شخصيتها القانونية المستقلة، وذلك لعدم تصور قيام شركة تابعة بدون شركة قابضة تسيطر عليها. ولا يترتب على تصفية الشركة التابعة إنقضاء الشركة القابضة.

تنتهي عمليات التصفية من ناحية بتسوية المراكز القانونية لدائني الشركة بدفع الديون التي حل أجلها وبإستنزال المبالغ اللازمة للوفاء بالديون التي لم يحل أجلها بعد، أو المتنازع عليها، ودفع كافة الديون والمصاريف الناجمة عن عمليات التصفية. ومن ناحية أخرى بترجمة ماتبقى من أصولها إلى مبالغ نقدية سائلة يصير توزيعها وقسمتها على الشركاء. ويقوم بالقسمة أحيانا المصفي بإعتبار ذلك عملاً نهائياً لمهمته غير أن الشركاء غالباً مايفضلون القيام بعمليات القسمة بأنفسهم، فإذا حدث وتعذر ذلك نتيجة خلاف نشب بينهم كان لكل ذي مصلحة سواء كان أحد الشركاء أو دائئته أو من إشتري حصته على الشيوع أن يلجأ للمحكمة لتقوم بالقسمة مراعية في ذلك شروط العقد لأن الأصل وجوب إتباع طريقة القسمة التي إختارها الشركاء في العقد وفي غياب هذا الإتفاق يتعين العمل على تقسيم موجودات الشركة بحيث ينال كل شريك نصيبه فيها⁽⁵⁴⁾

المطلب الثاني:

أثار تصفية الشركة الأم الأجنبية على الفرع: (أولاً) إنقضاء فرع الشركة الأجنبية:

يعتبر فرع الشركة الأجنبية في البلد المضيف تابعاً للشركة الأم وجزءاً منها، وتسري عليه الأحكام التابعة للشركة الأم، والتي من ضمنها الأحكام الخاصة بالشخصية الاعتبارية وجوداً وعدماً، الأمر الذي جعل معظم التشريعات تتطلب السندات الخاصة بتأسيس الشركة الأم الأجنبية للتحقق من صحة تأسيس الشركة أو بطلانها، وينقضي فرع الشركة الأجنبية في حالتين (الأولى) الإنقضاء الأصلي و(الثانية) الإنقضاء التبعية.

(الحالة الأولى) الإنقضاء الأصلي:

لم ينص قانون الشركات السوداني على حالات إنقضاء الشركة الأجنبية بصورة واضحة، وبإستقراء نص المادة (34) من قانون الشركات لسنة 2015⁽⁵⁵⁾ التي تنص على: (في حالة الشركة المسجلة خارج جمهورية السودان والتي تدخل في عقد لتنفيذ عمل محدد يجب عليها أن تنشئ فرعاً من أجل ذلك الغرض، ويعتبر التسجيل مقصوداً على ذلك العمل، وللوقت اللازم لتنفيذه وفقاً لشروط العقد) وبهذا النص نجد أن فرع الشركة الأجنبية في القانون السوداني ينقضي أصلياً بسببين:

(الأول): حلول الأجل المعين لتنفيذ العمل:

ينقضي فرع الشركة الأجنبية في هذه الحالة حتى ولو لم يحقق الغرض الذي أنشأ من أجله، ولا يوجد في بعض التشريعات ما يمنع من تمديد الأجل المحدد لإستمرار الفرع في حالة عدم إكتمال تنفيذ العقد والحصول على عقود أخرى جديدة⁽⁵⁶⁾، ويرى جانب من الفقه أن التمديد ينبغي أن يكون قبل حلول الأجل المحدد، لأن حلول الأجل يعني إنقضاء الفرع. (الثاني) إنتهاء العمل الذي أنشأ الفرع من أجله .

ينقضي فرع الشركة الأجنبية بإنتهاء العمل الذي أنشأ من أجله بقوة القانون، حتى وإن لم ينقضي الأجل المحدد عند التسجيل، لأن تحقق الغرض وإنتهاء العمل يؤدي لإنتفاء مبرر إستمرار الفرع، ويلتزم فرع الشركة بإتخاذ إجراءات التصفية، ويترتب علي عدم إتخاذ إجراءات التصفية أن تتم التصفية بأمر قضائي يطلب من الجهة المتعاقدة أو كل من يهمه الأمر في ذلك⁽⁵⁷⁾ ولا يترتب علي تصفية الفرع تصفية الشركة الأم الأجنبية.

(الحالة الثانية) الإنقضاء التبعي للشركة الأم :

تنقضي الشركة الأجنبية الأم بالأسباب العامة والخاصة المنصوص عليها بقانون دولتها⁽⁵⁸⁾، ويترتب على تبعية فرع الشركة الأجنبية للشركة الأم سريان أحكامها عليه إستناداً على قاعدة التابع تابع ولا يفرد بحكم، والفرع يتبع الأصل، ومن ضمن هذه الأحكام بقاء الشخصية الاعتبارية وإرتباطها بشخصية الفرع، وبأنعدام الشخصية القانونية للشركة الأم تنعدم الشخصية القانونية للفرع، وبالتالي ينقضي الفرع بإنقضاء الشركة الأم، وتؤدي بالضرورة تصفية الشركة الأم لتصفية الفرع، وإنقضاء فرع الشركة الأجنبية لا يكون له اثر تجاه الغير إلا من يوم علمه بإنقضائه، لحماية مصلحة الغير حسن النية⁽⁵⁹⁾.

بالرغم من أن قانون الشركات السوداني لم ينص صراحة على إنقضاء وتصفية فرع الشركة الأجنبية تبعاً للشركة الأم إلا أن إنقضاء الفرع بإنقضاء الشركة الأم من الأمور البديهية التي يفرضها الواقع العملي. ويتم تحديد أسباب إنقضاء الشركة الأجنبية بالرجوع للقانون الوطني للشركة الأم⁽⁶⁰⁾.

مما تتقدم إتضح أن فرع الشركة الأجنبية ينقضي بالتبعية تبعاً لإنقضاء الشركة الأم الأجنبية ويصفى بتصفيته، ولا يؤدي إنقضاء وتصفية الفرع بسبب إنتهاء العمل الذي أنشأ من أجله أو إنتهاء الأجل المعين لإنتهاء العمل لإنقضاء وتصفية الشركة الأم الأجنبية.

(ثانياً) اثار تصفية فرع الشركة الأم الأجنبية :

يترتب على تصفية فرع الشركة الأجنبية عدة اثار عليه وعلى الدولة الذي يمارس نشاطه فيه، وعلى الدائنين.

(أ) اثار تصفية فرع الشركة الأجنبية على الفرع نفسه :

للمحكمة التي تبشر إجراءات التصفية وبناءً على طلب يقدم من الشركة أو احد دائنيها أو أحد الملمزين بالدفع أو أحد المساهمين في أي وقت بعد تقديم طلب تصفية فرع الشركة الأجنبية وقبل إصدار أمر التصفية أن تمنع إتخاذ اي إجراءات مدنية ضد فرع الشركة الأجنبية أو الإستمرار فيها أمام اي محكمة اخرى بإستثناء الإجراءات الجنائية، على أن تحال أي حقوق مدنية ناشئة عن تلك الإجراءات الجنائية إلى

المحكمة المختصة التي تباشر التصفية للبت فيها وباستثناء الإجراءات الجنائية متى ما صدر الأمر بتصفية فرع الشركة الأجنبية ليجوز السير في أي قضية أو إجراءات قانونية أو البدء فيها ضد الفرع أمام أي محكمة أخرى إلا بإذن من محكمة التصفية، وبالشروط التي تقررها على أن تحال أي حقوق مدنية ناشئة عن هذه الإجراءات إلى محكمة التصفية للبت فيها⁽⁶¹⁾.

قانون الشركات السوداني الجديد وفي المواد (170/171) منه قفل باب الجدل والإجتهد حول وقف الإجراءات الجنائية. بعكس قانون الشركات لسنة 1925 الذي لم يفرق في المادة (162) منه بين الإجراءات المدنية والجنائية. ووفقاً للنص متى ما صدر أمر بالتصفية يجب وقف السير في أي دعوى أو إجراء، سواء كانت تلك الدعوى أو الإجراء مدنية أو جنائية⁽⁶²⁾ وأيدت ذلك التفسير المحكمة العليا في سابقة سيد أحمد حسين ضد عمر عبدالعاطي⁽⁶³⁾.

بعد صدور أمر بتصفية فرع الشركة الأجنبية الشركة يجب علي الشركة إيداع نسخة من الأمر لدى المسجل في خلال ثلاثين يوماً من تاريخ صدور أمر التصفية، ويجوز ذلك لمقدم طلب التصفية أيضاً. وعلى المسجل تدوين محضراً بالإيداع وإعلانه بالجريدة الرسمية، وفي صفحة إقتصادية في صحيفة يومية لمدة ثلاثة أيام متتالية.

يترتب على صدور قرار الشركة بتصفيتها تصفية إختيارية أن توقف مزاولة أعمالها اعتباراً من تاريخ بدء التصفية، إلا ما كان منها لازماً لفائدة التصفية. ويحتفظ فرع الشركة الأجنبية بشخصيته الاعتبارية إلى أن يحل.

(ب) اثار تصفية فرع الشركة الأجنبية على الدائنين:

يصبح المصفي بعد أداء مهمته في جرد أموال الشركة وإعداد قائمة الجرد على علم بحقيقة الوضع المالي للشركة، فيقوم بمقتضى سلطاته وإختصاصاته بتوجيه الدعوة إلى دائني الشركة لتقديم الوثائق والمستندات المؤيدة لديونهم ومبلغ الدين حتى يصبحوا على علم بالوضع المالي الحقيقي للشركة، لا سيما أن الذمة المالية للشركة هي الضمان الوحيد لسداد ديون الشركة في شركة المساهمة لأن مسؤولية المساهم محدودة في حدود مساهمته في رأس المال ولا تمتد لزمته الشخصية⁽⁶⁴⁾. جاء في المادة (324) من المرسوم رقم (32) لسنة 2020 بشأن الشركات التجارية: (تسقط اجال جميع الديون التي على الشركة بمجرد حلها، ويخطر المصفي جميع الدائنين بكتب مسجلة بعلم الوصول بإفتتاح التصفية مع دعوتهم لتقديم طلباتهم مع نشر الإخطار في صحيفتين محليتين يوميتين تصدر إحداها باللغة العربية وفي جميع الأحوال يجب أن يتضمن الإخطار بالتصفية مهلة للدائنين لاتقل عن (30) ثلاثين يوماً من تاريخ الإخطار لتقديم طلباتهم).

تؤدي عملية جرد أموال الشركة إلى نتيجتين: (الأولى): أن يكون المركز المالي للشركة إيجابياً بحيث يسمح بالوفاء بجميع ديون الشركة فيستلم كل دائن دينه، و(الثاني): أن يكون سلبياً بحيث تكون أموال الشركة أقل من ديونها وغير كافية لسداد الديون، وفي هذه الحالة يجب على المصفي القيام بالوفاء الجزئي وتوزيعها بنسبة الديون لعدم قدرته للرجوع على المساهمين لأنهم غير ضامين لديون الشركة، مما يؤدي لخسارة المساهمين وفقدان الدائنين لبقية مبلغ الدين.⁽⁶⁵⁾ وفقاً لأحكام المادة (236/2) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 يقع باطلاً أي تصرف في أموال الشركة، بما في ذلك المطالبات الصالحة للتقاضي، وأي تحويل للأسهم، أو تعديل في لائحة الأعضاء يحدث بعد البدء في التصفية إلا إذا أمرت المحكمة بخلاف ذلك.⁽⁶⁶⁾

يسعى المشرع السوداني لحماية الدائنين ومراعاة رغباتهم في مرحلة التصفية ومنح في المادة (176) من قانون الشركات لسنة 2015، المحكمة سلطة إيقاف التصفية ومراعاة رغبات الدائنين، وجاء فيها: (1. يجوز للمحكمة في أي وقت بعد الأمر بالتصفية أن تصدر أمراً بإيقاف التصفية إيقافاً مطلقاً أو لمدة محددة بالشروط التي تستصوبها إذا طلب منها المصفي أو أي دائن أو مساهم أو ملزم بالدفع وأثبت لها بدليل يقنعها وجوب إيقاف جميع تلك الإجراءات.

2. يجوز للمحكمة في جميع المسائل المتعلقة بالتصفية أن تراعي في رغبات الدائنين أو الملزمين بالدفع التي تثبت بالبيئة الكافية). راعي المشرع السوداني في هذا النص رغبات رغبات الدائنين، وأصبح صدور قرار بتصفية الشركة من المحكمة لا يمنعها من إيقافها إذا تقدم المصفي أو أي دائن أو مساهم أو ملزم بالدفع وأقنع المحكمة بوجوب إيقاف إجراءات التصفية، فيجوز للمحكمة في هذه الحالة إيقاف التصفية إيقافاً مطلقاً أو لمدة محددة بالشروط التي تراها صائبة وفقاً للمادة (176) من قانون الشركات لسنة 2015م وهي فقرة مستحدثة لم يوردها قانون الشركات لسنة 1925، وللمحكمة سلطة جوازية في مراعاة رغبات الدائنين أو الملزمين بالدفع التي تثبت لها بالبيئة الكافية في جميع المسائل المتعلقة بالتصفية⁽⁶⁷⁾.

يترتب على صدور أمر التصفية من المحكمة بطلان أي تصرف في أموال فرع الشركة الأجنبية بدون إذن المحكمة، ويعتبر قرار المحكمة بمثابة إعلان لمستخدمي فرع الشركة الأجنبية بفصلهم من الخدمة، ولكن إذا استمرت أعمال الفرع يعتبر المستخدمين عاملين بالفرع⁽⁶⁸⁾. ويترتب عليه وفقاً لنص المادة (173) قانون الشركات السوداني لسنة 2015 تنفيذه لمصلحة جميع الدائنين وجميع الملزمين بالدفع لفرع الشركة الأجنبية، كما لو كان صادراً بناء على طلب أحد الدائنين وأحد الملزمين بالدفع مجتمعين.

يمتد أثر التصفية في القانون السوداني ويشمل جميع الدائنين ويستوى في ذلك أصحاب الديون المضمونة وأصحاب الديون الإحتتمالية، والتي تنشأ مستقبلاً،

(ج) أثر التصفية على الملزمين بالدفع:

يقصد بعبارة الملزم بالدفع كل شخص يلتزم بدفع مال لأصول الشركة في حالة تصفيتها وفي جميع الإجراءات التي تتخذ لتعيين الأشخاص الواجب إعتبارهم ملزمين بالدفع وجميع الإجراءات السابقة على تعيينهم تعييناً نهائياً وتشمل هذه العبارة كل شخص مدعي بأنه ملزم بالدفع⁽⁶⁹⁾.

منح المشرع السوداني المحكمة سلطة جوازية واسعة في مطالبة الملزمين بالدفع أو أحدهم في أي وقت بعد إصدار أمر التصفية وقبل التحقق من كفاية أصول الشركة أو بعد ذلك أن يدفعوا قيمة المطالبات إلى الحد الذي يلتزمون به وذلك لسداد الأموال التي تراها المحكمة لازمة للوفاء بديون وإلتزامات الشركة ونفقات وتكاليف ومصروفات التصفية بغرض تسوية حقوق الملزمين بالدفع فيما بينهم، مع جواز مراعاة المحكمة لإحتمال عدم قيام بعض الملزمين بالدفع بالوفاء بكل أو بعض المطالبات.

تشدد المشرع السوداني في إسترداد حقوق الشركة من قبل الملزم بالدفع ولم يعفه من الوفاء بإلتزاماته حتى بعد وفاته، سواء كانت الوفاة قبل إدراج إسمه في قائمة الملزمين بالدفع أو كانت بعدها، وذلك بالنص صراحة على أن يلتزم ورثته في حدود التركة بدفع بأن يدفعوا إلى أصول الركة مبالغ للوفاء بما في ذمته، ويعتبرون بناء على ذلك ملزمين بالدفع، أما في حالة إفلاس الملزم بالدفع إعتبر المشرع السوداني أمين التفليسة

ملزماً بالدفع ويجوز إعلانه للقبول بأي دليل يقدم في مواجهة أصول المفلس أو للقبول بأن يدفع وفقاً للقانون من تلك الأصول لأي مبالغ مستحقة على المفلس، ويجوز في مواجهة المفلس إقامة الدليل على القيمة المقدرة للمبلغ الملزم بها بالنسبة إلى المطالبات اللاحقة والسابقة.⁽⁷⁰⁾

ألزم المشرع السوداني في المادة (191) من قانون الشركات لسنة 2015، المحكمة بتسوية حقوق الملمزمين بالدفع فيما بينهم وتوزيع كل زيادة بين من يستحقونها، وللمحكمة متى ما ثبت لها في أي وقت قبل أو بعد صدور أمر التصفية وجود سبب معقول أو شك راجح في إعتقادها بأن أحد الملمزمين بالدفع على وشك مغادرة السودان أو الاختفاء بطريقة أخرى أو نقل أو أخفى شيئاً من أمواله للتهرب من الوفاء بالمطالبات أو لتفادي إستجوابه عن إهمال الشركة جاز للمحكمة أن تأمر بالقبض عليه وضبط دفاتره وأوراقه وأمواله والتحفظ عليها وعليه إلى الوقت الذي تقرره، ونص في المادة (193) من ذات القانون على سلطة المحكمة في إستدعاء من يشتبه في أن يكون لديه جزء من أموال الشركة أو يشتبه في أن يكون مديناً للشركة أو شخص تراه قادراً على الإدلاء بمعلومات، وتحليفه اليمين وإستجوابه وإصدار الأمر الذي تراه مناسباً، كما يجوز للمحكمة أن تطلب من أي شخص تقديم ماله أو تحت تصرفه من مستندات متعلقة بالشركة دون المساس بحقه في حبس المستندات، وتختص المحكمة عند التصفية بالفصل في المسائل المتعلقة بحبس تلك المستندات، وللمحكمة سلطة القبض على المتخلف من الحضور بدون عذر مشروع دون المساس بحقه في التعويض عن المصاريف التي تكبدها في الحضور. ومنح المشرع السوداني في المادة (201) من قانون الشركات لسنة 2015، الملمزم بالدفع الحق في إستئناف الأوامر والقرارات والتوجيهات الصادرة من المحكمة بذات الكيفية والشروط التي تستأنف بها الأوامر والقرارات والتوجيهات الصادرة من ذات المحكمة في القضايا التي تدخل في إختصاصها العادي⁽⁷¹⁾.

(د) اثار تصفية فرع الشركة الأجنبية على الدولة :

تلجأ الدول في إطار سعيها لجذب الإستثمارات الأجنبية لتقديم مجموعة من الأمتيازات والضمانات القانونية بغرض حث وتشجيع تلك الإستثمارات، كالنص على ضمان عدم التمييز بين المستثمر الأجنبي والوطني والمساواة بينهم في الحقوق والالتزامات⁽⁷²⁾، وضمان تحويل رؤوس الأموال المستثمرة وعائداتها، وإحترام الإتفاقيات الثنائية والدولية، والإعفاء من الرسوم والضرائب، وذلك لأهمية الإستثمارات الأجنبية بإعتبارها مصدراً من مصادر التمويل للدول النامية في دعم البرامج الإستثمارية الطموحة ومصدراً من مصادر معالجة الخلل في ميزان المدفوعات من خلال العملة الصعبة التي توفرها وتحقيقها لإيرادات مالية للدول من خلال الضرائب والرسوم التي تفرض على مشروعات الاستثمار الأجنبي، وفي نشر وتوطين التكنولوجيا الحديثة وتوفير الموارد المناسبة لتمويل الإستثمارات، والتعريف على الأساليب الحديثة المتبعة في الإدارة والتنظيم والإتصال والتسويق مما يؤدي إلى إكتساب العمالة الوطنية لمهارة أعلى وخبرة أكبر بالإضافة إلى حل مشكلة البطالة بخلق فرص عمل⁽⁷³⁾.

يترتب على تصفية فرع الشركة الأجنبية اثار سلبية عديدة على الدولة المستضيفة تتمثل في فقدانها للعملة الأجنبية التي توفرها تلك الشركات وما يترتب عليه من خلل في ميزانية الدولة وميزان المدفوعات، وفقدان الدولة لما توفره الشركات الأجنبية من تكنولوجيا متطورة وخبرات فنية وإدارية، وتؤدي تصفية فروع

الشركات الأجنبية أيضاً إلى إنهاء عقود العمل وتشريد العاملين وإنتشار البطالة التي تعد من أخطر المشكلات التي تواجه الدول النامية وذلك لنتائجها وإنعكاساتها على جوانب الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وما تتركه من اثار سلبية في حياة الأفراد والجماعات وغوء العديد من الأمراض الإجتماعية والنفسية وإنتشار العنف والجريمة وخفض مستويات المعيشة⁽⁷⁴⁾

المطلب الثالث: قسمة أموال الشركة بين الشركاء:

يترتب على تصفية الشركة إنتهاء شخصية الشركة المعنوية، وتصبح ممتلكاتها ملكاً بين الشركة ولكنه ملكاً شائعاً ومحملاً بحقوق الغير، يتم فرزها وتمييزه بعملية القسمة.

القسمة هي العملية التي تتبع إجراءات التصفية⁽⁷⁵⁾، وتأتي بعد إنتهاء عملية التصفية وتحويل موجودات الشركة إلى مبالغ نقدية وسداد ديون الشركة، ولا تقسم أموال الشركة بين الشركاء إلا بعد إستيفاء الدائنين لحقوقهم،

يطبق القانون المصري الأحكام المنصوص عليها في المادة (532) من القانون المدني المصري، وتتبع في قسمة الأموال بين الشركاء القواعد المقررة في قسمة المال الشائع بالمادة (537)، وقسمة المال الشائع نظمته المجموعة المدنية في المواد (834 – 849).⁽⁷⁶⁾

بين المشرع المصري في المادة (536) من التقنين المدني القواعد التي تتبع في قسمة أموال الشركة بالآتي:

1. تقسم أموال الشركة بين الشركاء بعد إستيفاء الدائنين لحقوقهم وبعد إستنزال المبالغ اللازمة

لوفاء الديون التي لم تحل أو الديون المتنازع عليها، وبعد رد المصروفات والقروض التي يكون

أحد الشركاء قد باشرها في مصلحة الشركة.

2. إذا كان صافي أموال الشركة يساوي رأس مالها فإن كل شريك يختص بمبلغ من هذه الأموال

يعادل قيمة الحصة التي قدمها في رأس المال كما هي مبينة في العقد، أو يعادل قيمة هذه

الحصة وقت تسليمها إذا لم يتبين في العقد متى كانت حصة الشريك عينية.

ولا يشترك الشريك في قسمة أموال الشركة الشريك الذي إقتصر حصته على عمل أو على سبيل

الإنتفاع وينتهي إلتزامه في هذه الحالة بتقديم عمله أو يسترد الإنتفاع الذي قدمه للشركة بالمال.

إذا تبقى شئ من أموال الشركة بعد رد قيمة الحصص النقدية أو العينية المقدمة على سبيل التملك،

فإن هذا الفائض يجب قسمته بين جميع لشركاء بنسبة نصيب كل منهم في الأرباح.

إذا لم يكن صافي مال الشركة للوفاء بحصص الشركاء فإن الخسارة توزع عليهم جميعاً بحسب النسب

المتفق عليها في توزيع الخسائر⁽⁷⁷⁾

نص المشرع الإماراتي على تقسيم أموال الشركة الناتجة عن التصفية على الشركاء بعد أداء ما على

الشركة من ديون ويحصل كل شريك عند القسمة على مبلغ يعادل قيمة الحصة التي قدمها من رأس

المال، وتقسم البقية من أموال الشركة بين الشركاء بنسبة نصيب كل منهم في الربح، وفي حالة عدم تقدم

أحدهم لتسلم نصيبه وجب على المصفي إيداع ما يخصه في خزانة المحكمة المختصة وإذا لم يكفي صافي

أموال الشركة للوفاء بحصص الشركاء بأكملها وزعت الخسارة بينهم بحسب النسب المقررة لتوزيع

الخسائر⁽⁷⁸⁾

لم ينظم المشرع السوداني أحكام القسمة كنظيره المصري والأماراتي، وبناءً على ذلك تتم القسمة بين الشركاء بالطريقة المبينة بعقد ولائحة تأسيس الشركة، وتطبق في حالة عدم وجود النص الأحكام الواردة بقانون المعاملات المدنية لسنة 1983، يقوم بالقسمة أحياناً المصفي بإعتبار ذلك عملاً نهائياً لمهمته غير أن الشركاء غالباً ما يفضلون القيام بعملية القسمة بأنفسهم⁽⁷⁹⁾

إذا نتج عن أعمال القسمة فائض بعد الخصم المبين بعاليه سمي بأرباح التصفية ويقسم بحسب قيمة نصيب كل منهم في الأرباح وفقاً للنسب المتفق عليها أو بنسبة حصة كل منهم وفقاً للقواعد العامة المقررة بالقانون المدني.

أما إذا حققت الشركة خسائر تقسم الخسائر حسب الإتفاق بحسب قيمة نصيب كل منهم في الأرباح وفقاً للنسب المتفق عليها أو بنسبة حصة كل منهم وفقاً للقواعد العامة المقررة بالقانون المدني.⁽⁸⁰⁾

الخاتمة :

النتائج :

من خلال الورقة توصل الباحث إلى النتائج التالية :

يؤدي انقضاء وتصفية الشركة الأم إلى إنقضاء وتصفية فرع الشركة الأجنبية، ولا يؤدي إنقضاء وتصفية الفرع إلى إنقضاء وتصفية الشركة الأم.

قانون الشركات السوداني لم يعرف الشركة الأجنبية .

إعتراف الدول بالشركة الأجنبية يمنحها حقوقاً، ولكنها حقوق مقيدة بالقانون الداخلي للدولة وفقاً للمادة السابعة من الاتفاقية الدولية المتعلقة بالإعتراف بالشخصية القانونية لشركات الأجنبية تحتفظ الشركة الأجنبية في مرحلة التصفية بشخصيتها الاعتبارية ومركزها العام وتعلن فيه في شخص المصفي بإعتباره الممثل القانوني للشركة. وتنصرف اثار الأعمال والتصرفات القانونية التي يجريها المصفي إلى الشركة ذاتها .

يقع باطلاً أي تصرف في أموال الشركة، بعد البدء في التصفية إلا إذا أمرت المحكمة بخلاف ذلك

التوصيات:

من خلال النتائج السابقة توصل الباحث إلى التوصيات التالية :

- ضرورة إهتمام المشرع السوداني بوضع نصوص تنظم فرع الشركة الأجنبية تستوعب كل أحكامها بكيفية إدارتها ومباشرتها لأعمالها وإنقضائها وتصفيتها وتبسيط إجراءات التسجيل
- ضرورة دعم وتشجيع تسجيل الشركات الأجنبية .
- ضرورة التقليل من تقييد حقوق فرع الشركة الأجنبية في ممارسة نشاطها بالقانون الداخلي لجذب وتشجيع المستثمرين الأجانب
- ضرورة النص صراحة على اثار تصفية الشركة الأم الأجنبية على الفرع.

الهوامش:

- (1) عكاشة محمد عبدالعال، الجنسية ومركز الأجانب في تشريعات الدول العربية، القاهرة، دار الجامعة الجديدة، ط1، 1987، ص99
- (2) المادة (2) من قانون الشركات اليمني لسنة 1997
- (3) د. اكرم ياملي القانون التجاري الشركات دراسة مقارنة الطبعة الأولى الإصدار الأول دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان 2006 ص45.15
- (4) المادة الثانية من القانون رقم (28) لسنة 2004 تعديل (22) لسنة 1997 بشأن الشركات التجارية وتعديلاته
- (5) المادة (194) من نظام الشركات السعودي لسنة 1437هـ / 2015 م
- (6) نسمة نبيل عبده عبدالرازق، إجراءات واثار تصفية الشركة عن طريق المحكمة، مرجع سابق، ص 37/38
- (7) د. محمود الكيلاني، الموسوعة التجارية والمصرفية، الشركات التجارية، ج 5، دار الثقافة والتوزيع الأردن، 2008، ص255 – 366
- (8) المادة (33/أ) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015
- (9) حنان بخيت السيد، المسؤولية القانونية الشركة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في القانون، جامعة النيلين، 2015، ص49
- (10) عبدالفضيل محمد احمد، الشركات، القاهرة، دار الفكر والقانون، الطبعة 1، 2011، ص 174
- (11) سعيد عبدالمجيد، المركز القانوني للشركات الاجنبية، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، اسكندرية 1969، ص221
- (12) د. عكاشة محمد عبدالعال، الجنسية ومركز الأجانب في تشريعات الدول العربية، القاهرة، دار الجامعة الجديدة، ط1، 1987، ص
- (13) د. عزالدين عبدالله، الجنسية والمواطن وتمتع الأجانب بالحقوق، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص744
- (14) د. إبراهيم احمد ابراهيم، الجنسية ومركز الأجانب، القاهرة، دار النهضة العربية، 2006، ص46
- (15) د. عزالدين عبدالله، المرجع السابق، 1986، ج 1، ص 741
- (16) د. شمس الدين الوكيل، الموجز في الجنسية ومركز الأجانب، ط3، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1968، ص 436
- (17) المادة (2/11) من قانون الإجراءات المدنية لسنة 1984
- (18) د. عبدالحكيم مصطفى عبدالرحمن، المركز القانوني للمستثمر الأجنبي في السودان بين القانون الداخلي والقانون الدولي، جامعة القاهرة 1990 ص 114
- (19) د. مصطفى كمال طه، الشركات التجارية، الدار الجامعية، 1986، ص 343
- (20) د. عزيز العكيلي، شرح القانون التجاري، الشركات التجارية، ج 4 ط1، دار الثقافة، عمان، الاردن، 1998- ص 87
- (21) د. احمد محرز، الوسيط في الشركات التجارية- ط2، الإسكندرية، مصر، 2004، ص 24-248
- (22) د. سميحة القليوبي، الشركات التجارية، ط7، دار النهضة العربية، القاهرة، 2016، ص 239
- (23) إلياس ناصف، تصفية الشركات التجارية، ج 14، ط1، منشورات الحلبي، 2011 م، ص 19
- (24) د. مصطفى كمال طه وائل انور بندق، الشركات التجارية، مكتبة الوفاء القانونية، 2016، ص 183

- (25) المادة (200) من نظام الشركات السعودي لسنة 1437 هـ / 2015
- (26) د. الياس ناصف، تصفية الشركات التجارية، مرجع سابق، ص 74
- (27) المادة 164 من قانون الشركات السوداني لسنة 2015، والمادة 148 من قانون الشركات لسنة 1925
- (28) د. انور حمرون، الشركات التجارية، الطبعة الاولى، يو اس بي لخدمات الطباعة، 2019، ص 345
- (29) المادة 165 من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 تعادل المادة 155 من قانون الشركات الملغي،
- المادة (266) من قانون الشركات الأردني لسنة 1977 وتعديلاته حتي رقم (57) 2006
- (30) د. ابو ذر الغفاري بشير عبدالحبيب، أسس قانون الشركات، شركة مطابع السودان للعملة، الطبعة الثانية، 2006، ص 256
- (31) د. ازهري الحاج شرشاب، إنشاء الشركة وإنقضاؤها وتصفياتها، وفقاً للقانون وأحكام القضاء بدولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مقارنة، 2010، ص 254، المادة (61/1) من قانون الشركات السوداني و المادة (155/ب) من قانون الشركات الملغي والمادة (129/2) من قانون الشركات الإنجليزي لسنة 1908
- (32) المادة (1) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015م
- (33) د. ازهري الحاج شرشاب، إنشاء الشركة وإنقضاؤها وتصفياتها، المرجع سابق، ص 255
- (34) د. ابو ذر الغفاري بشير عبدالحبيب، اسس قانون الشركات ،مرجع سابق، ص 258
- (35) د. عبدالله إدريس، قانون الشركات لسنة 2015، مرجع سابق، ص 307
- (36) نسمة نبيل عبده عبدالرازق، اجراءات واثار تصفية الشركة عن طريق المحكمة، الطبعة الاولى 2016، شركة جي تاون ص 52 المادة (167/1) من قانون الشركات
- (37) د. ازهري الحاج شرشاب، إنشاء الشركة وإنقضاؤها وتصفياتها، مرجع سابق، ص 254
- (38) المادة (169) قانون الشركات لسنة 2015 م
- (39) د. ابو ذر الغفاري بشير عبدالحبيب، اسس قانون الشركات ،مرجع سابق، ص (278/277)
- (40) المادة (202) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 تعادل المادة 194 من قانون الشركات السوداني الملغي
- (41) المواد (207-203) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 م
- (42) د. انور احمد حمرون، الشركات التجارية، مرجع سابق، ص 35
- (43) د. ابو ذر الغفاري بشير عبدالحبيب، اسس قانون الشركات ،مرجع سابق، ص 286
- (44) المادة (224) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 م
- (45) د. عبدالله إدريس، قانون الشركات لسنة 2015، مرجع سابق، ص 368
- (46) د. عبدالله إدريس، قانون الشركات لسنة 2015، مرجع سابق، ص 354
- (47) د. إدوار عيد، الشركات التجارية، مرجع سابق، ص 597
- (48) د. هاني صلاح الدين سري الدين، محاضرات في الشركات التجارية، - دار النهضة العربية - القاهرة - 2012، ص 105
- (49) د. حسن المصري، شركات القطاع الخاص، الطبعة الأولى، مطبعة حسان، القاهرة، 1986، ص 137
- (50) المادة (171/170) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015م
- (51) م ع/ ط م / 311/2003 مجلة الاحكام القضائية لسنة 2000 ص 137
- (52) المادة (173) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015 م
- (53) د. عبدالله إدريس، قانون الشركات لسنة 2015، مرجع سابق، ص 74

- (54) د. ابوزيد رضوان وفايز نعيم رضوان، الشركات التجارية ، مرجع سابق ، ص 194
- (55) تطابق المادة 248/1 من قانون الشركات السوداني الملغي لسنة 1925
- (56) تطابق المادة 240 من قانون الشركات الاردني رقم (22) لسنة 1997 وتعديلاته حتى القانون (27) لسنة 2006
- (57) د. عزت عبدالقادر، عقد المقاولة، مصر، القاهرة، دار الألفي لتوزيع الكتب القانونية، 2001، ص 187
- (58) د. إبراهيم محمد أحمد دريج، الشركة — الشراكة، الطبعة الثالثة، شركة مطابع السودان للعملة، 2010. ص 105
- (59) د. عتو الموسوس، النظام القانوني لفروع الشركات الأجنبية في الجزائر، الإسكندرية مكتبة الوفاء القانونية، الطبعة الأولى، 2010، ص 277
- (60) د. عتو الموسوس، النظام القانوني لفروع الشركات الأجنبية في الجزائر، الإسكندرية مكتبة الوفاء القانونية، الطبعة الأولى، 2010، ص 277
- (61) المادة (170/171) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015م
- (62) (صدر أمر بتصفية الشركة فلايجوز السير في أي قضية أو إجراء قانوني اخر او البدء فيه ضد الشركة إلا بإذن من المحكمة..الخ)
- (63) م ع/ ط م / 311/2003 مجلة الاحكام القضائية لسنة 2000 ص 137
- (64) د. إلياس ناصف، موسوعة الشركات التجارية، ص 284
- (65) د. مهدي الصافي البشير الصافي، أحكام التصفية في قانون الشركات، الطبعة الأولى ، مطابع السودان للعملة ، 2019، ص 130
- (66) د. عبدالله إدريس، قانون الشركات لسنة 2015 ، مرجع سابق ، ص 368
- (67) د. سماح العطا بابكر محمد، شركات المساهمة في القانون السوداني والمقارن، المرجع السابق، ص 212/216
- (68) المادة (172/3) من قانون الشركات السوداني لسنة 2015م
- (69) المادة (151) من قانون الشركات السوداني الملغي لسنة 1925
- (70) د. سماح العطا بابكر محمد، شركات المساهمة في القانون السوداني والمقارن ، المرجع السابق، ص 245
- (71) نسمة نبيل عبده عبدالرازق، إجراءات واثار تصفية الشركة عن طريق المحكمة، المرجع السابق، ص 81
- (72) عجه الجيلالي، الكامل في لقانون الجزائري للإستثمار، الأنشطة العادية وقطاع المحروقات، دار الخلدونية، الجزائر 2006، ص 445
- (73) محي الدين يعقوب ابو الهول، تقييم إهمال البنوك الإستثمارية، الطبعة الأولى دار النفائس، عمان، 2011، ص 75
- (74) د. سامرة أحمد مصطفى المومني، دور جامعة اليرموك في الحد من ظاهرة البطالة من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد الأول، العدد الأول، 2020، ص 152
- (75) د. هاني صلاح سري الدين، محاضرات في الشركات التجارية ، المرجع السابق، ص 111
- (76) د. سميحة القليوبي، الشركات التجارية، المرجع السابق، ص 269
- (77) د. محمود سمير الشراوي، الشركات التجارية في القانون المصري، ص 105/106
- (78) المادة (333) من المرسوم بقانون إتحادي رقم (32) لسنة 2020 بشأن الشركات التجارية ، الإماراتي
- (79) د. أبو زيد رضوان و د. فائز نعيم رضوان - الشركات التجارية - الكتاب الأول - دار الفكر العربي القاهرة، ص 194
- (80) د. سميحة القليوبي، الشركات التجارية، المرجع السابق، ص 274

المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم احمد إبراهيم، الجنسية ومركز الأجانب، القاهرة، دار النهضة العربية، 2006،
- (2) إبراهيم محمد أحمد دريج، الشركة — الشراكة، الطبعة الثالثة، شركة مطابع السودان للعملة، 2010.
- (3) إبراهيم سيد احمد، العقود والشركات التجارية، الطبعة الاولى، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية 1980
- (4) ابو ذر الغفاري بشير عبد الحبيب، أسس قانون الشركات، شركة مطابع السودان للعملة، الطبعة الثانية، 2006، .
- (5) أبو زيد رضوان و فائز نعيم رضوان - الشركات التجارية الكتاب الأول - دار الفكر العربي القاهرة،
- (6) احمد محرز، الوسيط في الشركات التجارية — ط2، الإسكندرية، مصر، 2004،
- (7) أحمد مجبو، محاضرات في المؤسسات الإدارية، الطبعة الثانية، ترجمة عرب ماصيلا ديولن، المطبوعات الجامعية الجزائر 1979
- (8) إدوارد عيد، الشركات التجارية، الشركات المساهمة، الطبعة الأولى مطبعة النجوى، بيروت 1970
- (9) ازهري الحاج شرشاب، إنشاء الشركة وانقضاؤها وتصفياتها، وفقاً للقانون وأحكام القضاء بدولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة مقارنة، 2010،
- (10) اكرم يامليكي القانون التجاري الشركات دراسة مقارنة الطبعة الأولى الإصدار الأول دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان 2006
- (11) إلياس ناصف، تصفية الشركات التجارية، ط1، ج 14، منشورات الحلبي، 2011 م،
- (12) أنور حمرون، الشركات التجارية، الطبعة الاولى، يو اس بي لخدمات الطباعة، 2019
- (13) بشير خليفة قسم السيد، إجراءات تأسيس الشركات، لبنان، دار الجيل، ط1، 1994،
- (14) حسن المصري شركات القطاع الخاص، الطبعة الأولى، مطبعة حسان، القاهرة، 1986،
- (15) د. سامرة أحمد مصطفى المومني، دور جامعة اليرموك في الحد من ظاهرة البطالة من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد الأول، العدد الأول، 2020،
- (16) 16. سعيد عبد الماجد المركز القانوني للشركات الاجنبية المكتبة المصرية للطباعة والنشر اسكندرية 1969
- (17) سميحة القليوبي، الشركات التجارية، ط7، دار النهضة العربية، القاهرة، 2016،
- (81) _____، الموجز في القانون التجاري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978،
- (19) شمس الدين الوكيل، الموجز في الجنسية ومركز الأجانب، ط3، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1968،
- (20) عبد الحكم محمد عثمان الاستثمار الأجنبي وفروع ومكاتب تمثيل الشركات الأجنبية في مصر مكتبة سيد عبدالله وهيبي عابدين القاهرة 88
- (21) عبدالحكيم مصطفى عبدالرحمن، المركز القانوني للمستثمر الأجنبي في السودان بين القانون الداخلي والقانون الدولي، جامعة القاهرة 1990
- (22) عبد الفضيل محمد احمد، الشركات، القاهرة، دار الفكر والقانون، الطبعة 1، 2011،
- (23) عبدالقادر بقيات دروس في القانون التجاري الشركات التجارية مطبوعات المدرسة الوطنية للإدارة، الجزائر السنة الجامعية 2004-2005

- (24) عبدالله ادريس ، قانون الشركات لسنة 2015 ، الطبعة الأولى 1441هـ- 2019 ، سالكة للطباعة الحديثة
- (25) عبد الماجد سعيد المركز القانوني للشركات الأجنبية الطبعة الأولى المكتبة المصرية للطباعة والنشر الإسكندرية 1969
- (26) عبدالمطلب عبد الحميد، النظام الاقتصادي العالمي الجديد،(الليات، الخصائص الأبعاد) مكتبة النهضة العربية القاهرة 1998
- (27) عتو الموسوس، النظام القانوني لفروع الشركات الأجنبية في الجزائر، الإسكندرية مكتبة الوفاء القانونية، الطبعة الأولى، 2010،
- (28) عز الدين عبدالله، الجنسية والمواطن وتمتع الأجانب بالحقوق ،القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ج1،
- (29) عزت عبد القادر، عقد المفاولة، مصر، القاهرة، دار الألفي لتوزيع الكتب القانونية، 2001،
- (30) عزيز العكيلي، شرح القانون التجاري ، الشركات التجارية ، ج 4 ط 1، دار الثقافة، عمان ، الاردن ، 1998
- (31) عكاشه محمد عبدالعال، الجنسية ومركز الأجانب في تشريعات الدول العربية، القاهرة، دار الجامعة الجديدة، ط 1، 1987،
- (32) عجه الجيلالي، الكامل في لقانون الجزائري للإستثمار، الأنشطة العادية وقطاع المحروقات، دار الخلدونية، الجزائر 2006، ص 445
- (33) فايز نعيم رضوان، الشركات التجارية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1999،
- (34) محمد شوقي شاهين، الشركات (طبيعتها وأحكامها) بدون دار نشر وسنة طبع
- (35) محمود سمير الشراقوي، الشركات التجارية في القانون المصري، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، 2016
- (36) محمود مختار احمد بربري الشخصية المعنوية للشركات التجارية _ شروط إكتسابها وحدود الإحتجاج بها - دراسة مقارنة، الطبعة الثانية ،دار الفكر العربي القاهرة 2002
- (73) د. مهدي الصافي البشير الصافي، أحكام التصفية في قانون الشركات، الطبعة الأولى ، مطابع السودان للعملة ، 2019، ص 130
- (38) مصطفى كمال طه ، الشركات التجارية ، الدار الجامعة ، 1986 ،
- (39) مصطفى كمال طه وائل انور بندق ، الشركات التجارية، مكتبة الوفاء القانونية، 2016،
- (40) مصطفى كمال طه، الشركات التجارية، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2000
- (41) نسمة نبيل عبده عبدالرازق، اجراءات واثار تصفية الشركة عن طريق المحكمة، الطبعة الأولى، 2016 ،
- (42) هاني صلاح سري الدين - محاضرات في الشركات التجارية - دار النهضة العربية - القاهرة - 2012 .
- (43) وحي فاروق لقمان، سلطات ومسؤولية المديرين في الشركات التجارية، دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1998 .

القوانين :

- (1) 1. قانون الشركات السوداني لسنة 1925.
- (2) 2. قانون الشركات الإنجليزي الملغي لسنة 1948.
- (3) 3. قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة 1984
- (4) 4. قانون الشركات الإنجليزي لسنة 1985م المعدل سنة 1989.
- (5) 5. قانون الشركات الأردني رقم (22) لسنة 1997 تعديل 2006 .
- (6) 6. قانون الشركات السوداني لسنة 2015 .
- (7) 7. قانون الشركات السعودي 1437 هـ — 2015 م

الدراسات السابقة :

- (1) حنان بخيت السيد ، المسؤولية القانونية في الشركة ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في القانون، جامعة النيلين، 2015
- (2) الرازي سيف النصر إسماعيل، النظام القانوني للشركات الأجنبية وفروعها في السودان، دراسة مقارنة، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في القانون ، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، 2017
- (3) عاهد أحمد العتوم ، المركز القانوني للشركة الأجنبية في ضوء التشريعات الأردنية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في القانون ، كلية الدراسات العليا، جامعة العلوم الإسلامية العالمية 2016،
- (4) يرجع ذلك لانخفاض الادخار المحلي مقارنة بحجم الاستثمار اللازم تمويله لعملية التنمية، فالاستثمار الأجنبي يعد بديلاً للقروض والمنح والمعونات الخارجية